

الْفَصِيحُ
فِي

الْمَلِكِ وَالْأَهْوَالِ وَقَوْلِ النَّحَّاسِ

تأليف

الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن خزم الظاهري

المتوفى سنة ٤٥٦هـ

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عبد الرحمن عميرة

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر - فرع أسوط

الدكتور محمد إبراهيم نصير

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الجيـل

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الثانية

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحمد الله تعالى حمد العارفين ، ونشكره شكر المؤمنين القانتين ، على نعمه الظاهرة والباطنة علينا وعلى عباده الذين اصطفى لحمل رسالته والدعوة لدينه ، وبيان كلمة الحق وإظهارها ، ونسأله العون والسداد والتوفيق والرشاد ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وبعد فيطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بعامة ، وطلاب المعرفة بخاصة الجزء الرابع من الموسوعة المعلّمة - والتي تسمى « الفصل في الملل والأهواء والنحل » للالمعى النابه ، صاحب الفكرة الصادقة واللمحة الواعية ، العالم الظاهري أبى محمد المعروف بابن حزم . ولقد تناول في هذا الجزء الذّب عن أنبياء الله ورسله بالحجة الدامغة والقول السديد . وأفرد فصلاً خاصاً للرسول - ﷺ - خاتم الأنبياء والمرسلين .

تناول بعده حقيقة الملائكة - فنفى ما أشاعه الجهلاء وأصحاب الأهواء عن هويتهم ، وخلص في النهاية إلى أنهم عباد الله المكرمون ، وجنوده المخلصون ، الذين لا يعصون ربهم ، ويفعلون ما يؤمرون . ثم عقد فصلاً مطولاً عن الوعد والوعيد ، وتحدث حديث العارف لدينه الفاهم لكلام ربه عن الشفاعة والميزان ، والحوض والصراط وعذاب القبر . وختم هذا الفصل بالكلام عن القيامة وبعث الأجساد وإثبات وجود الجنة والنار وأفحم الفلاسفة والكلاميين - الذين يتبعون أهواءهم - ويحكمون عقولهم القاصرة ويقولون يبعث الأرواح فقط .

وهذا الجزء - بحق - يعتبر إحدى روائع هذه الموسوعة التي تعد - كما قلنا سابقاً - من أولى الكتب التي كتبها علماء المسلمين الأجلاء في الديانة المقارنة - فكانت نبعاً ثرياً للعلماء والمفكرين المهتمين بدراسة مقارنة الأديان طوال القرون السابقة .

نسأل الله العلى القدير أن يوفقنا - في تقديم الجزء الخامس والأخير لقراء العربية - في الصورة التي نتوخاها له - إنه نعم المولى ونعم المعين - وعلى الله قصد السبيل .

المحققان

هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال أبو محمد : اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا .. ؟ فذهبت طائفة إلى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل في جميع الكبائر والصغائر عمدًا حاشا الكذب في التبليغ فقط ، وهذا قول الكرامية^(١) من المرجئة ، وقول ابن الطيب الباقلاني^(٢) من الأشعرية^(٣) ومن اتبعه ، وهو قول اليهود والنصارى ، وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ أيضا . وأما هذا الباقلاني فإننا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني^(٤) قاضى الموصل أنه كان يقول : إن كل ذنب دق ، أو جل ، فإنه جائز على الرسل حاشا الكذب في التبليغ فقط ، قال : وجائز عليهم أن يكفروا ، قال : وإذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على أن ذلك النهى قد نسخ ، لأنه قد يفعله عاصيا لله عز وجل ، قال وليس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه وجوز أن يكون في أمة محمد عليه السلام ، من هو أفضل من محمد ، عليه الصلاة والسلام مذ بعثه الله إلى أن مات .

قال أبو محمد : وهذا كله كفر مجرد ، وشرك محض ، وردة عن الإسلام . قاطعه للولاية ، مبيحة دم من دان بها وماله ، موجبة للبراءة منه في الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا ، وجوزوا عليهم الصغائر

(١) زعيم هذه الفرقة : محمد بن كرام السجستاني ، كان مطروداً من سجستان إلى غرجستان ودعا أتباعه إلى تجسيم معبوده ، وزعم أنه جسم له حد ونهاية ، وقد وصف بن كرام معبوده في بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى أن الله تعالى جوهر وهم ثلاث فرق : حقائقية ، وطرائفية ، وإسحافية ، وفضائح الكرامية كثيرة جداً نسأل الله السلامة .

(٢) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم الباقلاني ت ٤٠٣ راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٥٧٠ وتاريخ بغداد ح ٥ ص ٣٧٩

(٣) الأشعرية : راجع الحديث عنهم في الجزء الثالث ص ١٠١

(٤) أبو جعفر السمناني : يسمى : محمد بن أحمد بن محمد السمناني أبو جعفر قاضى حنفى ت ٤٤٤ راجع الجزء الثاني ص ٣١٤

بالعمد وهو قول ابن فورك الأشعري^(٥) وذهب جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة والنجارية^(٦) والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز ألبتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة ، وهو قول ابن مجاهد الأشعري شيخ ابن فورك والباقلاني المذكورين .

قال أبو محمد : وهذا قولنا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه ، ونقول : إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى ، والتقرب به منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرب^(٧) على شيء من هذين الوجهين أصلاً ، بل ينههم على ذلك ولا بُدَّ إثر وقوعه منهم ، ويظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويبين لهم كما فعل نبيه ﷺ في سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب^(٨) أم المؤمنين وطلاق زيد^(٩) لها رضي الله عنهما ، وفي قصة ابن أم مكتوم^(١٠) رضي الله عنه ، وربما يبغض المكروه في الدنيا كالذي أصاب آدم ، ويونس عليهما الصلاة والسلام ، والأنبياء^(١١) عليهم الصلاة والسلام بخلافنا في هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ، ولا بما قصدنا به ، وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى ، بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجراً واحداً .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الله تعالى قرن بكل أحد شيطاناً ، وأن الله تعالى أعانه على شيطانه فأسلم ، فلا يأمره إلا بخير ، وأما الملائكة فبرآء من كل هذا ، لأنهم خلقوا من نور محض لا شوب فيه ، والنور خير كله لا كدر فيه ..

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن علي ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، عن عبد بن حميد ، عن

(٥) ابن فورك : يسمى محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري ت ٤٠٦ راجع الجزء الثاني ص ٣٥٢

(٦) راجع كلمة عن النجارية في الجزء الثالث ص ١٠١

(٧) في (أ) : (لا يقربهم) .

(٨) هي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، هاجرت إلى المدينة وتزوجها زيد بن ثابت ، ثم

تزوجها رسول الله ﷺ ، كانت أول نساء النبي - ﷺ لحوقاً بها راجع ترجمة وافية لها في طبقات ابن سعد ح ٨ ص ١٠١

(٩) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى أبو اسامة مولى رسول الله - ﷺ - وكان يقال له : حب رسول الله - ﷺ - قتل بموته من

أرض الشام سنة ثمان من الهجرة - وكان الأمير على تلك الغزوة - راجع ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب ح ٢ ص ٥٤٥

(١٠) ابن أم مكتوم هو عمر بن قيس بن زائدة بن الأصم ، والأصم هو جندب بن هرم ، وأما أم مكتوم ، فاسمها عاتكة بنت عبد الله

ابن عامر بن مخزوم ، قدم المدينة مهاجراً مع مصعب بن عمير قبل هجرة الرسول - ﷺ - ، قتل شهيداً بالقادسية - رضي الله عنه - الاستيعاب في

معرفة الأصحاب ح ٣ ص ١١٩٨

(١١) في (خ) : سقط هـ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هـ .

عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصُفَ لَكُمْ^(١٢) .

قال أبو محمد : واحتجت الطائفة الأولى بآيات من القرآن ، وأخبار وردت ، ونحن إن شاء الله عز وجل نذكرها ، ونبين غلطهم فيها ، بالبراهين الواضحة الضرورية ، وبالله تعالى التوفيق .

(١٢) (الحديث رواه الإمام مسلم في الزهد ٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ٦ ص ١٥٣)

الكلام في آدم عليه السلام

قال أبو محمد : فمما احتجوا به قول الله عز وجل : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى^(١) » .
وقوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ^(٢) » . قالوا فقر بها آدم فكان
من الظالمين^(٣) .

وقد عصى وغوى .

وقال تعالى « فَتَابَ عَلَيْهِ »

والتاب لا يكون إلا من ذنب .

وقال تعالى : « فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ^(٤) » . واستزال^(٥) الشيطان معصية ، وذكروا قول الله
تعالى : فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما^(٦) .

هذا كل ما ذكروا في آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا كله بخلاف ما ظنوا .

أما قوله تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » . فقد علمنا أن كل خلاف لأمر أمر فصورته
صورة المعصية ، فيسمى معصية لذلك وغواية ، إلا أنه منه ما يكون عن عمد ، وذكر ، فهذه

(١) سورة طه آية رقم ١٢١

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٥

(٣) هذه العبارة سقطت من (أ) .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٣٥

(٥) في (أ) : وإزال .

(٦) سورة الأعراف آية رقم ١٩٠

معصية على الحقيقة ، لأن فاعلها قاصد إلى المعصية ، وهو يدري أنها معصية ، وهذا هو الذى نزهنا عنه الأنبياء عليهم السلام ، ومنه ما يكون عن قصد إلى خلاف ما أمر به وهو يتأول فى ذلك الخير ، ولا يدري أن عاص بذلك بن يظن أنه مطيع لله تعالى أو أن ذلك مباح له لأنه يتأول أن الأمر الوارد عنه^(٧) ليس على معنى الإيجاب ولا على التحريم لكن إما على الندب إن كان بلفظ الأمر ، أو الكراهية إن كان بلفظ النهى ، وهذا شئ يقع فيه العلماء ، والفقهاء ، والأفاضل كثيراً ، وهذا هو الذى قد^(٨) يقع من الأنبياء عليهم السلام ويؤاخذون به إذا وقع منهم ، وعلى هذه السبيل أكل آدم من الشجرة ، ومعنى قوله تعالى : « فتكون من الظالمين^(٩) » . أى ظالمين لأنفسكما ، والظلم فى اللغة : وضع الشئ فى غير موضعه فمن وضع الأمر ، أو النهى ، فى موضع الندب ، أو الكراهة ، فقد وضع الشئ فى غير موضعه ، وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد ، وليس معصية ، لا الظلم الذى هو القصد إلى المعصية ، وهو يدري أنها معصية ، وبرهان هذا ما قد نصه الله تعالى من أن آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة ، إلا بعد أن أقسم له إبليس أن نهى الله عز وجل لهما عن أكل الشجرة ليس على التحريم ، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً ، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن ، وفوز الأبد ، قال تعالى حاكياً عن إبليس أنه .

قال لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور^(١٠) .

وقال عز وجل : ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً^(١١) .

قال أبو محمد : فلما نسى آدم عليه السلام عهد الله إليه فى أن إبليس عدو له أحسن الظن بيمينه .

قال أبو محمد : ولا سلامة ، ولا براءة من القصد إلى المعصية ولا أبعد من الجراءة على الذنوب أعظم من حال من ظن أن أحداً لا يحلف حائثاً ، وهكذا فعل آدم عليه السلام فإنه إنما أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها ناسياً ، بنص القرآن ، ومتأولاً وقاصداً إلى الخير ، لأنه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكاً مقرباً ، أو خالداً فيما هو فيه أبداً ، فأداه ذلك إلى خلاف ما أمره الله عز وجل به ، وكان الواجب أن يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تأول

(٧) فى (أ) : عليه .

(٨) سقطت من (أ) (قد) .

(٩) سورة البقرة آية رقم ٣٥

(١٠) سورة الأعراف آية رقم ٢١

(١١) سورة طه آية رقم ١١٥

وأراد الخير فلم يصبه ، ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان مأجورًا ، ولكن آدم عليه السلام لما فعله وأوخذ به^(١٢) باخراجه عن الجنة ، إلى نكر^(١٣) الدنيا ، كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله قاتل الخطأ قاتلاً ، كما سمى العامد ، والخطيء لم يتعمد معصية ، وجعل في الخطأ في ذلك كفارة عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، لمن عجز عن الرقبة ، وهو لم يتعمد ذنبًا . وأما قوله عز وجل : لكن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما^(١٤) .

فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر - كفر مجرد بلا خلاف من أحد من الأمة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين ، والشُرط الفاسقين ، فكيف من كفر الأنبياء عليهم السلام .. ؟ وهذا الذي نسبوه إلى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة ، مكذوبة ، من توليد من^(١٥) لا دين له ، ولا حياء ، لم يصح سندها قط ، وإنما نزلت في المشركين على ظاهرها ، وحتى لو صح أن الآية نزلت^(١٦) في آدم ، وهذا لا يصح أصلاً لما كانت فيه للمخالف حجة ، لأنه كان يكون الشرك أو الشركاء المذكورون في الآية حينئذ على غير الشرك الذي هو الكفر ، لكن بمعنى أنهما جعلتا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام : « يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحَكْمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١٧) » .

فأخبرنا عز وجل أن يعقوب عليه السلام أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة أشفاقا عليهم إما من إصابة العين ، وإما من تعرض عدو مستريب بإجماعهم ، أو ببعض ما يخوفه عليهم ، وهو عليه السلام معترف أن فعله ذلك وأمره إياهم ، بما أمرهم به من ذلك لا يغني عنهم من الله شيئا يريد عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام ، وفي سائر الأنبياء عليهم السلام ، كما قال تعالى حاكيا عن الرسل أنهم قالوا : « إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ^(١٨) »

(١٢) في (أ) : ووجد به .

(١٣) في (أ) : إلى نكد : بالدال .

(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ ، ٩٠ .

(١٥) في (أ) : من تأليف .

(١٦) في (أ) : أنها .

(١٧) سورة يوسف آية رقم ٦٧ ، ٦٨ .

(١٨) سورة إبراهيم آية رقم ١١ .

حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لجارحه^(١٩) النفس ، ونزاعها ، وتوقها إلى سلامة من تحب ، وإن كان ذلك لا يغنى شيئاً كما كان عليه السلام يحب الفأل الحسن ، فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء أن يكون عوذة ، أو تميمة ، أو نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط إلا في الكفار ، لا في آدم عليه السلام.؟؟؟

الكلام فى نوح عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا قول الله عز وجل لنوح عليه السلام .. فلا تسألنى ما ليس لك به علمُ إني أعظك أن تكونَ مِنَ الجاهِلين^(١).

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأن نوحًا عليه السلام تأول وَعَدَّ الله تعالى أن يخلصه وأهله فظن أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة ، وهذا لو فعله أحد لكان مأجورًا ولم يسأل نوح عليه السلام تخليص من أيقن أنه ليس من أهله ففزع على ذلك ، ونهى عن أن يكون من الجاهلين ، فتندم عليه السلام من ذلك ونزع ، وليس هاهنا عمد للمعصية ألبتة .
وبالله تعالى التوفيق .

الكلام في إبراهيم عليه السلام

قال أبو محمد : ذكروا ما روى عن رسول الله ﷺ من أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، وأنه قال إذ نظر في النجوم « إني سقيم^(١) » .
ويقوله في الكواكب والشمس والقمر « هَذَا رَبِّي^(٢) » .
ويقوله في سارة : « هذه أختي » .
ويقوله في الأصنام إذ كسرها « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا^(٣) » وبطلبه إذ طلب رؤية إحياء الموتى قال : أو لم تؤمن قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبي^(٤) » .
قال أبو محمد : وهذا كله ليس على ما ظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين .
أما الحديث : أنه عليه السلام كذب ثلاث كذبات ، فليس كل كذب يكون^(٥) معصية ، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل ، وفرضًا ، واجبًا يعصى من تركه ، صح أن رسول الله ﷺ قال : ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا^(٦) » .
فقد أباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها ، وكذلك الكذب في الحرب ، فقد أجمع أهل الإسلام على أن إنسانًا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقنتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل

(١) سورة الصفات آية رقم ٨٩

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠

(٥) سقط من (أ) كلمة : يكون .

(٦) الحديث رواه البخارى في الصلح ٢ ومسلم في البر ١٠١ ، واحمد بن حنبل ح ٦ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ولفظه عند مسلم : ليس

الكذاب الذى يصلح بين الناس ، ويقول خيرا وينمى خيرا .

السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فإنه إن كتم ما سمع وأنكر أن يكون سمعه ، أو أنه يعرف موضعه أو موضع ماله ، فإنه محسن مأجور مطيع لله عز وجل ، وأنه إن صدقه فأخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل ، فاعل كبيرة مذموماً تماماً .

وقد أبيض الكذب في إظهار الكفر في التقية ، وكل ما روى عن إبراهيم عليه السلام في تلك الكذبات فهو داخل في الصفة المحمودة ، لا في الكذب الذي نهى عنه ، وأما قوله عن سارة هي أختي فصدق هي أخته من وجهين .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة^(٧) » .

وقال عليه السلام : « لا يَخْطُبُ أَحَدُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ^(٨) » .

والوجه الثاني : القرابة وأنها من قومه ومن مستجيبه قال عز وجل « وإلى مدين أخاهم شعيباً^(٩) » .

فمن عد هذا كذباً مذموماً من إبراهيم عليه السلام فليعده كذلك من^(١٠) ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح أنه عليه السلام صادق في قوله في سارة إنها أختي^(١١) . وأما قوله « فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم^(١٢) » .

فليس هذا كذباً ولسنا ننكر أن تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث في العالم كدلالة البرق على تغول البحر ، وكدلالة الرعد على تولد الكمأة ، وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه ، وانحداره^(١٣) وارتفاعه ، وامتلأه ونقصه ، وإنما المنكر قول من قال : إن الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك ، دون الله تعالى ، أو مشتركة معه ، فهذا كفر من قائله وأما قوله عليه السلام : « بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا^(١٤) » .

فإنما هو تقريع لهم ، وتوبيخ ، كما قال تعالى : « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ^(١٥) » وهو في

(٧) سورة الحجرات آية رقم ١٨

(٨) الحديث رواه البخاري في النكاح ٤٥ ورواه مسلم في البيوع ٨ والنكاح ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٣ وأبو داود في النكاح ١٧ ، والترمذي في

النكاح ٣٨ ، والنسائي في البيوع ١٩

(٩) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

(١٠) في (أ) : كذباً .

(١١) في (أ) : أخته .

(١٢) سورة الصفات آية ٨٩

(١٣) في (أ) : واعذاره وهو تحريف .

(١٤) سورة الأنبياء آية رقم ٦٣

(١٥) سورة الدخان آية ٤٩

الحقيقة مهان ذليل ، مهين معذب في النار ، فكلا القولين توبيخ لمن قيل له على ظنهم أن الأصنام تفعل الخير والشر ، وعلى ظن المعذب في نفسه في الدنيا أنه عزيز كريم .

ولم يقل إبراهيم عليه السلام هذا على أنه محقق لأن كبيرهم فعله ، إذ الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصدًا إلى تحقيق ذلك . وأما قوله عليه السلام إذ رأى الكوكب والشمس والقمر : هذا ربي .

فقال قوم إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك محققًا أول خروجه من الغار وهذا خرافة ، موضوعة ، مكذوبة ، ظاهرة الافتعال ، ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا ، وهو لم ير قط شمسًا ولا قمرًا ولا كوكبًا ، وقد أكذب الله عز وجل هذا الظن الكاذب بقوله الصادق « وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِعَالَمِينَ ^(١٧) » .

فمحال أن يكون من أتاه الله رشده من قبل يدخل في عقله أن الكوكب ربه ، أو أن الشمس ربه ، من أجل أنها أكبر قرصًا من القمر ، هذا ما لا يظنه إلا مخبول ^(١٨) العقل والصحيح من ذلك أنه عليه السلام إنما قال ذلك مويحًا لقومه كما قال لهم نحو ذلك في الكبير من الأصنام ، ولا فرق لأنهم كانوا على دين الصابئين ، يعبدون الكواكب ، ويصورون الأصنام على صورها ، وأسمائها ، في هياكلهم ، ويعدون لها الأعياد ، ويذبحون لها الذبائح ، ويقربون لها القرب ، والقرايين ، والدخن ، ويقولون : إنها تعقل وتدبر ، وتضر ، وتنفع ، ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة ، فويحهم الخليل عليه السلام على ذلك ، وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها ، كما قال تعالى : فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون ^(١٩) فأرهم ضعف عقولهم في تعظيمهم لهذه الأجرام المسخرة الجمادية وبين لهم أنهم مخطئون ، وأنها مدبرة تنتقل في الأماكن ، ومعاذ الله أن يكون الخليل عليه السلام أشرك قط بربه ، أو شك في أن الفلك بكل ما فيه مخلوق ، وبرهان قولنا هذا أن الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ^(٢٠) ، ولا عنفه على ذلك ، بل صدقه تعالى بقوله : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ^(٢١) » .

فصح أن هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل .

(١٦) سقطت من (أ) كلمة : الكوكب .

(١٧) سورة الأنبياء آية رقم ٥١

(١٨) في (أ) : مجنون .

(١٩) سورة المطففين آية رقم ٣٤

(٢٠) في (أ) : مما ذكروا .

(٢١) سورة الأنعام آية رقم ٨٣

وأما قوله عليه السلام : « رب أرني كيف تحيي الموتى ، قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن قَال بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِن قَلْبِي ^(٢٢٢) » .

فلن يقرره ربنا عز وجل وهو يشك في إيمان إبراهيم عبده وخليته ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك .

ولكن تقريراً للإيمان في قلبه ، وإن لم ير كيفية إحياء الموتى ، فأخبر عليه السلام عن نفسه أنه مؤمن مصدق وإنما أراد أن يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك ، وما شك إبراهيم عليه السلام في أن الله تعالى يحيي الموتى ، وإنما أراد أن يرى الهيئة ، كما أننا لا نشك في صحة وجود الفيل ، والتمساح ، والكسوف ، وزيادة النهر ، والخليفة ، ثم يرغب من لم ير ذلك منا في أن يرى كل ذلك ، ولا يشك في أنه حق لكن ليرى العجب الذي يتمثله في نفسه ^(٢٢٣) ولم تقع عليه حاسة بصره فقط ، وأما ما روى عن النبي ﷺ من قوله : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ^(٢٢٤) » .

فمن ظن أن النبي ﷺ شك قط في قدرة ربه عز وجل على إحياء الموتى فقد كفر ، وهذا الحديث حجة لنا ، ونفى ^(٢٢٥) للشك عن إبراهيم - أي لو كان هذا ^(٢٢٦) الكلام من إبراهيم عليه السلام شكاً لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم عليه السلام أحق بالشك ، فإذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد إبراهيم غير شك ، فإن إبراهيم عليه السلام أبعد من الشك .

قال أبو محمد : ومن نسب هاهنا إلى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب إليه الكفر ، ومن كفر نبياً فقد كفر ، وأيضاً فإن كان ذلك شكاً من إبراهيم عليه السلام وكنا نحن أحق بالشك منه فنحن إذا شكناك جاحدون كفار ، وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا ، بل نحن والله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى ، وقدرته على كل شيء . يسأل عنه السائل ، وذكروا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه ، واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لأنه لم يكن نهى عن ذلك .

قال تعالى « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ^(٢٢٧) » . فأثنى الله تعالى عليه بذلك ، فصح أن يستغفار إبراهيم لأبيه إنما كان مدة حياته راجياً إيمانه فلما مات كافراً تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها .

تم الكلام في إبراهيم عليه السلام .

(٢٢٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠

(٢٢٣) سقطت من (أ) في نفسه .

(٢٢٤) الحديث رواه البخاري في الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم في الإيمان ٣٣٨ والفضائل ١٥٢ ورواه ابن ماجه في الفتن ٢٣

وأحمد بن حنبل - ٣ ص ٢٤٦ ولفظه عند ابن ماجه « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموت ... الخ » .

(٢٢٥) في (أ) : على نفى الشك .

(٢٢٦) في (أ) : سقطت كلمة : هذا .

(٢٢٧) سورة التوبة آية رقم ١١٤

الكلام في لوط عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا^(١) قول الله تعالى في لوط عليه السلام أنه قال : « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد^(٢) » فقال رسول الله ﷺ : « وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ^(٣) » .

فظنوا أن هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام وذكروا قول لوط^(٤) أيضا ... هُوَ لَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ^(٥) »

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، أما قوله عليه السلام لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد « .

فليس مخالفا لقول رسول الله ﷺ « يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ » . بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لأن لوطا عليه السلام إنما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة ، أو^(٦) عشيرة ، أو أتباع مؤمنين . وما جهل قط لوط عليه السلام أنه يأوى من ربه تعالى إلى أمتع قوة ، وأشد ركن ،

(١) في (خ) : بدون الواو .

(٢) سورة هود آية رقم ٨٠

(٣) الحديث رواه البخارى في الأنبياء ١١ وتفسير سورة ٢ ، ورواه مسلم في الإيمان ٣٣٨ ، ولفظه عند ابن ماجه : ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

(٤) سقط من (أ) وذكروا قول لوط أيضا .

(٥) سورة هود آية ٧٨

(٦) في (خ) : وعشيرة .

فلا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض^(٧) » فهذا هو^(٨) الذي طلب لوط عليه السلام .

وقد طلب رسول الله ﷺ من الأنصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى ، فكيف ينكر على لوط أمراً هو فعله عليه السلام ؟ تالله ما أنكر ذلك رسول الله ﷺ .

وإنما أخير عليه السلام : أن لوطا كان يأوى إلى ركن شديد ، يعنى من نصر الله له بالملائكة ، ولم يكن لوط عليه السلام علم بذلك .

ومن ظن^(٩) أن لوطا عليه السلام اعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر ؛ إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر ، وهذا أيضا ظن سخيف ، إذ من الممتنع أن يظن برب أراه المعجزات وهو دائماً يدعو إليه هذا الظن .

وأما قوله عليه السلام : « هؤلاء بناتي هن » .

فإنما أراد التزويج ، والوطء ، في المكان المباح ، فصح ما قلنا إذ من المحال أن يدعوهم إلى منكر ، وهو ينهاهم عن المنكر . انقضى الكلام في لوط عليه السلام .

(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥١

(٨) سقط من (أ) كلمة : هو .

(٩) في (أ) : اعتقد .

(١٠) في (أ) : كان يعتقد .

الكلام في إخوة يوسف عليه السلام

قال أبو محمد : واحتجوا بفعل إخوة يوسف وبيعهم أخاهم ، وكذبهم لأبيهم ، وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن أخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ، ولا جاء قط في أنهم أنبياء نص ، لا من قرآن ، ولا من سنة صحيحة ، ولا من إجماع ولا من قول أحد من الصحابة ، رضى الله عنهم .

وأما يوسف عليه السلام فرسول الله بنص القرآن . قال عز وجل : « وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ .
إلى قوله .. مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا^(١) .

وأما إخوته فأفعالهم تشهد أنهم لم يكونوا متورعين عن العظام ، فكيف أن يكونوا أنبياء ؟ ولكن الرسولين أباهم ، وأخاهم ، قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم ، وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء ، قول الله تعالى حاكيا عن الرسول أخيهم عليه السلام أنه قال لهم .. « أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا^(٢) » .

ولا يجوز ألبتة أن يقوله لنبى من الأنبياء ، نعم . ولا لقوم صالحين ، إذ توقيير الأنبياء فرض على جميع الناس ، ولأن الصالحين ليسوا شرًا مكانا ، وقد عاق ابن نوح أباه بأكثر مما عاق به أخوة يوسف أباهم ، إلا أن إخوة يوسف لم يكفروا ، ولا يحل لمسلم أن يدخل في الأنبياء من لم يأت نص ، ولا إجماع ، أو نقل كافة بصحة نبوته ، ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا ، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم . فإن ذكروا في ذلك ما روى عن بعض الصحابة رضى الله

(١) سورة غافر آية رقم ٣٤

(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٧

عنهم وهو زيد ابن ارقم^(٣) إنما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ لأنه لا نبي بعد رسول الله محمد^(٤) ﷺ ، وأولاد الأنبياء أنبياء ، فهذه غفلة شديدة ، وزلة عالم من وجوه .

أولها : أنه دعوى لا دليل على صحتها ، وثانيها : أنه لو كان ما ذكره لا يمكن أن ينبا إبراهيم في المهد ، كما نبيء عيسى عليه السلام ، وكما أوتى يحيى الحكيم صبيا ، فعلى هذا القول لعل إبراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا لله من هذا .

وثالثها : أن ولد نوح عليه السلام كان كافرا بنصر القرآن . عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الأنبياء أنبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه^(٥) نيبا - وحاشا لله من هذا .

ورابعها : أنه^(٦) لو كان ذلك^(٧) لوجب ولا بد أن يكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم بل جميع أهل الأرض أنبياء لأن الكل من ولد آدم ، وآدم نبي فإذا وجب أن يكون أولاد آدم^(٨) لصلبه أنبياء لأن أباهم نبي فأولاد أولاده أنبياء أيضا ، لأن آباهم أنبياء ، وهم أولاد أنبياء ، وهكذا أبدا حتى يبلغ الأمر إلينا .

وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه ما لا خفاء به ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة أخوة يوسف ، ويثبت نبوة بنى الجوس ، ونبوة أم موسى ، وأم عيسى وأم إسحق ، عليهم السلام ، فنحن نقول : وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم - لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ، ولم ينص رسول الله ﷺ على نبوته ، ولا نقلت الكواف عن أمثالها نقلا متصلا منه إلينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي ﷺ ، بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته ، لأن تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى ، لا يقدم عليه مسلم ، ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بأن الله تعالى نبأه .

فأما أم موسى ، وأم عيسى ، وأم إسحق ، فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي ، وإلى بعض منهن عن الله عز وجل بالإنباء ، بما يكون قبل أن يكون ، وهذه النبوة نفسها التي لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن .

وأما بنى الجوس فقد صح أنهم أهل كتاب بأخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم ، ولم ييخ الله

(٣) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن ثعلبة الأنصاري ، غزا مع رسول الله - ﷺ - سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع علي ، ومات بالكوفة له في كتب الحديث ٧٠ حديثا تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٤

(٤) في (أ) : رسول الله .

(٥) سقطت من (خ) عليه .

(٦) سقطت من (أ) أنه .

(٧) في (أ) : هذا .

(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

تعالى له أخذ الجزية الا من أهل الكتاب فقط . فمن نسب إلى محمد ﷺ أنه أخذ الجزية من غير أهل الكتاب فقد نسب إليه أنه خالف ربه تعالى ، وأقدم على عظمة تقشعر منها جلود المؤمنين فإذا نحن على يقين من أنهم أهل كتاب ، فلا سبيل ألبتة إلى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب ، فقد صح بالبرهان الضروري أنهم قد كان لهم نبي مرسل يقينا بلا شك . ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الأنبياء عليهم السلام وكل ما نقلته كافة على شرط عدم التواطىء ، فواجب قبوله . ولا فرق بين ما نقلته كافة كافرة أو مؤمنة^(٩) ، أو كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ، ومن قال لا أصدق إلا ما نقلته كواف المسلمين فإننا نسأله بأى شيء صح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم أصلا ، وإنما نقلته إلينا يهود عن نصارى ؟ ومثل هذا كثير . فإن كذب هذا غالط نفسه ، وعقله ، وكابر حسه ، وأيضا فإن المسلمين إنما علمنا أنهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما^(١٠) بأيديهم فنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ، ولا نعلم بالإسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينه وضرورة العقل ، وقد أخبر تعالى أن للأولين زبيرا وقال تعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك^(١١) .

وفي هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق .

(٩) في (أ) : كواف الكافرين أو كواف المسلمين .

(١٠) سقط من (خ) لصيحة ما .

(١١) سورة النساء آية رقم ١٦٤ .

الكلام في يوسف عليه السلام

وذكروا أيضا أخذ يوسف عليه السلام أخاه وإيماشه أباه عليه السلام منه^(١) وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعرف أباه خبره ، وهو يعلم ما يقاسى به من الوجد عليه ، فلم يفعل وليس بينه وبينه إلا عشر ليال ، وبإدخاله صواع الملك في وعاء أخيه ، ولم يعلم بذلك سائر إخوته ، ثم أمر من هتف « أيتها العير إنكم لسارقون^(٢) » .

وهم لم يسرقوا شيئا .

ويقول الله تعالى : « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ^(٣) » ويخدمته لفرعون ، ويقول له للذي كان معه في السجن : « اذكرني عند ربك^(٤) » .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد .

أما أخذه أخاه وإيماشه أباه منه فلا شك في أن ذلك ليرفق بأخيه ، وليعود إخوته إليه ، ولعلهم لو مضوا بأخيه لم يعودوا إليه ، وهم في مملكة أخرى ، وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ، ولا لملك مصر هنالك ، وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ، ولا سبيل إلى أن يظن برسول الله ﷺ الذي أوتي العلم ، والمعرفة بالتأويل ، إلا أحسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا ، ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه ، فكيف برسول الله ﷺ ؟؟؟ وأما ظنهم أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ، ولم يفعل ، فهذا جهل شديد

(١) سقطت من (أ) منه .

(٢) سورة يوسف آية رقم ٧٠

(٣) سورة يوسف آية رقم ٢٤

(٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢

ممن ظن هذا لأن يعقوب في أرض كنعان^(٥) من عمل فلسطين في قوم رحالين خصاصين في لسان آخر وطاعة أمرىء ودين آخر ، وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كغالث وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ، ولا حى هو أو ميت ، أكثر من وعد الله تعالى بأن ينبتهم بفعلهم به ، ولا وجد أحدًا يثق به فيرسل إليه للاختلاف الذى ذكرنا ، وإنما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ، ومصر لأمير واحد ، وملة واحدة ، ولسان واحدا ، وأمة واحدة ، والطريق سابل ، والتجار ذاهبون وراجعون . والرفاق سائرة ومقبلة ، والبُرد^(٦) ناهضة وراجعة ، فظن كل بيضاء شحمة^(٧) ولم يكن الأمر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا .

ودليل ذلك أنه حين أمكنه لم يؤخره ، واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس إليه ، وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الأرض ، وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذى وعده حين ألقوه في الجب فأتوه صاغرين راغبين^(٨) كما وعده تعالى في رؤياه قبل أن يأتوه ، ورب رئيس جليل شاهدناه من أبناء البشاكين^(٩) والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارًا إلى ذلك ولكن الأمر تعذر عليهم تعذرًا أخرجه عن الامكان إلى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام .

وأما قول يوسف لآخوته : « إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ^(١٠) » وهم لم يسرقوا الصواع ، بل هو الذى كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم ، فقد صدق عليه السلام لأنهم سرقوه من أبيه ، وباعوه ولم يقل عليه السلام إنكم سرقتم الصواع ، وإنما قال « نفقد صواع الملك » وهو في ذلك صادق لأنه كان غير واجد له فكان فاقداً له بلا شك .

وأما خدمته عليه السلام لفروعن فإنما خدمة تقية ، وفي حق لاستنقاذ الله تعالى أهل الأرض^(١١) بحسن تدبيره ، ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به إلا أن خدمته له على كل حال حسنه وفعل خير ، وتوصل إلى الاجتماع بأبيه وإلى العدل ، وإلى حياة النفوس ، إذ لم يقدر على المغالبة ولا أمكنه غير ذلك ، ولا مرية في أن ذلك كان مباحًا في شريعة يوسف عليه السلام

(٥) قال ابن الكلبي : ولد لنوح سام وحام ويافت وشالوم وهو كنعان وهو الذى غرق ودال ولا عقب له ثم قال : الشام منازل الكنعانيين وكان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ وكان مقام يعقوب بأرض نابلس وبه الجب الذى ألقى فيه يوسف . راجع معجم البلدان - ٤ ص ٤٨٤

(٦) البرد : جمع برید القافلة .

(٧) في المثل العربى : « ما أكل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء نمرة » .

(٨) في (أ) : ضارعين .

(٩) في (أ) : البشاكس .

(١٠) سورة يوسف آية رقم ٧٠ .

(١١) سقطت من (أ) كلمة : أهل الأرض .

بخلاف شريعتنا ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا^(١٢) » وأما سجود أبويه فلم يكن ذلك محظوراً في شريعتهما ، بل كان فعلاً حسناً ، وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام . إلا أن الذى لا شك فيه أنه لم يكن سجود عباده ولا تذلل وإنما كان سجود كرامة فقط بلا شك .

وأما قوله عليه السلام للذى كان معه في السجن « اذكرني عند ربك^(١٣) » فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على أحد ، وليس في قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذى كان معه في السجن ، في فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين : أحدهما : وجوب السعى في كف الظلم عنه ، والثاني : دعاؤه إلى الخير والحسنات .

وأما قوله تعالى : « فأنساه الشيطان ذكر ربه^(١٤) » . فالضمير الذى في أنساه وهو (الهاء) راجع إلى الفتى الذى كان معه في السجن ، أى أن الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام .

ويحتمل أيضا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام .

وبرهان ذلك قول الله عز وجل : « وادكر بعد أمة^(١٥) » فصح يقينا أن المذكور^(١٦) بعد أمة هو الذى أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر ، وحتى لو صح أن الضمير من أنساه راجع إلى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ، ولا ذنب ، إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبياء وأما قوله « همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه^(١٧) » فليس كما ظن من لم ينعم النظر حتى قال من المتأخرين من قال إنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ، ومعاذ الله من هذا أن يظن برجل من صالحى المسلمين أو مستورهم ، فكيف برسول الله ﷺ .. ؟؟؟

فإن قيل : إن هذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنه من طريق جيدة الإسناد ، قلنا : نعم . ولا حجة في قول أحد إلا فيما صح عن رسول الله ﷺ فقط ، والوهم في تلك الرواية إنما هى بلا شك عمن دون ابن عباس ، أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك إذ إنما أخذه عمن

(١٢) سورة المائدة آية رقم ٤٨

(١٣) سورة يوسف آية رقم ٤٢

(١٤) سورة يوسف آية رقم ٤٢

(١٥) سورة يوسف آية رقم ٤٥

(١٦) في (أ) : المذكور وهو تحريف .

(١٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

لا يدري من هو ..؟ ولا شك في أنه شيء سمعه فذكره لأنه رضى الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله ﷺ ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به ، لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين : إما أنه هم بالايقاع بها وضربها ، كما قال تعالى : « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه^(١٨) » . وكما يقول القائل : لقد همت بك .

لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه الله إياه استغنى به عن ضربها ، وعلم أن الفرار أجدى عليه ، وأظهر لبراءته ، على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قدّ القميص . والوجه الثانى : أن الكلام تم عند قوله .. ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خيرا آخر فقال : وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه أى أنه كان يهيم بها لولا أن رأى برهان ربه^(١٩) وهذا هو ظاهر الآية بلا تكلف تأويل .

وبهذا نقول - حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى^(٢٠) ، حدثنا ابن عون الله ، أنبأنا إبراهيم بن أحمد بن فراس ، حدثنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا اسحق بن راهويه ، أنا المومل بن اسماعيل الحميرى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية : « ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ^(٢١) » قال رسول الله ﷺ : « لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل : يا يوسف اذكر همك ، فقال يوسف : وما أبريء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء^(٢٢) » .

فليس في هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ، ولكنه فيه أنه همّ بأمر ما ، وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض ، وصح الوجه الأول ، والثانى معا ، إلا أن الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال ، وصح أن ذلك الهم هو^(٢٣) ضرب سيده ، وهى خيانة لسيده إذ هم بضرب امرأته .

وبرهان ربه هاهنا هو النبوة ، فلولا النبوة^(٢٤) وعصمة الله عز وجل إياه ، ولولا البرهان ، لكان يهيم بالفاحشة ، وهذا لا شك فيه ، ولعل من ينسب هذا إلى النبى المقدس يوسف ينزه

(١٨) سورة غافر آية رقم ٥

(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠) راجع ترجمته ص ٢١٥ من هذا الجزء .

(٢١) سورة يوسف آية رقم ٥٢

(٢٢) سورة يوسف آية رقم ٥٣

(٢٣) سقط من (أ) كلمة : هو .

(٢٤) سقط من (أ) فلولا النبوة .

نفسه الرذلة عن مثل ذلك المقام^(٢٥) فيهلك ، وقد خشى النبي ﷺ الهلاك على من ظن به ذلك الظن ، إذ قال للأنصارين حين لقيهما هَذِهِ صَفِيَّةُ^(٢٦) .

قال أبو محمد : ومن الباطل الممتنع أن يظن ظان أن يوسف عليه السلام همّ بالزنا ، وهو يسمع قول الله تعالى « كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ^(٢٧) » .

فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء ..؟ فلا بد من^(٢٨) أنه سوء ، ولو قال إنه ليس بسوء لعائد الإجماع فإذا هو سوء ، وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهمّ بيقين ، وأيضاً فإنها قالت : « ما جزاء من أراد باهلك سوءاً^(٢٩) » وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق .

إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين « فصح أنها كذبت وإذ كذبت^(٣٠) بنص القرآن فما أراد بها قط سوءاً فما هم بالزنا قط ، ولو أراد بها الزنا لكانت من الصادقين ، وهذا بين جدا .

وكذلك قوله تعالى عنه أنه قال : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين^(٣١) » فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن^(٣٢) فصح عنه أنه قط لم يصب إليها .
وبالله تعالى التوفيق .

تم الكلام في يوسف عليه السلام .

(٢٥) في (أ) : هذا .

(٢٦) الحديث رواه البخارى في الاعتكاف ٨ ورواه مسلم في السلام ٣٥ ورواه الداريمى في الصوم ٥٥ ورواه أبو داود في الاعتكاف باب المعتكف يدخل البيت لحاجته رقم ٢٤٧٠ ولفظه عند أبي داود : عن صفية قالت : كان رسول الله - ﷺ معتكفاً فأتته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليلتي ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي - ﷺ أسرعا فقال النبي - ﷺ : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حى » قالوا : سبحان الله يا رسول الله قال : إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً أو قال : شرّاً .

(٢٧) سورة يوسف آية رقم ٢٤

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٢٥

(٣٠) سقط من (أ) وإذ كذبت .

(٣١) سورة يوسف آية رقم ٣٣

(٣٢) سورة يوسف آية رقم ٣٤

الكلام في موسى عليه السلام وأمه

قال أبو محمد : ذكروا قول الله تعالى : « وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها^(١) » فمعناه فارغاً من الهم بموسى جملة ، لأن الله عز وجل قد وعدها برده إليها ، إذ قال لها تعالى : « إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين^(٢) » .

فمن الباطل المحض أن يكون الله تعالى ضمن لها رده إليها ثم يصبح قلبها مشغولاً بالهم بأمره .

هذا ما لا يظن بذي عقل أصلاً ، وإنما معنى قوله تعالى إن كادت لتبدي به ، أى سروراً بما أتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لأخته « قصيه » إنما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى في تخليصه من يدي فرعون عدوه .. بعد وقوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده إليها فبعثت أخته لترده بالوحى .

وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام : « وأخذ برأس أخيه يجره إليه^(٣) » قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي^(٤) .

قالوا وهذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره ، وهو نبي مثله ، وأسن منه ولا ذنب له . قال أبو محمد : وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين .

أحدهما : أنه أخذ برأس أخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له إذ تأخر عن اتباعه إذ رآهم ضلوا ، ولم يأخذ بشعر أخيه قط إذ ليس ذلك في الآية أصلاً ، ومن زاد ذلك فيها فقد

(١) سورة القصص رقم ١٠

(٢) سورة القصص آية رقم ٧

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٠ وقد جاءت هذه الآية محرفة في الأصل حيث ذكر (فأخذ) .

(٤) سورة طه آية رقم ٩٤ وقد ذكر في الأصل هذه الآية على أنها تنتم للأولى وهو خطأ .

كذب على الله تعالى ، لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام ، وسطوة ، وأورآه^(٥) قد اشتد غضبه فأراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه .

وليس في هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ، ولا أنه مد يده إلى أخيه أصلاً ، وبالله تعالى التوفيق .

والثاني : أن^(٦) هارون عليه السلام قد يكون استحق في نظر موسى عليه السلام النكير لتأخروه^(٧) عن لحاقه ، إذ رآهم ضلوا فأخذه^(٨) برأسه منكراً عليه ، ولو كان هذا لكان إنما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل ، وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ، ولسنا نبعد ذلك من الأنبياء عليهم السلام . وإنما نبعد القصد إلى المعصية ، وهم يعلمون أنها معصية ، وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم خليله ﷺ إذ قال « والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين^(٩) » وقول الله تعالى لمحمد ﷺ : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر^(١٠) » . إنما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد إلى الله تعالى إرادة الخير فلم يوافق رضى الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام « أقتلت نفسا زكية بغير نفس^(١١) » .

فأنكر موسى عليه السلام الشيء وهو لا يعلمه ، وقد كان أخذ عليه العهد أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لا حجة لهم فيه ، لأن ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله : « لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا^(١٢) » فرغب إليه ألا^(١٣) يؤاخذة بنسيانه ، ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من أنهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الأمر ، وقدر أن الغلام زكى إذ لم يعلم له ذنباً ، وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل ، فقصد موسى عليه السلام بكلامه في ذلك وجه الله تعالى والرحمة ، وإنكار ما لم يعلم وجهه .

(٥) في (أ) : إذ .

(٦) في (أ) : زيادة يكون .

(٧) في (أ) : لتأخروه .

(٨) في (أ) : فأخذ .

(٩) سورة الشعراء آية رقم ٨٢

(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢

(١١) سورة الكهف آية رقم ٧٤

(١٢) سورة الكهف آية رقم ٧٣

(١٣) في (أ) : أنه لا يؤاخذة .

وذكروا قول موسى عليه السلام « فعلتها إذا وأنا من الضالين^(١٤) » فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة ، فإنه كان ضالاً عما اهتدى له بعد النبوة ، ضلال الغيب عن العلم ، كما تقول : أضللت بعيري لاضلال القصد إلى الإثم .

وهكذا قول الله تعالى لنبيه ﷺ : « ووجدك ضالاً فهدى^(١٥) » .

أى ضالا عن المعرفة - وبالله تعالى التوفيق .

وذكروا قول الله عز وجل عن بنى إسرائيل : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم^(١٦) » .

قالوا : وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال : « رب أرني أنظر إليك . قال لن تراني^(١٧) » .

قالوا : فقد سأل موسى عليه السلام أمراً عوقب سألوه قبله .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه . لأنه خارج على وجهين :

أحدهما أن موسى عليه السلام سأل ذلك قبل سؤال بنى إسرائيل رؤية الله تعالى ، وقبل أن يعلم أن سؤال ذلك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه ، لأنه سأل فضيلة عظيمة أراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى .

والثاني : أن بنى إسرائيل سألوا ذلك متعنتين وشكاً في الله عز وجل ، وموسى سأل ذلك على الوجه الحسن ، الذى ذكرنا آنفاً .

(١٤) سورة الشعراء آية رقم ٢٠

(١٥) سورة الضحى آية رقم ٧

(١٦) سورة النساء آية رقم ١٥٣

(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

الكلام في^(١) يونس عليه السلام

قال أبو محمد : وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه .. وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين^(٢) .

وقوله تعالى : « فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون^(٣) » .

وقوله لنبيه عليه السلام : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم^(٤) » .

وقوله تعالى : « فالتقمه الحوت وهو مليم^(٥) » .

قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل وَمَنْ أَكْبَرُ^(٦) ذنبًا ممن ظن أن الله لا يقدر عليه ..؟

وقد أخبر الله تعالى أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة الله عز وجل ، وأنه استحق الملامة وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين ، ونهى الله تعالى نبيه أن يكون مثله .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين .

أما إخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضبًا فلم يغضب ربه قط ، ولا قال الله تعالى أنه

(١) في (أ) : علي يونس .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧

(٣) سورة الصافات آية رقم ١٤٣ ، ١٤٤

(٤) سورة القلم آية رقم ٤٨ ، ٤٩

(٥) سورة الصافات آية رقم ١٤٢

(٦) في (خ) : وَمِنْ ذَنْبٍ مَنْ ظَنَّ .

غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلًا على الله الكذب وزائدًا في القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه تعالى فكيف أن يفعل ذلك نبي من الأنبياء ؟ فعلمنا يقينًا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك ، وإن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضاء الله عز وجل .
وأما قوله تعالى : « فظن أن لن نقدر عليه^(٧) » .

فليس على ما ظنوه من الظن السخيف ، الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء ، أو بضعيف من الرجال ، إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل ، فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ..؟ ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله تعالى الذي أرسله بدينه ، لا يقدر عليه ، وهو يرى أن آدميًا مثله يقدر عليه ، ولا شك في أن من نسب هذا إلى النبي^(٨) الفاضل^(٩) - صلى الله عليه وسلم - فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه ، أو إلى ابنه ، فكيف إلى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُفْضِلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى^(١٠) » ؟؟؟

فقد بطل ظنهم بلا شك وضح أن معنى قوله : « فظن أن لن نقدر عليه » .

أى ألا^(١١) نضيق عليه ، كما قال تعالى : « وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه^(١٢) » .

أى ضيق عليه ، فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه إذ ظن أنه محسن في فعله ذلك ، وأما نهى الله عز وجل لمحمد^(١٣) صلى الله عليه وسلم عن أن يكن كصاحب الحوت . فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه ، وأمره بالصبر على أذاهم ، وبالمطالبة^(١٤) لهم .
وأما قول الله تعالى إنه استحق الدم ، والملامة ، وأنه^(١٥) لولا النعمة التي تداركه بها للبت معاقبًا في بطن الحوت .

(٧) سورة الأنبياء آية رقم ٨٧

(٨) في (أ) : للنبي :

(٩) سقطت من (أ) كلمة : الفاضل .

(١٠) الحديث رواه البخارى ٣٢٥/٦ في الأنبياء باب وإن يونس لمن المرسلين ومسلم رقم ٢٣٧٦ في الفضائل باب في ذكر يونس عليه

السلام ، وأبو داود رقم ٤٦٧٠ في السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولفظه : كان رسول الله يقول : ما ينبغي لبنى أن

يقول أنا خير من يونس بن متى .

(١١) في (أ) : أى لن .

(١٢) سورة الفجر آية رقم ١٦

(١٣) في (خ) : لنبيه .

(١٤) في (أ) : وبالمقاومة لهم - وهذا تحريف .

(١٥) سقطت من (أ) وأنه .

فهذا نفس ما قلناه من أن الأنبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه ،
مما يظنونه خيراً وقربة إلى الله عز وجل ، إذا لم يوافق مراد ربهم ، وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بأنه
كان من الظالمين ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . فلما وضع النبي ﷺ المغاضبة في غير
موضعها ، اعترف في ذلك بالظلم ، لا على أنه قصده وهو يدري أنه ظلم .
انقضى الكلام في يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق .

الكلام في داود عليه السلام

وذكروا أيضاً قول الله تعالى حاكياً عن داود عليه السلام « هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان إلى قوله فغفرنا له ذلك^(١) » .

قال أبو محمد: وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون ، الكاذبون ، المتعلقون بخرافات ولدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بنى آدم ولا شك ، مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغى أحدهما على الآخر^(٢) بنص الآية .

ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل ، وقوله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة ، لأن الله تعالى يقول : « هل أتاك نبأ الخصم » .

فقال هو : لم يكونوا قط خصماً^(٣) [وهذا تكذيب مجرد لله تعالى ، وهذا كفر محض وأقر على نفسه أنهم كانوا ملائكة وأنهم قالوا : خصمان فقال هو لم يكونوا قط خصمين] ولا بغى بعضهم على بعض ، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ، ولا كان للآخر نعجة واحدة ، ولا قال له أكفليها ، فاعجبوا لم يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم ؟ ونعوذ بالله من الخذلان .

ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله أن كل امرئ منا ليصون نفسه ، وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، هذه أفعال السفهاء ، المهتوكين^(٤) ، الفساق ، المتمردين ، لا فعل أهل البر ، والتقوى ،

(١) سورة ص من آية ٢١ - ٢٥

(٢) سقطت من (أ) كلمة : الآخر .

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) في (أ) : المهتوكين وهو خطأ لأن الفعل : (هتك) واسم المفعول منه (مهتك) .

فكيف برسول الله ﷺ؟؟.. الذى أوحى إليه كتابه ، وأجرى على لسانه كلامه ، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله ، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟ وأما استغفاره عليه السلام وخروجه ساجداً ومغفرة الله تعالى له ، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة ، والاستغفار : فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي ولا من مذنّب ، ولا من غير مذنّب ، فالنبي يستغفر الله لمذنبى أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم^(٥) » .

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام « وظن داود أنما فتناه^(٦) » .

وقوله تعالى : « فغفرنا له ذلك^(٧) » .

فقد ظن^(٨) داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة .

فقد كان رسول الله ﷺ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه .

فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ، فغفر الله له هذا الظن ، إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من

ذلك فتنة .

(٥) سورة غافر آية رقم ٧

(٦) سورة ص آية رقم ٢٤

(٧) سورة ص آية رقم ٢٥

(٨) ن (أ) : يظن .

الكلام في سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب^(١) » .

قال أبو محمد : « ولا حجة لهم في هذا إذ معنى قوله تعالى : « فتنا سليمان » . إن أى^(٢) أتيناها من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء^(٣) » .

فصح^(٤) أن من الفتنة ما هدى^(٥) الله تعالى بها من يشاء وقال تعالى ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين^(٦) » .

فهذه الفتنة هي الاختبار ، حتى يظهر المهتدى من الضال ، فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط ، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود ، وأشباههم . وأما الجسد الملقى على كرسيه ، فقد أصاب الله تعالى به ما أراد ، نؤمن بهذا كما هو ، ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا^(٧)، ولو جاء نص صحيح في القرآن وعن رسول الله ﷺ بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به ، فإذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ، ولا خبر صحيح ، فلا يحل لأحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث . فى ذلك ، فيكون كاذباً على الله عز وجل إلا أننا لا نشك ألبتة فى بطلان قول من قال إنه كان جنياً تصور بصورته ، بل نقطع على أنه

(١) سورة ص آية رقم ٣٤

(٢) سقطت من (أ) كلمة : أى .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥

(٤) سقطت من (أ) فصح .

(٥) فى (أ) : من يهدى الله من يشاء .

(٦) سورة العنكبوت آية رقم ١ ، ٢ ، ٣

(٧) سقطت من (خ) كلمة « الله » .

كذب ، والله تعالى لا يهتك ستر رسوله ﷺ هذا الهتك ، وكذلك نبعد قول من قال إنه كان ولدًا له أرسله إلى السحاب لتربيته ، فسلیمان عليه السلام كان أعلم من أن يرى ابنه لغير ما طيع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن ، والطعام ، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح إسنادها قط . وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام « إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق^(٨) » . وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل من أهل زماننا وغيره ، فكيف بنبي معصوم مفضل من^(٩) أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة .

قال أبو محمد : وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت أفانين من النوك^(١٠) والظاهر أنها من اختراع زنديق بلا شك ، لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها ، واتلاف مال منتفع به بلا معنى ، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها ، وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف نبي مرسل .؟؟؟

ومعنى هذه الآية ظاهر بين ، وهو أنه عليه السلام أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب ، أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بمحاجباها ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها ، وأعناقها بيده ، برأ بها واکراماً لها ، هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره ، وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ولدوه^(١١) من قتل الخيل ، وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ ؟ وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله ﷺ أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفنَّ اللَّيْلَةَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا امْرَأَةً كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ تَلِدُ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(١٢) » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل الله عز وجل فقد أحسن ، ولا يجوز أن يظن به أنه يجهل أن ذلك لا يكون إلا أن يشاء الله عز وجل ، وقد جاء في نص الحديث المذكور أنه إنما ترك إن شاء الله نسياناً فأوخذ بالنسيان في ذلك ، وقد قصد الخير وهذا نص قولنا ، والحمد لله رب العالمين .

تم الكلام في سليمان عليه الصلاة والسلام .

(٨) سورة ص آية رقم ٢٢ ، ٢٣

(٩) في (أ) : في .

(١٠) في (أ) : من القول .

(١١) في (أ) : إلى ما ذكروه .

(١٢) الحديث رواه البخاري في الأيمان ٣ والكفارات ٩ ، ورواه مسلم في أيمان ٢٥ ، ٢٣ والنسائي في أيمان ٤٠ ، ٤٣ ، و ٤٥ والترمذي

في النذور ٧ ولفظه عند مسلم عن النبي - ﷺ قال : قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله ، فقال له صاحبه أو الملك قل : إن شاء الله فلم يقل : ونس فلم تأت واحدة من نساته إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله - ﷺ ولو قال : إن شاء الله لم يحنث وكان ذرئاً له في حاجته .

« فصل »

وذكروا قول الله تعالى : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين^(١) » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأنه ليس في نص الآية ولا عن رسول الله ﷺ أن هذا المذكور كان نبياً ، وقد يكون إنباء الله تعالى لهذا المذكور آياته أنه أرسل إليه رسولا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب ، فكان من الغاوين وإذا صح أن نبياً لا يعصى الله عز وجل تعمداً فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ، ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ، ولا يجوز أن يعاقب بذلك نبي ألبتة ، لأنه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب .
وبالله تعالى التوفيق ، فصح يقيناً أن هذا المنسلخ لم يكن قط نبياً .

وذكروا قول رسول الله ﷺ أن ما من أحد إلا من ألمّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا - أو كلاماً هذا معناه^(٢) .

قال أبو محمد : وهذا صحيح وليس خلافاً لقولنا إذ قد بينا أن الأنبياء عليهم السلام يقع منهم النسيان ، وقصد الشيء يظنونهم قرينة إلى الله تعالى فأخبر عليه السلام أنه لم ينج من هذا أحد إلا يحيى بن زكريا عليها السلام ، فيقوم من هذا أن يحيى لم ينسى شيئاً واجباً عليه قط .
ولا فعل إلا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل .

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٧٥
(٢) الحديث ذكر في مسند أبي يعلى الموصلي بسند عن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ قال : ما أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أوهم بخطيئته ليس يحيى بن زكريا .
في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، ويوسف بن مهرا ن وهو مختلف فيه .

الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم^(١) » .

وقوله تعالى : « عبسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى^(٢) » .

وبالحديث الكاذب الذى لم يصح قط فى قراءته عليه السلام فى « والنجم إذا هوى^(٣) » .

وذكروا تلك الزيادة المفتراه التى تشبه من وضعها من قولهم : وإنما لهى الغرائيق العلى وان شفاعتهن لترجى وذكروا قول الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته^(٤) » .

ويقوله تعالى : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله^(٥) » .

وأن الوحي امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء إذ سأله اليهود عن الروح . وعن ذى القرنين ، وأصحاب الكهف ، ويقوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه^(٦) » .

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

(٢) سورة عبس آيات ١ إلى ١٠

(٣) سورة النجم آية رقم ١

(٤) سورة الحج آية رقم ٥٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها : « وما أرسلنا قبلك » بحذف كلمة « من » .

(٥) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤

(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

وبما روى من قوله عليه السلام . « لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ^(٧) »
إذ قبل الفداء وترك قتل^(٨) الأسرى بيدرو وما روى من قوله عليه السلام : « لو نزل عذاب ما نجى
منه إلا عمر^(٩) » .

لأن عمر أشار بقتلهم .

وذكروا أنه عليه السلام مال إلى رأى أبى بكر في الفداء والاستبقاء^(١٠) ويقوله تعالى : « ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر^(١١) » .

قالوا : فإن لم يكن^(١٢) له ذنب فماذا غفر له ؟ وبأى شيء امتن الله عليه في ذلك .. ؟

ويقوله ﷺ : « وَلَوْ دُعِيْتُ إِلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ يُوسُفُ لَأَجَبْتُ^(١٣) » .

فإنما هذا إذ دعى إلى الخروج من السجن فلم يجب إلى الخروج حتى قال للرسول .. ارجع
إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم .

فأمسك عن الخروج من السجن وقد دعى إلى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبن
وبرأته وتيقن بذلك من كان شك فيه فأخبر محمد ﷺ أنه لو دعى إلى الخروج من السجن
لأجاب ، وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه ، كما ذكرنا من كلامه عليه السلام .

« وَلَوْ لَيْتُ فِي السُّجْنِ مَا لَيْتَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ دُعِيْتُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ^(١٤) » .

أو كلاما هذا معناه .

وأما قول الله عز وجل : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر^(١٥) » .

فقد بينا أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام ليست إلا ما وقع بنسيان ، أو بقصد ، إلى
ما يظنونه خيرا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم ، فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل
له .

(٧) الحديث رواه مسلم في باب الجهاد والمذكور هنا جزء من هذا الحديث : ولفظه : لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة : شجرة
قرية من نبي الله - ﷺ .

(٨) في (خ) : هذا وهو تحريف .

(٩) في (خ) : والاستفتاء .

(١٠) سورة الفتح آية رقم ٢

(١١) في (خ) : سقطت كلمة (لم) .

(١٢) الحديث رواه البخارى في الأنبياء من ١١ ، ١٩ وتفسير سورة ١٢ ورواه مسلم في الإيمان ٢٣٨ ، والترمذى تفسير سورة ١٢ ولفظه

عند مسلم : ولو لبيت في السجن طول لبيت يوسف لأجبت الداعي .

(١٣) سبق تخرج هذا الحديث .

(١٤) سورة الفتح آية رقم ٢

(١٥) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

وأما قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم^(١٦) » .
فإنما الخطاب في ذلك للمسلمين ، لا لرسول الله ﷺ وإنما كان ذلك إذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المنشقين عليه^(١٧) .

يبين ذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم^(١٨) » .

وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى « يجادلونك في الحق بعدما نبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون^(١٩) » .

وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذي احتج به من خالفنا « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة^(٢٠) » .

فهذا نص القرآن . وقد رد الله عز وجل الأمر في الأنفال المأخوذة يومئذ إلى رسول الله ﷺ .

وأما الخبر المذكور الذي فيه لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، ولو نزل عذاب ما نجا منه إلا عمر .

فهذا خبر لا يصح لأن المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامي^(٢١) وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث أو سوء الحفظ أو الخطأ الذي لا يجوز معهما الرواية عنه ، ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من أنه قصد الخير بذلك .

وأما قوله « عبسى وتولى ... » الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ورجا إسلامه ، وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم باسلامه ناس كثير ، ولظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين ، والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الأمر ، ونهاية التقرب إلى الله الذي لو فعله اليوم منا فاعل لأجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك^(٢٢) الأعمى الفاضل ، البر

(١٦) سورة الأنفال آية رقم ٦٨

(١٧) في (أ) : المتشتين عليه وهو تحريف .

(١٨) سورة الأنفال آية رقم ١

(١٩) سورة الأنفال آية رقم ٦

(٢٠) سورة الأنفال آية رقم ٦٧

(٢١) لم نعثر له على ترجمة .

(٢٢) في (خ) : سقطت كلمة (ذلك) .

التقى ، وهذا هو^(٢٣) نفس ما قلناه ، وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث ، وقام من اثنتين ، ولا سبيل إلى أن يفعل من ذلك شيئاً بعمد أصلاً^(٢٤) ، نعم ولا يفعل ذلك بعمد إنسان منا فيه خير .

وأما الحديث الذى فيه : « وإنهن الغرائق العلى وإن شفاعتها لترتجى » فكذب بحت موضوع لأنه لم يصح قط من طريق النقل ، فلا معنى للاشتغال به ، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد .

وأما قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان^(٢٥) » الآية .

فلا حجة لهم فيها لأن الأمانى الواقعة في النفس لا معنى لها ، وقد تمنى النبي ﷺ إسلام عمه أبى طالب ، ولم يرد الله عز وجل أن يسلم وتمنى غلبة العدو يوم أحد ولم يرد الله عز وجل^(٢٦) كون ذلك ، فهذه هى^(٢٧) الأمانى التى ذكرها الله عز وجل لا ، سواها وحاشا لله من^(٢٨) أن يتمنى نبي معصية الله تعالى^(٢٩) وهذا الذى قلنا هو ظاهر الآية دون تزيد ولا تكلف^(٣٠) ولا يحل خلاف الظاهر ، إلا بظاهر آخر ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما قوله تعالى : « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت^(٣١) » .

فقد كفى الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في آخر الآية أن ذلك كان نسيانا فعوقب عليه السلام في ذلك .

وأما قوله تعالى : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه^(٣٢) » .

فقد أنفنا^(٣٣) أن ذلك لم يكن معصية أصلاً ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به وإنما كان إرادة

(٢٣) سقطت من (أ) كلمة (هو) .

(٢٤) من ذلك أن رسول الله ﷺ انصرف من اثنتين فقال له ذو اليمين أقصرت الصلاة أو نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله أصدق ذو اليمين ؟ فقال الناس نعم . فصلى رسول الله اثنتين آخرين ثم سلم ، ثم كبر ثم سجد مثل سجوده أو أطول ... الخ .

(٢٥) سورة الحج آية رقم ٥٢

(٢٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٧) سقط من (أ) كلمة : هى .

(٢٨) سقط من (أ) كلمة : من .

(٢٩) فى (أ) : وبالله تعالى التوفيق ونقص : الله تعالى .

(٣٠) فى (أ) : دون مزيد تكلف .

(٣١) سورة الكهف آية رقم ٢٣ ، ٢٤

(٣٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧

(٣٣) فى (خ) : فقد انفقتنا .

زواج مباح له فعله ، ومباح له تركه ، ومباح له طيه ، ومباح له إظهاره ، وإنما خشى النبي ﷺ الناس في ذلك ، خوف أن يقولوا قولاً ويظنوا ظناً ، فيهلكوا كما قال عليه السلام للأنصارين « إنها صفة (٣٤) » فاستعظما ذلك فأخبرهما النبي ﷺ أنه إنما خشى أن يلقي الشيطان في قلوبهما شيئاً وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك أديانهم لظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخدولون المخالفون لنا في هذا الباب من نسبتهم إلى النبي ﷺ تعمد المعاصي ، فهلكت أديانهم ، وضلوا ، ونعوذ بالله من الخذلان . وكان مراد الله عز وجل أن ييدى ما في نفسه لما كان سلف في علمه من السعادة لأمننا زينب (٣٥) رضى الله عنها .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : إنكم تحتجون كثيراً بقول الله عز وجل « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (٣٦) » .

ويقوله .. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً (٣٧) .

ويقوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (٣٨) » ويقول عليه السلام « إني لأنتقام لله وأعلمكم بما آتى وآذركم (٣٩) » وتقولون من أجل هذه النصوص أن كل قول قاله عليه السلام فيوحى من الله قاله ، وكل عمل عمله فيأذن من الله تعالى ورضى منه عمله ، فأخبرونا عن سلامه ﷺ من ركعتين (٤٠) ، ومن ثلاث ، وقيامه من اثنتين ، وصلاته الظهر خمسيناً (٤١) ، وإخباره بأنه يحكم بالحق في الظاهر ، لمن لا يحل له أخذه ممن يعلم أنه في باطن الأمر بخلاف ما حكم له به من ذلك (٤٢) .؟ أبوحى من الله تعالى وبرضاء فعلى كل ذلك ؟ أم كيف تقولون ؟ وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان أن الأمر

(٣٤) راجع هذا الحديث في ص ٣٤

(٣٥) سبق الترجمة لها ص ٦

(٣٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٣٧) سورة النساء آية رقم ٦٥

(٣٨) سورة الأحزاب آية رقم ٢١

(٣٩) الحديث رواه البخارى في الإيمان ١٣ والنكاح ١ ومسلم في الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ وصاحب الموطأ في الصيام ١٣ واحمد بن حنبل ح ٣ ص ١٧ ولفظه عند مسلم : عن عمر بن أبى سلمة أنه سأل رسول الله - ﷺ : أيقبل الصائم فقال رسول الله : سل هذه (لأم سلمة) فأخبرته أن رسول الله يضيع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فقال له رسول الله : أما والله إني لأنتقام لله وأخشاكم له) .

(٤٠) في الحديث الذى رواه البخارى : صلى نبي الله - ﷺ الظهر أو العصر ركعتين فسلم فقال له ذو اليمين الصلاة يا رسول الله أنقصت فقال النبي لأصحابه أحق ما يقول : قالوا : نعم فصل ركعتين أخيرين ثم سجد سجدة .

(٤١) في الحديث الذى رواه مسلم : صلى بنا رسول الله - ﷺ خمسيناً فقلنا : يا رسول الله أزيد في الصلاة ؟.. قال : وما ذلك ؟.. قالوا صليت خمسيناً فقال : إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون ثم سجد سجدة السهو .

(٤٢) كما في الحديث الذى رواه مسلم : قال رسول الله - ﷺ إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما أسمع منه ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار وفي لفظ : إنما أنا بشر .

بخلاف ذلك ، إم لا ..؟

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل ما ذكر هاهنا فبوحى من الله تعالى فعله .

وكل من قدر ولم يشك في أنه أتم صلاته فالله تعالى أمره بأن يسلم ، فإذا علم بعد ذلك أنه يسهى فقد لزمته الإتمام وسجود السهو . برهان ذلك أنه لو تبادى ولم يسلم قاصداً إلى الزيادة في صلاته على تقديره أنه^(٤٣) قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلا شك باطنًا وظاهرًا ، ولاستحق اسم الفسق ، والمعصية ، وكذلك من قدر أنه لم يصل إلا ركعة واحدة أو أنه لم يتم صلاته ، فالله تعالى أمره^(٤٤) بالزيادة في صلاته يقينًا حتى لا يشك في الإتمام وبأن يقوم إلى ثانية عنده ، فمتى علم بأن الأمر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو . وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدًا مستهزئًا ، أو سلم من ثلاث عنده متعمدًا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية ، لأنه فعل خلاف ما أمره الله تعالى به .

وكذلك أمره الله ، وأمرنا ، بالحكم بالبينّة العادلة عندنا وباليمين من المنكر وإقرار المقر ، وإن كانت البينة عامدة لكذب في غير علمنا وكانت اليمين والإقرار كاذبين في الباطن ، وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التي لو علمنا الباطن لحرمت علينا ، وهكذا في الفروج والأموال .

برهان ذلك : أن حاكمًا لو شهدت بينة عدلة عنده فلم يقضى بها وقضى باليمين على المنكر الذى لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضى فاسقًا بلا خلاف عاصيًا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به ، وإن وافق حقًا لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له أن يرضيا بالحكم بالبينّة واليمين ، وأن يصيرا في أنفسهما إلى حقيقة علمهما في أخذ الحق وإعطائه - وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذكروا قول الله تعالى : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا^(٤٥) » بتخفيف الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وإنما معناه أن الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم أنهم كذبوهم فيما وعدوهم من نصرهم ، ومن المحال البين أن يدخل في عقل من له أدنى رفق أن الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه وأتمهم علما وأعرفهم بالله عز وجل ؟ ومن نسب هذا إلى نبي فقد نسب إليه الكفر ، ومن أجاز على^(٤٦) نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك .

(٤٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤٤) في (أ) : فإن الله .

(٤٥) سورة يوسف آية رقم ١١٠

(٤٦) في (أ) : إلى .

والذى قلنا هو ظاهر الآية ، وليس فيها أنهم ظنوا^(٤٧) أن الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا .

وذكروا أيضاً قول الله تعالى : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك^(٤٨) » .

قال أبو محمد : إنما عهدنا هذا الاعتراض من الكفار^(٤٩) من أهل الكتاب وغيرهم ، وأما من يدعى أنه مسلم فلا ، ولا يمكن ألبتة أن يكون مسلم يظن أن رسول الله ﷺ كان شاكاً في صحة الوحي إليه .

ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك أن : (إن) في هذه الآية المذكورة بمعنى (ما) التى للجحد بمعنى « وما كنت في شك مما أنزلنا إليك ثم أمره أن يسأل أهل الكتاب تقريراً لهم على أنهم يعلمون أنه نبي مرسل مذكور عندهم في التوراة ، والإنجيل ، وبالله التوفيق . قال أبو محمد : هذا كل ما موهوا به قد تفصيناه ، وبيناه وأرينا أنه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا ، وبالله التوفيق . ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في الإتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا وبطلان قول مخالفنا .

قال الله تعالى : « وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة^(٥٠) » . وقال تعالى : « وما كان لبشر أن يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله^(٥١) » .

فوجدنا الله تعالى وهو أصدق القائلين قد نفى عن الأنبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ، ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن حكم الغلول كحكم سائر الذنوب ، وقد صح الإجماع بذلك ، وأن من جوز على الأنبياء عليهم السلام شيئاً من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول ، ومن نفى الغلول نفى عنهم سائر الذنوب ، وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الإجماع على أنها سواء والغلول . وقال عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون^(٥٢) » .

(٤٧) سقط من (أ) : أنهم ظنوا .

(٤٨) سورة يونس آية رقم ٩٤

(٤٩) سقط من (أ) من الكفار .

(٥٠) سورة آل عمران آية رقم ١٦١

(٥١) سورة آل عمران آية رقم ٧٩

(٥٢) سورة الجاثية آية رقم ٢١

قال أبو محمد : فلا يخلو مخالفنا الذي يميز أن يكون الأنبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما .

إما أن يقول : إن في سائر الناس من لم يعصى قط^(٥٣) ولا اجترح سيئة . قيل له : فمن هؤلاء الذين نفى الله عز وجل عنهم أن يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم ؟ إذ كانوا غير موجودين في العالم ، فلا بد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغاً لا معنى له ، وهذا كذب من قائله ، أو يقول هم الملائكة فإن قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها « سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

ولا نص ولا إجماع على أن الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به ، بل البرهان موجب أن لا يموتوا لأن الجنة دار لا موت فيها ، والملائكة سكان الجنات^(٥٤) فيها خلقوا وفيها يخلدون أبداً ، وكذلك الحور العين وأيضاً فإن الموت إنما هو فراق النفس للجسد المركب ، وقد نص رسول الله ﷺ على أن الملائكة خلقوا من نور^(٥٥) فليس فيها شيء يفارق شيئاً فيسمى موتاً ، فإن اعترض معترض بقوله : « كل نفس ذائقة الموت^(٥٦) » لزمه أن حمل هذه الآية على عمومها أن الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت ، وقد أبعد الله تعالى ذلك قال^(٥٧) الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون^(٥٨) » .

فعلمنا بهذا النص أن قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » إنما عنى به من كان في غير الجنة من الجن والإنس وسائر الحيوان المركب الذي يفارق روحه جسده . وبالله تعالى التوفيق . ويرد أيضاً قوله إن قال بهذا قول رسول الله ﷺ : « ما من أحد إلا وقد ألم أو كاد الا يحيى بن زكريا^(٥٩) » أو يقول إن في الناس من لم يجترح سيئة قط وإن من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل ، فإن قال ذلك فإن الأنبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات ، وفي سائر الناس من لا يجترحها فوجب أن يكون في الناس من هو أفضل من الأنبياء عليهم السلام

(٥٣) سقط من (أ) قط .

(٥٤) في (أ) : الجنان .

(٥٥) لفظ الحديث : خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم « راجع تفريغ هذا الحديث

في ص ٧

(٥٦) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥

(٥٧) في (أ) : (عنه) .

(٥٨) سورة العنكبوت آية رقم ٦٤

(٥٩) سبق تفريغ هذا الحديث ص ٤٣

وهذا كفر مجرد^(٦٠) وما قدرنا أن أحدًا ممن ينتمى إلى الإسلام^(٦١) ولا إلى أهل الكتاب ينطق^(٦٢) لسانه بهذا حتى رأينا للمعروف بابن الباقلاني^(٦٣) فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمناني^(٦٤) قاضى الموصل أنه قد يكون في الناس بعد النبي ﷺ من هو أفضل من النبي ﷺ من حين يبعث إلى حين يموت ، فاستعظمنا ذلك ، وهذا شرك مجرد ، وقدح في النبوة لا خفاء به ، وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية أنهم يقولون : إن الولي أفضل من النبي ، وكنا لا نحقق هذا على أحد يدين بدين الإسلام إلى أن وجدنا هذا الكلام كما أوردنا^(٦٥) فنعوذ بالله من الارتداد بعد الإيمان^(٦٦).

قال أبو محمد : ولو أن هذا الضال المضل يدرى ما معنى لفظة أفضل ، ويدرى فضيلة النبوة ، لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا تكذيب للنبي ﷺ إذ يقول : « إني لأتقاكم لله وإني لست كهيتتكم وإني لست مثلكم^(٦٧) » .

فإذا قد صح بالنص أن في الناس من لم يجترح سيئة ، وأن من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل ، فالأنبياء عليهم السلام أحق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام .

يقول الله عز وجل : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس^(٦٨) » فأخبر تعالى أن الرسل صفوته من خلقه .

وقد اعترض علينا بعض المخالفين بأن قال فما تقول فيمن بلغ فآمن ، وذكر الله مرات ومات إثر ذلك ، أو في كافر أسلم وقاتل مجاهدا فقتل .. ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

أن نقول : أما من كان كافرا ثم أسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ما هو أعظم من السموات والأرض ، وإن كان قد غفر له بإيمانه ، ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئات ، وأما من بلغ فآمن ، وذكر الله تعالى ثم مات ، فقد كان هذا ممكنا في طبيعة

(٦٠) سقط من (أ) كلمة : مجرد .

(٦١) في (أ) : بزيادة (أهل) .

(٦٢) في (أ) : ينطلق .

(٦٣) سبق الترجمة له في ص ٥

(٦٤) سبق الترجمة له في ص ٥

(٦٥) في (أ) : أردنا وهو تحريف .

(٦٦) سقط من (أ) كلمة : بعد الإيمان .

(٦٧) الحديث رواه البخارى في الإيمان ١٣ ، والنكاح ١ والاعتصام ٢٧ ورواه مسلم في الصيام ٧٤ ، والحج ١٤١ ورواه صاحب الموطأ

في الصيام ١٣ واحمد بن حنبل في المسند ح ٣ ص ٢١٧ وح ٥ ص ٤٣٤ .

(٦٨) سورة الحج آية رقم ٧٥

العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون^(٦٩) » .

فإن الله تعالى قطع قطعاً لا يردّه إلا كافر بأنه لا يجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن أن الصحابة رضی الله عنهم وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ليس منهم أحد إلا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا أن يكون من أسلم إثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضی الله عنهم وهذا خلاف قول النبي ﷺ .

أنه لو كان لأحدنا مثل أحد ذهباً فأنفقه لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه^(٧٠) .

فإذ هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ أحق بالتصديق لاسيما مع قوله عليه السلام « ما من أحد إلا ألمّ بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا » فنحن نقطع قطعاً بما ذكرنا أنه لا سبيل إلى أن يبلغ أحد حد التكليف إلا ولا بد له من أن يجترح سيئات الله أعلم بها وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : ومن البرهان على أنه لا يمكن^(٧١) ألبتة أن يعصى نبي بعهد قول رسول الله ﷺ « ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين^(٧٢) لما قال له الأنصاري هلا أو مات إليّ في قصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٧٣) » فنفى عليه السلام عن جميع الأنبياء عليهم السلام أن تكون لهم خائنة الأعين ، وهو أخف ما يكون من الذنوب ، ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها .

قال أبو محمد : وأيضاً فإننا مندوبون إلى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وإلى الاتساء^(٧٤) بهم في أفعالهم كلها قال الله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر^(٧٥) » .

(٦٩) سورة الجاثية رقم ٢١

(٧٠) الحديث رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي - ﷺ ٥ ورواه مسلم في فضائل الصحابة ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ورواه أبو داود في السنة ١٠ والترمذي في المناقب ٥٨ ، وابن ماجه في المقدمة ١١ واحمد بن حنبل حد ٣ ص ١١ ، ٥٤ .

(٧١) في (أ) : أنه لم يكن .

(٧٢) الحديث رواه أبو داود رقم ٢٦٨٣ في الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام والنسائي ١٠٥/٧ ، ١٠٦ في تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد ولفظه عند أبي داود : ألا أوامات إلينا بعينك ؟.. قال : إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين .

(٧٣) هو : عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث - أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله - ﷺ ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة . فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله - ﷺ بقتله ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاة فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله بعدما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له ، ولاء عثمان مصر سنة ٢٥ هـ وفتح على يديه أفريقية سنة ٢٧ هـ توفي بأفريقيا سنة ٣٦ هـ رحمه الله (الاستيعاب حد ٣ ص ٩١٩ ، ٩٢٠) .

(٧٤) الاتساء : التأسي والاقتداء .

(٧٥) سورة الأحزاب آية رقم ٢١

وقال تعالى : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده^(٧٦) » .

فصح يقينا أنه لو جاز أن يقع من أحد من الأنبياء عليهم السلام ذنب بعمد صغير أو كبير ، لكان الله عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا إلى الذنوب ، وهذا كفر مجرد ممن أجازته وقد صح يقينا أن جميع أفعال الأنبياء التي يقصدونها خير وحق .

قال أبو محمد : وأيضا فقد صح عن النبي ﷺ عظيم^(٧٧) انكاره على ذى الخويصرة^(٧٨) لعنه الله ولعن أمثاله ، إذ قال الكافر اعدل يا محمد ، إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله .

فقال له رسول الله ﷺ : ويحك من يعدل إذا أنا لم أعدل أيأمننى الله ولا تأمنونى^(٧٩) ..؟ وقوله عليه السلام لأم سلمة أم المؤمنين إذ سألته عن الذى قبل امرأته فى رمضان ألا أخبرتها أنى فعلت ذلك^(٨٠) ..؟ وغضب عليه السلام إذ قال له : لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

فأنكر عليه السلام إذ جعل له ذنبا بعمد وإن صغر .

وقال له عليه السلام : إني والله لأعلمكم بالله وأتقاكم لله^(٨١) أو كلاما هذا معناه . فإن قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب إلى الإيتساء بهم عليهم السلام قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

انكار ما ثبت كإجازته ما لم يثبت ، سواء سواء^(٨٢) ولا فرق ، والسهو منهم قد ثبت بيقين وأيضاً فإن ندب الله تعالى لنا إلى الإيتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم ، لأن الإيتساء بالسهو يمكن إلا بسهو منا ، ومن المحال أن نندب إلى السهو أو نكلف السهو ، لأننا لو قصدنا إليه لم يكن حيثئذ سهواً ، ولا يجوز أيضاً أن ننهى عن السهو لأن الانتهاء عن السهو ليس فى بنيتنا ، ولا فى وسعنا وقد قال تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها^(٨٣) » .

(٧٦) سورة الأنعام آية رقم ٩٠

(٧٧) سقط من (أ) كلمة « عظيم » .

(٧٨) ترجم له فى ص

(٧٩) الحديث رواه البخارى فى الخمس ١٩ ورواه مسلم فى الزكاة ١٤٠ ولفظة عند مسلم : فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ، ثم قال

يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصير ٧٠

(٨٠) الحديث رواه مسلم رقم ١١٠٨ باب أن القبلة فى الصوم ليست محرمة ورواه صاحب الموطأ ٢٩١/١ و ٢٩٢ باب ما جاء فى الرخصة

فى القبلة للصائم ولفظة فى الموطأ : أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم فى رمضان فوجد من ذلك رجلاً شديداً فأرسل امرأته فسألت أم سلمة فأخبرتها أن رسول الله يفعله ، فأخبرت زوجها فزاده ذلك شراً وقال : لسنا مثل رسول الله - ﷺ - إن الله يحل لرسوله ما شاء ... الخ .

(٨١) سبق تخرىج هذا الحديث ص ٤٩

(٨٢) سقط من (أ) كلمة : سواء .

(٨٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦ .

ونقول أيضا إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسول الله ﷺ إذ سها .

وأیضا فإن الله تعالى لا یقر الأنبياء عليهم السلام على السهو بل ينههم في الوقت ، ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم یبین لنا مراده منا في الدين . وهذا تكذيب لله عز وجل إذ يقول تعالى « تبيانا لكل شيء^(٨٤) » .

وإذ يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم^(٨٥) » .

وقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم^(٨٦) » .

قال أبو محمد : فسقط قول من نسب إلى الأنبياء عليهم السلام شيئا من الذنوب بالعمد ، صغيرها وكبيرها ، إذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلاً ، وإذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذى الخويصرة .

قال أبو محمد : ولو جاز من الأنبياء عليهم السلام شيء من المعاصي فقد ندبنا إلى الإيتساء بهم ، وبأفعالهم ، لكننا قد أبيضت لنا المعاصي وكنا لا ندري لعل جميع ديننا ضلال وكفر ، ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ، ولقد قلت يوماً لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد : أليس من الصغائر تقبيل المرأة الأجنبية وقرصها^(٨٧)؟ فقال : نعم . فقلت له : تجوز أنه يظن بالنبي ﷺ أن يقبل امرأة غيره متعمداً ؟ فقال : معاذ الله من هذا ورجع إلى الحق من حينه - والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما^(٨٨) » .

قال أبو محمد : ومن الباطل المحال أن تتم^(٨٩) نعمة الله على عبد ويعصى الله بما كبر أو ما صغر ، إذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة ، بل ناقصة إذ خذله فيما عصى فيه .

وقال تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه^(٩٠) » .

(٨٤) سورة النحل آية رقم ٨٩

(٨٥) سورة المائدة آية رقم ٣

(٨٦) سورة الأنعام آية رقم ١١٩

(٨٧) في (خ) : وتعرضها .

(٨٨) سورة الفتح آية رقم ١ ، ٢

(٨٩) في (أ) : أن يتم الله نعمته .

(٩٠) سورة الفتح آية رقم ٨ ، ٩

وقال الله تعالى : « قل أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون - لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم^(٩١) » .

قال أبو محمد : وما أقر^(٩٢) برسول الله ﷺ ولقد بلغ الغاية القصوى في الاستهزاء برسول الله ﷺ من جوز أن يكونوا سراقا أو زناة ، ولاطه ، وبغائين ، ووالله ما نعلم كفرا أعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسوله وبالدين أعظم من كفر أهل هذه المقالة .

وليت شعري ما الذى أمنهم من كذبهم في التبليغ لأننا^(٩٣) لا ندرى لعلهم بلغوا إلينا الكذب عن الله تعالى .

قال أبو محمد : فنقول لهم : ولعل أفعاله التى نأتسى بها تبديل للدين ومعاصي الله عز وجل ولا فرق .

قال أبو محمد : وما نعلم أهل قرية أشد سعيًا في إفساد الإسلام وكيدته من الرافضة^(٩٤) وأهل هذه المقالة ، فإن كلتا الطائفتين الملعونتين أجازتا تبديل الدين وتحريفه ، وصرحت هذه الفئة مع ما أطلقت على الأنبياء من المعاصي بأن الله تعالى إنما تعبدنا في دينه بغالب ظنوننا ، وأنه لا حكم لله إلا ما غلب عليه ظن المرء منا ، وإن كان مختلفا متناقضا ، وما نمتري في أنهم ساعون في إفساد أعمار^(٩٥) المسلمين المحسنين بهم الظن - ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : فإن قال قائل إنكم تقولون إن الأنبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو ، والقصد ، إلى الخير ، إذا لم يوافق مراد الله عز وجل^(٩٦) فيها وأوخذ رسول الله ﷺ بسهوه في الصلاة ؟ قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام ، وهكذا نص عليه السلام في حديثه الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي إلى نبي ، فكل ذكر خطيئة أو سكت ،

(٩١) سورة التوبة آية رقم ٦٦

(٩٢) هذه الجملة معطوفة على ما قاله أبو محمد سابقًا .

(٩٣) في (خ) : (لكنا) .

(٩٤) الرافضة : الذين كانوا أتباع زيد بن علي بن أبي طالب ثم تركوه ، لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين فقال : لقد كانا وزري جدى

فلا أتبرأ منهما فرفضوه ، وتفرقوا عنه . وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت ، وعلى هذا جاء قول القائل :

إن كان رفضًا حب آل محمد

فليشهـد التقـلان أنى رافضى

الفرق بين الفرق ص ٢١ الهامش .

(٩٥) الثمر : بسكون الميم وضمها : أى من لم يجرب الأمور وبانه : ظرف .

(٩٦) في (أ) : مراد الله تعالى .

فلما ذكروا النبي ﷺ قال قائلهم : عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٩٧) فبطل أن يؤاخذ بما غفره الله ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فإن قال قائل : أيجوز أن يكون نبي من الأنبياء عليهم السلام يأتي معصية قبل أن يتنبأ ؟ [فجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن كل نبي فإنه قبل أن ينبا^(٩٨) لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما أن يكون متعبداً بشريعة نبي أتى قبله كما كان عيسى عليه السلام وأنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا متعبدين بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام^(٩٩) . وإما أن يكون قد نشأ في قوم قد درست شريعتهم ، ودثرت ونسيت كما في بعث محمد ﷺ في قوم^(١٠٠) قد نسوا شريعة إسماعيل ، وإبراهيم ، عليهما السلام .

قال تعالى : « ووجدك ضالاً فهدى^(١٠١) » .

وقال تعالى : « لتنذر قوما ما أنذرتهم^(١٠٢) » فإن كان النبي متعبداً بشريعة ما ، فقد أبطلنا آنفاً أن يكون نبي يعصى ربه أصلاً .

وإن كان نشأ في قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ، ولا مأمور بما لم يأت به أمر الله تعالى به بعد فليس عاصياً لله تعالى في شيء يفعله ، أو يتركه ، إلا أننا ندرى أن الله عز وجل قد طهر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به ، لأن العيب أذى ، وقد حرم الله عز وجل أن يؤذى رسوله . قال تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً^(١٠٣) » .

قال أبو محمد : فبيقين ندرى أن الله تعالى صان أنبياءه عن أن يكونوا البغية أو من ولادة^(١٠٤) بغى ، أو من بغايا ، بل بعثهم الله تعالى في حسب قومهم ، فإذا لا شك في هذا فبيقين ندرى أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة ، فدخل في ذلك السرقة ، والعدوان ، والقسوة ، والزنا ، واللباطة ، والبغى ، وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم ، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره .

(٩٧) لقوله تعالى : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .

(٩٨) سقط ما بين القوسين من (أ) .

(٩٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٠٠) سقط من (أ) كلمة : في قوم .

(١٠١) سورة الضحى آية رقم ٧

(١٠٢) سورة يس آية رقم ٦

(١٠٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٧

(١٠٤) في (أ) : أولاد .

وقد صح عن النبي ﷺ في هذا ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى ، أنا ابن فرج ، أنا إبراهيم بن محمد فراس ، أنبأنا أحمد بن محمد بن سالم النيسابورى ، أنا إسحاق بن راهويه ، أنا وهب بن جرير بن حازم أنا أبى أنبأنا محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن عبد الله بن قيس ابن مخزومة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، « عن أبيه هو ابن الحنفية عن أبيه هو على ابن أبى طالب ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (١٠٥) :

ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاها يعصمنى الله منهما . قلت ليلة (١٠٦) لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهلها (١٠٧) ترعى أبصر لى غنمى حتى أثمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فلما خرجت فجمت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف وزمير ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت ، فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبى فقال لى ما فعلت قلت ما فعلت شيئاً فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته (١٠٨) .

قال أبو محمد : فصح أنه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة قبل (١٠٩) النبوة ، ولا بعدها ، ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ، ولا بعدها ، إلا مرتين بالسمر . حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد ، والههم حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ، ولكنه بما يجذوا إليه طبع البشرية (١١٠) من استحسان منظر حسن فقط ، وبالله تعالى التوفيق . تم الكلام فى الأنبياء عليهم السلام .

(١٠٥) سقط من (أ) ما بين القوسين ، وراجع ترجمة محمد بن الحنفية ص ٢٨٠ من هذا الجزء .

(١٠٦) سقط من (أ) ليلة .

(١٠٧) فى (أ) : لها .

(١٠٨) الحديث رواه الهيثمى بسنده عن على بن أبى طالب ، وذكره ابن كثير فى التاريخ ح ٢ ص ٢٨٧ وقال : وهذا حديث غريب جداً

وقد يكون عن على نفسه .

(١٠٩) سقط من (خ) كلمة : لا .

(١١٠) فى (أ) : البرية .

الكلام في الملائكة عليهم السلام

قال أبو محمد : قد ذكرنا قبل أمر هارون وماروت ونزيدها هنا بيانا في ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

إن قوما نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأت به قط أثر يجب أن يشتغل به ، وإنما هو كذب مفتري من أنه تعالى أنزل إلى الأرض ملكين وهما هاروت وماروت ، وأنهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر ، وحكما بالزور وقتلا النفس المحرمة^(١) ، وزنيا وعلما زانية اسم الله الأعظم فطارت به إلى السماء فمسخت كوكبا وهى الزهرة ، وأنهما عذبا في غار بيبابل^(٢) ، وأنهما يعلمان الناس السحر .. وحجتهم على ما في هذا الباب خبر روينا من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعي ، ومرة يقال له الحنفي ، ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة ، وليست أيضا عن رسول الله ﷺ ولكنه أوقفها على بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكذبة أخرى في أن حد الخمر لم^(٣) يسنه رسول الله ﷺ وإنما هو شيء فعلوه ، وحاشا لهم رضى الله عنهم من هذا .

قال أبو محمد : ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد « ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين^(٤) » فقطع الله عز وجل أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق ، وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ، ولا تعليم العواهر أسماءه عز وجل ، التى يرتفع بها إلى السماء ، ولا السحر من الحق ، بل

(١) و (أ) : سقطت كلمة المحرمة .

(٢) بابل : بكسر الباء ، اسم ناحية منها الكوفة وقيل : بابل العراق والكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول ويقال : إن أول من سكنها نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وقد روى أن عمره سأل دهقان الفلوجة عن عجائب بلادهم فقال : كانت بابل سبع ممد و كل مدينة أعجوبة ليست في الأخرى ... راجع معجم البلدان ج ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٣) و (أ) : ليس .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٨

كل ذلك من الباطل ، ونحن نشهد أن الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل . وإذا لم تنزل به فقد بطل أن تفعله ، لأنها لو فعلته في الأرض لنزلت به ، وهذا باطل وشهد عز وجل أنه لو أنزل علينا الملائكة لما أنظرنا^(٥)، فصح أنه لم ينزل قط ملك ظاهر إلا لنبي بالوحي فقط ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وكذلك قوله تعالى : « ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلاً^(٦) » .

فأبطل عز وجل أنه يمكن ظهور ملك إلى الناس وقال تعالى : « ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون^(٧) » .

فكذب الله عز وجل كل من قال : إن ملكا نزل قط من السماء ظاهرا إلا إلى الأنبياء بالحق ، من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل : وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين^(٨)... الآية

فرفع الله تعالى الإشكال بهذا النص في هذه المسألة ، وقرن عز وجل نزول الملائكة في الدنيا برؤيته عز وجل فيهما ، فصح ضرورة أن نزولهم في الدنيا إلى غير الأنبياء ممتنع ألته لا يجوز . وإن من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا ، أي ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى أن ملكين نزلوا إلى الناس فعلماهما السحر ، وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة إلى الناس ، وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا ، وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة أبداً إلى يوم القيامة فقط ، وأنه لا بشرى يومئذ للمجرمين .

فإذ لا شك في هذا كله فقد علمنا ضرورة أنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل . إما أن هارون وماروت لم يكونا ملكين وأن « ما » في قوله : وما أنزل على الملكين نفى لأن ينزل عليهما^(٩) ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلاً من الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ، ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا تعلمان الناس السحر .

(٥) في (أ) : ملائكة لما نظرنا .

(٦) سورة الأنعام آية رقم ٩

(٧) سورة الأنعام آية رقم ٨

(٨) سورة الفرقان آية رقم ٢١ ، ٢٢

(٩) في (أ) : على الملكين .

وقد روينا هذا القول عن خالد بن أبي عمران وغيره ، وروى عن الحسن البصرى^(١٠) أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام .

وكان يقول : إن هاروت وماروت عُلجان من أهل بابل . إلا أن الذى لا شك فيه على هذا القول أنهما لم يكونا ملكين . وقد اعترض هاهنا^(١١) بعض الجهال فقال لى : أبلغ من رفق الشياطين^(١٢) أن يقولوا للذى يتعلم السحر لا تكفر فقلت له : هذا الاعتراض يطل من ثلاث جهات أحدها : أن نقول لك وما المانع من أن يقول الشياطين ذلك ، إما سخرتًا وإما لما شاء الله تعالى فلا سبيل لك إلى دليل مانع من هذا .

والثانى : أنه قد نص الله عز وجل على أن الشيطان قال : إني أخاف الله .

فقال تعالى : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم .. إلى قوله تعالى : « إني أخاف الله والله شديد العقاب^(١٣) » .

وقال تعالى : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين^(١٤) » . فقد أمر الشيطان الإنسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره أنه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال : إني أخاف الله .

فأى فرق بين أن يقول الشيطان للإنسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه ، ويقول إني أخاف الله ، وبين أن يعلمه السحر ويقول له لا تكفر .

والثالث : أن معلم السحر بنص الآية قد قال للذى يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكًا أو شيطانًا قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له : لا تكفر ، فلم تنكر هذا من الشيطان ؟ ولا تنكره بزعمك من الملك ؟ وأنت تنسب إليه أنه يعلم السحر الذى هو^(١٥) عندك ضلال وكفر . وأما أن يكون هاروت وماروت ملكين نزلوا بشريعة حق ويعلم ما ، على أنبياء ، فعلماهم الدين ، وقال لهم لا تكفروا نهياً عن الكفر بحق وأخبراهم أنهم فتنه يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر

(١٠) الحسن البصرى : هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد تابعى ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة ، ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وشب في كنف على بن أبي طالب - رضى الله عنه ، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان في عهد معاوية وسكن البصرة وتولى بها عام ١١٠ هـ تهذيب التهذيب .

(١١) سقط من (أ) كلمة : هاهنا .

(١٢) فى (أ) : الشياطين .

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٨

(١٤) سورة الحشر آية رقم ١٦

(١٥) فى (أ) : سقط كلمة : هو .

به ، ويهدى بهما من آمن بما أتيا به^(١٦) قال تعالى عن موسى أنه قال له : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء^(١٧) » .

وكما قال تعالى : « ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون^(١٨) » .

ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفرًا بعد أن كان إيمانًا ، كما نسخ تعالى شرائع التوراة والإنجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ ، وبالجملة فما في الآية نص ولا دليل على أن الملكين علما السحر ، وإنما هو إقحام أقحم في الآية بالكذب والإفك ، بل فيها بيان أنه لم يكن سحرًا بقوله تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل^(١٩) » [فصح أن السحر شيء غير الذي أنزل على الملكين]^(٢٠).

ولا يجوز أن يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئًا واحدًا إلا ببرهان من نص أو إجماع أو ضرورة ، إلا فلا أصلًا .

وأيضًا فإن بابل هي الكوفة وهي بلد معروف بقربها ، محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح أنه خرافة موضوعة إذ لو كان ذلك لما خفى مكانهما على أهل الكوفة ، فبطل التعلق بهاروت وماروت ، والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وقد ادعى قوم أن إبليس كان ملكًا فعصى وحاشا لله من هذا ، لأن الله تعالى قد أكذب هذا القول بقوله تعالى : « إلا إبليس كان من الجن^(٢١) » .

ويقوله : « أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني^(٢٢) ولا ذرية للملائكة ، ويقوله تعالى : « إنه يرآكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم^(٢٣) » .

ويأخبره أنه خلق إبليس من نار السموم ، وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « خلقت الملائكة من نور » . والنور غير النار بلا شك ، فصح أن الجن غير الملائكة ، والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن ، والجن كالإانس فيهما مذموم ومحمود .. فإن قال قائل إن الله عز وجل ذكر أنهم قالوا « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك^(٢٤) » .

(١٦) في (أ) : سقط : بما أتيا به .

(١٧) سورة الأعراف آية رقم ١٥٥

(١٨) سورة العنكبوت آية رقم ١

(١٩) سورة البقرة آية رقم ١٠٢

(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢١) سورة الكهف آية رقم ٥٠

(٢٢) سورة الكهف آية رقم ٥٠

(٢٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٧

(٢٤) سورة البقرة آية رقم ٣٠

هذه تزكية لأنفسهم ، وقد قال تعالى .. فلا تزكوا أنفسكم^(٢٥) .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

مدح المرء لنفسه^(٢٦) ينقسم قسمين أحدهما . ما قصد به المرء الإفتخار^(٢٧) بغياً وانتقاصاً لغيره فهذه هي التزكية ، وهو مذموم جداً والآخر : ما خرج مخرج الإخبار بالحق كقول رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وفضلت على الأنبياء بست^(٢٨) » وكقول يوسف عليه السلام « اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم^(٢٩) » .

ولا يسمى هذا تزكية .

ومن هذا الباب قول الملائكة ها هنا ، برهان هذا أنه لو كان قولهم مذموماً لأنكره الله عز وجل عليهم ، فإذا لم ينكره الله تعالى فهو صدق .

ومن هذا الباب قولنا : نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الخواريين : نحن أنصار الله .

فكل هذا إذا قصد به الحض على الخير لا الفخر ، فهو خير .

فإن قال قائل : إن الله تعالى قال لهم : « إني أعلم ما لا تعلمون^(٣٠) » .

قلنا : نعم وما شك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون ، وليس هذا إنكاراً .

وأما الجن فقد قلنا : إنهم متعبدون بملة الإسلام .

وقد صح عن النبي ﷺ أن الروث والعظام طعام إخواننا من الجن^(٣١) .

وهذا بخلاف حكمنا ، فقد يخصصهم الله عز وجل بأوامر بخلاف أوامرنا ؛ كما للنساء شرائع

ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك ، وكما لقريش الإمامة ، وليست لغيرهم وكل ذلك دين الإسلام - وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢٥) سورة النجم اية رقم ٣٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت « ولا » بانواو بدلاً من (الفاء) .

(٢٦) في (أ) : نفسه .

(٢٧) في (أ) : افتخار .

(٢٨) الحديث أخرجه الترمذى رقم ٣٦١٨ في المناقب ، ورواه مسلم في ٢٢٧٨ في الفضائل باب تفضيل نبينا - ﷺ - على جميع

الخلائق . والحديث الثاني فضلت على الأنبياء بست رواه مسلم رقم ٥٢٣ في المساجد في فاتحته والترمذى رقم ١٥٥٣ في السير باب ما جاء في الغنيمة .

(٢٩) سورة يوسف آية رقم ٥٥

(٣٠) سورة البقرة آية رقم ٣٠

(٣١) الحديث رواه النسائي في الطهارة ٣٤ ، ٣٥ ، والبخارى في الوضوء ٢١ ورواه مسلم في الطهارة ٥٨ ، وأبو داود في الطهارة ٤

والترمذى في الطهارة ١٤ ، وابن ماجه في الطهارة ١٦ وأحمد بن حنبل ح ٢ ص ٢٤٧ ولفظه عند مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان ... إنه نهانا أن يستنجى أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة ونهى عن الروث والعظام .

هل يكون مؤمناً من اعتقد الإسلام دون استدلال أم لا يكون مؤمناً مسلماً إلا من استدل ..؟

قال أبو محمد : ذهب محمد بن جرير الطبري^(١) والأشعرية كلها حاشا السمناني إلى أنه لا يكون مسلماً إلا من استدل ، وإلا فليس مسلماً .

وقال الطبري : من بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء ، أو بلغ الحيض من النساء ، ولم يعرف الله عز وجل بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر ، حلال الدم ، والمال ، وقال : إنه إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على كل^(٢) ذلك ، وقالت الأشعرية : لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ .

قال أبو محمد : وقال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه ، وقال بلسانه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به حق ، وبريء من كل دين سوى دين محمد ﷺ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك .

قال أبو محمد : فاحتجت الطائفة الأولى بأن قالت : قد إتفق الجميع على أن التقليد مذموم وما لم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما ، وذكروا قول الله عز وجل « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون^(٣) » .

وقال تعالى « قال أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم^(٤) » .

وقال تعالى « أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون^(٥) » .

(١) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر : المؤرخ المفسر ، ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وتوفى بها ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، والمظالم فأبى له ، كتب : أخبار الرسل والملوك ، وجامع البيان في تفسير القرآن ، واختلاف الفقهاء وغير ذلك كثيرا . تولى سنة ٣١٠ هـ . وفيات الأعيان ح ١ ص ٤٥٦

(٢) سقط من (أ) : كل .

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٢٣

(٤) سورة الزخرف آية رقم ٢٤ وقد جاءت الآية محرفة في الأصل والمطبوعة لتبديله قال : بقل .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٧٠

وقال تعالى « وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا^(٦) » .

وقالوا فذم الله تعالى إتباع الآباء والرؤساء قالوا : وبيقين ندرى أنه لا يعلم أحد أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئا أو لا يعلمون إلا بالدليل ، وقالوا : كل ما لم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، لكن بالدليل قال الله عز وجل « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين^(٧) » .

قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا في قوله ، وقالوا : ما لم يكن علما فهو شك وظن .

قالوا : والعلم : هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة واستدلال

قالوا : والدبانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس أصلا ، فصح أنه لا يعلم ذلك إلا من طريق الاستدلال ، فإذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه ، وإذا لم يكن عالما فهو شك ظان^(٨) وذكروا قول رسول الله ﷺ في مسألة الملك في القبر (ما تقول في هذا الرجل .. ؟ فأما المؤمن أو الموقن فإنه يقول هو محمد رسول الله قال : وأما المنافق أو المرتاب فإنه يقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته^(٩)) قالوا : وقد ذكر الله عز وجل الاستدلال على الربوبية والنبوة في غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون إلا عن دليل كما قلنا .

وقال أبو محمد : « هذا كل ما موهوا به قد تقصيناها لهم غاية التقصى ، وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه على ما نبين بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى لا إله إلا هو ، بعد أن نقول قولا تصححه المشاهدة ، أن جمهور هذه الفرقة أبعد من كل من ينتمى إلى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل ، فاعجبوا لهذا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين^(١٠) » .

قال أبو محمد : أما قولهم قد أجمع الجميع على أن التقليد مذموم وإن ما لا يعرف باستدلال فإنما هو أخذ تقليدا ، إذ لا وساطة بينهما فانهم شغبوا في هذا المكان^(١١) ووثبوا فتركوا التقسيم الصحيح ، ونعم : إن التقليد لا يحل ألبتة وإنما التقليد أخذ المرء قول من دون رسول الله ﷺ ممن لم يأمرنا الله عز وجل باتباعه قط ، ولا بأخذ قوله ، بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه .

(٦) سورة الأحزاب آية رقم ٦٧

(٧) سورة البقرة آية رقم ١١١

(٨) في (أ) : ضال وهو تحريف .

(٩) الحديث رواه البخارى ١٨٨/٣ في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ، ومسلم في ٢٨٧٠ في الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة

أو النار عليه ، وأبو داود رقم ٣٢٣١ في الجنائز باب المشى في النمل بين القبور ، والنسائي ٩٨/٩٧/٤ في الجنائز باب مسألة الكافر .

(١٠) سقط من (ج) أنهم كانوا كافرين .

(١١) في (أ) : (الامكان) .

وأما أخذ المرء قول رسول الله ﷺ الذى افترض علينا طاعته وألزمنا إتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة أمره وتوعدنا على ذلك أشد الوعيد ، فليس تقليدًا [وما سماه أحد قط من أهل الحق تقليدًا]^(١٢) بل هو إيمان وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عز وجل ، وأداء للمفترض ، فموه هؤلاء القوم بأن اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل ، وبرهان ما ذكرنا أن أمرًا لو اتبع أحدًا دون رسول الله ﷺ فى قول قاله لأن فلانا قاله فقط ، واعتقد أنه لو لم يقل ذلك فلان ذلك القول لم يقل به هو أيضًا ، فإن فاعل هذا القول مقلد مخطيء عاص لله تعالى ولرسوله ، ظالم آثم . سواء كان قد^(١٣) وافق قوله ذلك الحق الذى قاله الله ورسوله أو خالفه ، وإنما فسق لأنه اتبع من لم يؤمر باتباعه ، وفعل غير ما أمره الله عز وجل أن يفعله ، ولو أن أمرًا اتبع قول الله عز وجل وقول رسول الله ﷺ لكان مطيعًا محسنًا مأجورًا غير مقلد ، وسواء وافق الحق أو وهم فأخطأ ، وإنما ذكرنا هذا لتبين أن الذى أمرنا به ، وافترض علينا هو اتباع ما جاء به رسول الله ﷺ فقط ، وأن الذى حرم علينا هو اتباع من دونه أو اختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط ، وقد صح أن التقليد باطل لا يحل ، فمن الباطل الممتنع أن يكون الحق باطلًا معاً ، والمحسن مسيئًا من وجه واحد معاً ، فإذا ذلك كذلك فممتنع من أمر الله تعالى باتباعه ليس مقلدًا ولا فعله تقليدًا ، وإنما المقلد من اتبع من لم يأمره الله تعالى باتباعه ، فسقط تمويههم بدم التقليد ، وصح أنهم وضعوه فى غير موضعه ، وأوقعوا اسم التقليد على ما ليس تقليدًا ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بدم الله تعالى اتباع الآباء والكبراء ، فهو مما قلنا آفًا سواء بسواء ، لأن اتباع الآباء والكبراء وكل من دون رسول الله ﷺ فهو من التقليد المحرم ، المذموم فاعله ، فقط قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء^(١٤) » فهذا نص ما قلنا والله الحمد .

قال أبو محمد : وأما احتجاجهم أنه لا يعرف أى الأمرين أهدى ولا هل يعلم الآباء شيئًا أم لا إلا^(١٥) بالدليل ، وإن كل ما لم يصح بدليل^(١٦) فهو دعوى ، ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما ، وذكرهم قول الله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين^(١٧) » فإن هذا ينقسم قسمين .

(١٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٣) فى (أ) : بزيادة : كان قد .

(١٤) سورة الأعراف آية رقم ٣

(١٥) سقط من (أ) كلمة : إلا .

(١٦) فى (أ) : به دليل .

(١٧) سورة البقرة آية رقم ١١١

فمن كان من الناس تنازعه نفسه إلى البرهان ولا تستقر نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ حتى يسمع الدلائل فهذا فرض عليه طلب الدلائل^(١٨)، إلا أنه إن مات شاكاً أو جاحداً قبل أن يسمع من البرهان ما يثلج صدره^(١٩) فقد مات كافراً ، وهو مخلد في النار بمنزلة من لم يؤمن من شاهد رسول الله ﷺ حتى رأى المعجزات ، فهذا أيضاً لو مات [قبل أن يرى المعجزة]^(٢٠) مات كافراً بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وإنما أوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لأن فرضاً عليه طلب ما فيه نجاته من الكفر .

قَالَ اللهُ عز وجل « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة^(٢١) » . فقد افترض الله عز وجل على كل أحد أن يقى نفسه النار .

فهؤلاء قسم وهم الأقل من الناس ، والقسم الثاني من استقرت نفسه إلى تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ وسكن قلبه إلى الإيمان ، ولم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقاً من الله عز وجل له وتيسيراً لما خلق له من الخير والحسنى ، فهؤلاء لا يحتاجون إلى برهان ولا إلى تكيف استدلال ، وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة ، والنساء ، والتجار ، والصناع ، والأكره والعباد ، وأصحاب الأئمة الذين يذمون الكلام والجدل ، والمرء في الدين .

قال أبو محمد : هم^(٢٢) الذين قال الله فيهم : « ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم^(٢٣) » .

وقال تعالى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء^(٢٤) » .

قال أبو محمد : وقد سمي الله عز وجل راشدين ، القوم الذين زين الإيمان في قلوبهم وحببه إليهم ، وكره إليهم الكفر والمعاصي فضلاً منه ونعمة ، وهذا هو خلق الله تعالى للإيمان في قلوبهم ابتداءً ، وعلى ألسنتهم ، ولم يذكر الله تعالى في ذلك استدلالاً أصلاً ، وبالله تعالى التوفيق .

وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لكبرائهم ، لأن هؤلاء مقرون بألسنتهم محققون في قلوبهم أن

(١٨) في (خ) : (الدليل) .

(١٩) في (خ) : (نفسه) .

(٢٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢١) سورة التحريم آية رقم ٦

(٢٢) سقط من (أ) هم .

(٢٣) سورة الحجرات آية رقم ٧ ، ٨

(٢٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٥

آبائهم ورؤسائهم لو كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل آبائهم ، ورؤسائهم ، والبراءة منهم ويحسون من أنفسهم النفار العظيم عن كل من سمعوا منه ما يخالف الشريعة ، ويرون أن حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الإسلام .

وهذا أمر قد عرفناه من أنفسنا حساً وشاهدناه في ذواتنا يقيناً ، فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ، ولا وجوهه ونحن والله الحمد في غاية اليقين بدين الإسلام ، وكل ما جاء به محمد ﷺ نجد أنفسنا في غاية السكون إليه ، وفي غاية النفار عن كل ما يتعرض فيه بشك ، ولقد كانت تخطر في قلوبنا خطرات سوء في خلال ذلك يبندها الشيطان ، فنكاد لشدة نفارنا عنها أن نسمع خفقان قلوبنا استبشاعاً لهما ، كما خبر رسول الله ﷺ إذ سئل عن ذلك فقالوا له : « إنَّ أَحَدُنَا لِيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالشَّيْءِ مَا أَنَّهُ يَاقِدُ فَنَضْرِبُ عَنْقَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ »^(٢٥) فأخبر رسول الله ﷺ بأن ذلك مَحْضُ الْإِيمَانِ وأخبر أنه من وسوسة الشيطان ، وأمر ﷺ في ذلك بما أمر به من التعوذ ، والقراءة ، والتفل عن اليسار ، ثم تعلمنا طرق الاستدلال وأحكامها ، والله تعالى الحمد فما زادنا يقيناً على ما كنا بل عرفنا أننا كنا ميسرين للحق ، وصرنا كمن عرف وقد أيقن بكون الفيل موجوداً سماعاً ولم يره ثم رآه ، فلم يزد يقيناً بصحة أنيته أصلاً ، لكن أرانا صحيح الاستدلال رفض بعض الآراء الفاسدة ، التي نشأنا عليها فقط كالقول في الدين بالقياس ، وعلمنا أننا كنا مقتدين بالخطأ في ذلك والله تعالى الحمد ،

وأن المخالفين لنا ليعرفون من أنفسهم ما ذكرنا إلا أنهم يلزمهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولابد ، فصح بما قلنا أن كل من أمحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون ، وليسوا مقلدين أصلاً ، وإنما كانوا يكونون^(٢٦) مقلدين لو أنهم قالوا واعتقدوا أننا إنما نتبع في الدين آباءنا وكبراءنا فقط ، ولو أن آباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد ﷺ لتركناه ، فلو قالوا : هذا واعتدوه لكانوا مقلدين كفاراً غير مؤمنين ، لأنهم إنما اتبعوا آباءهم وكبراءهم ، الذين نهوا عن اتباعهم ، ولم يتبعوا النبي ﷺ الذي أمروا باتباعه - وبالله تعالى التوفيق .

وإنما كلف الله تعالى الإتيان بالبرهان إن كانوا صادقين - يعنى الكفار - المخالفين لما جاء به محمد ﷺ هذا نص الآية ولم يكلف قط المسلمين الإتيان بالبراهين ، وإلا سقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان .

(٢٥) الحديث رواه الإمام مسلم في الإيمان ٢٠٩ وأبو داود في الأدب ١٠٩ وأحمد بن حنبل في المسند ح ٢ ص ٣٩٦ ولفظه عند مسلم : جاء ناس من أصحاب النبي - ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال : وقد وجدتموه قالوا : نعم قال : ذاك صريح الإيمان .

(٢٦) في (أ) : سقطت كلمة : يكونون .

والفرق بين الأمرين واضح ، وهو أن كل من خالف النبي ﷺ فلا برهان له أصلاً ، فكلف المجيء بالبرهان تبكيئاً وتعجيزاً إن كانوا صادقين - وليسوا صادقين فلا برهان لهم ، وأما من اتبع ما جاء به رسول الله ﷺ فقد اتبع الحق الذي قامت البراهين بصحته هنا^(٢٧) ودان بالصدق الذي قامت الحجة البالغة بوجوبه ، فسواء علم هو بذلك البرهان أو لم يعلم حسبه أنه على الحق الذي صح بالبرهان ، ولا برهان على ما سواه فهو محق مصيب^(٢٨) والحمد لله رب العالمين .

وأما قولهم : ما لم يكن علماً فهو شك ، وظن . والعلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة أو استدلال .

قالوا : والديانات لا تعرف صحتها بالحواس ولا بضرورة العقل ، فصح أنه لا تعرف صحتها إلا بالاستدلال^(٢٩) فإن لم يستدل المرء فليس عالماً ، وإذا لم يكن عالماً فهو جاهل شك ، أو ظان ، وإذا كان لا يعلم الدين فهو كافر .

قال أبو محمد : فهذا ليس كما قالوا لأنهم قضوا قضية باطلة فاسدة ، بنوا عليها هذا الاستدلال ، وهو اقحامهم في حد العلم .

قولهم : عن ضرورة واستدلال ، فهذه زيادة فاسدة لا نوافقهم عليها ، ولا جاء بصحتها قرآن ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا لغة ، ولا طبيعة ، ولا قول صاحب .

وحد العلم على الحقيقة : أنه اعتقاد الشيء على ما هو به فقط ، فكل من اعتقد شيئاً ما على ما هو به ولم يخالجه شك فيه فهو عالم به ، وسواء كان عن ضرورة حس ، أو عن بديهية عقل ، أو عن برهان استدلال ، أو عن تيسير الله عز وجل له ، وخلقه لذلك المعتقد في قلبه ولا مزيد .

ولا يجوز ألبة أن يكون محقق في اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به ، وهذا تناقض وفساد وتعارض - وباللغة تعالى التوفيق .

وأما قولهم في حديث رسول الله ﷺ في مساءلة الملك فلا حجة لهم فيه ، بل هو حجة عليهم كما هو .

لأن رسول الله ﷺ إنما قال فيه : فأما المؤمن أو المؤمن فيقول هو رسول الله .

(٢٧) في (خ) : زيادة « هنا » .

(٢٨) في (خ) : زيادة مصيب .

(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

ولم يقل عليه الصلاة والسلام فأما المستدل ، فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان إيمانه و يقينه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أما المناق أو المرتاب » ولم يقل غير المستدل فيقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته^(٣٠)» فنعم هذا قولنا لأن المناق والمرتاب ليسا موقنين ، ولا مؤمنين ، وهذه صفة مقلد للناس لا محقق ، فظهر أن هذا الخبر حجة عليهم كافية - وبالله تعالى التوفيق .

وأما قولهم : إن الله عز وجل قد ذكر الاستدلال في غير موضع من كتابه وأمر به ، وأوجب العلم به ، والعلم لا يكون إلا عن استدلال ، فهذه أيضاً زيادة أقحموها وهي قولهم : « وأمر به » فهذا لا يجدونه أبداً ، ولكن الله تعالى ذكر الاستدلال وحض عليه ، ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب إليه ، محضوض^(٣١) عليه . كل من أطاقه ، لأنه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق - نعوذ بالله عز وجل من البلاء وإنما ننكر كونه فرضاً على كل أحد لا يصح إسلام أحد دونه هذا هو الباطل المحض .

وأما قولهم : إن الله تعالى أوجب العلم به فنعم .

وأما قولهم : والعلم لا يكون إلا عن استدلال فهذه هي الدعوة الكاذبة التي أبطلناها آنفاً وأول بطلانها أنها دعوى بلا برهان - وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد .

قال أبو محمد : هذا كل ما شغبوا^(٣٢) به قد نقضناه ، والحمد لله رب العالمين . فسقط قولهم إذ تعرى من البرهان ، وكان دعوى منهم مفتراه لم يأت بها نص قط ، ولا إجماع ، وبالله التوفيق . قال أبو محمد : ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتأييده البراهين على بطلان قولهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال أبو محمد : يقال لمن قال لا يكون مسلماً إلا من استدل أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال أقبل البلوغ أم بعده ؟. ولا بد من أحد الأمرين ، فأما الطبري فإنه أجاب بأن ذلك واجب قبل البلوغ .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن من لم يبلغ ليس مكلفاً ولا مخاطباً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ فَذَكَرَ الصَّغِيرَ حَتَّى يَحْتَلِمَ^(٣٣) » فبطل جواب الطبري رحمه الله .

(٣٠) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن ماجه في الزهد ٣٢ والترمذى في الجناز ٧٠ ورواه صاحب الموطأ في الكسوف ٤ .

(٣١) في (أ) : ممدود وهو تحريف .

(٣٢) في (أ) : شعوا .

(٣٣) الحديث رواه البخارى في الطلاق ١١ والحدود ٢٢ ، وأبو داود ١٧ والترمذى في الحدود ١ ، والنسائى في الطلاق ٢١ ، وابن ماجه

في الطلاق ١٥ والداريمى في الحدود ١ ورواه أحمد بن حنبل ح ١ ص ١١٦ ، ١١٨

وأما الأشعرية : فإنهم أتوا بما يملأ الفم ، وتقشعر منها جلود أهل الإسلام ، وتصطك^(٣٤) منها المسامع ، ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل ، وهي أنهم قالوا : لا يلزم بطلب الأدلة إلا بعد البلوغ ، ولم يقتنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة ، وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين : لا يصح إسلام أحد حتى^(٣٥) يكون بعد بلوغه شاكاً غير مصدق .

قال أبو محمد : ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الإسلام بأشنع من قول هؤلاء القوم ، أنه لا يكون أحد مسلماً حتى يشك في الله عز وجل ، وفي صحة النبوة ، وفي هل رسول الله ﷺ صادق أم كاذب ؟ ولا سمع قط سامع في الهوس^(٣٦) ، والمناقضة ، والاستخفاف بالحقائق ، بأقبح من قول هؤلاء أنه لا يصح الإيمان إلا بالكفر ، ولا يصح التصديق إلا بالجحد ، ولا يوصل إلى رضا الله عز وجل إلا بالشك فيه ، وأن من اعتقد مؤقناً بقلبه ولسانه أن الله تعالى ربه لا إله إلا هو وأن محمداً رسول الله وأن دين الإسلام دين الله ، الذي لا دين غيره فإنه كافر مشرك - اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان . فوالله لولا خذلان الله تعالى الذي هو غالب على أمره ما انطق^(٣٧) لسان ذى مسكة بهذه العظيمة ، وهذا يكفى من تكلف النقض^(٣٨) لهذه المقالة الملعونة ، ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه - ونعوذ بالله من الضلال .

ثم نقول لهم : أخبرونا عن هذا الذي أوجبتم عليه الشك في الله فرضاً^(٣٩) والشك في صحة النبوة والرسالة ، كم تكون هذه المدة التي أوجبتم عليه في البقاء شاكاً مستدلاً طالباً للدلائل ؟ وكيف ان لم يجد في قريته أو مدينته ولا في إقليمه محسناً للدلائل ، فرحل طالباً للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف ، وتعذر^(٤٠) بجر أو برد أو مرض ، فاتصل له ذلك ساعات و أياماً وجمعاً وشهوراً وسنين . ما قولكم في ذلك ؟

فإن حدوا في المدة يوماً أو يومين ، أو ثلاثة ، أو أكثر من ذلك ، كانوا متحكمين بلا دليل ، وقائلين بلا هدى من الله تعالى .

(٣٤) في (أ) : تصدأ .

(٣٥) في (خ) : (إلا بأن يكون) .

(٣٦) في (أ) : في الهوى وهو تحريف والعجيب أن الكثير من مبادئ الفلسفة الحديثة في الغرب خصوصاً ما يتصل منها بالجانب العقدي أو الاشرافي منقول برمته من علماء المسلمين فمثلاً منهج الشك عند ديكارت هو بعينه الطريق إلى الشك الذي وضعه الغزالي ، والملاحظة والتجربة عند فرنسيس بيكون فكان تكون قريبة مما قاله جابر بن حيان والحسن بن الهيثم . والكثير من علمائهم لا ينكرون هذه الحقيقة .

(٣٧) في (أ) : ما انطلق .

(٣٨) في (خ) : «النقص» بالصاد .

(٣٩) سقط من (أ) لفظ «الله» .

(٤٠) في (أ) : من بحر وهو تحريف .

ولم يعجز أحد عن أن يقول في تحديد تلك المدة بزيادة ، أو نقصان ، ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله .

وإن قالوا : لا نجد في ذلك حدًا قلنا لهم : فإن امتد كذلك حتى يموت^(٤١) ، أو مات في مدة استدلاله التي حددتم له ، وهو شك في الله تعالى ، وفي النبوة ، أي موت مؤمنًا وتجب له الجنة أم يموت كافرًا وتجب له النار ..؟

فإن قالوا : بل^(٤٢) يموت مؤمنًا تجب له الجنة ، أتوا بأعظم الطوام ، وجعلوا الشك في الله الذين هم عندهم شكك مؤمنين من أهل الجنة ، وهذا كفر محض ، وتناقض لا خفاء به ، وكانوا مع ذلك قد سمحوا في أن يبقى المرء دهره كله شاكًا في الله عز وجل ، وفي النبوة والرسالة .

فإن قالوا : بل يموت كافرًا تجب له النار .

قلنا لهم : لقد أمرتموه بما فيه هلاكه ، وأوجبتم عليه ما فيه دماره ، وما يفعل الشيطان إلا هذا في أمره بما يؤدي إلى الخلود في النار .

وإن قالوا : بل هو في حكم أهل الفترة .

قلنا لهم : هذا باطل .

لأن أهل الفترة لم تأتهم الذمارة ولا بلغ إليهم خبر النبوة ، والنص إنما جاء في أهل الفترة ، ومن زاد في الخبر ما ليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ، ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق .

ما حد الاستدلال الموجب لاسم الإيمان عندكم ؟ وقد يسمع دليلًا عليه اعتراض أيجزيه^(٤٣) ذلك الدليل أم لا ؟

فإن قالوا يجزيه . قلنا لهم : ومن أين وجب أن يجزيه وهو دليل معترض فيه ، وليس هذه الصفة من الدلائل مخرجه عن الجهل إلى العلم بل هي مؤديه^(٤٤) إلى الشك الذي كان عليه قبل الاستدلال .

فإن قالوا : بل لا يجزيه الا حتي يوقن أنه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه ، كلفوا الناس^(٤٥) ما ليس في وسع أكثرهم ، وما لا يبلغه الا قليل من الناس ، في طويل من الدهر وكثير من البحث .

(٤١) في (أ) : حتى فنى عمره .

(٤٢) في (أ) : سقط كلمة (بل) .

(٤٣) في (أ) : الجزية وهو تحريف ظاهر .

(٤٤) في (أ) : بل هي مردودة في الشك .

(٤٥) سقط من (أ) كلمة : الناس .

ولقد درى الله تعالى أنهم أصغار من العلم بذلك ، يعنى أهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة . قال أبو محمد : ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنه لا يشك أحد ممن يدري شيئا من السير من المسلمين واليهود ، والنصارى والمجوس ، والمنانية والدهرية ، فى أن رسول الله ﷺ مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى ، وبما أتى به ويقاتل من أهل الأرض من قاتله ممن عنده ويستحل سفك دمائهم ، وسبى نسائهم وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، متقرباً إلى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية وإصغاره^(٤٦) ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله ، وولده ، ويحكم له بحكم الإسلام ، وفيهم المرأة البدوية ، والراعى ، والراعية ، والغلام الصحراوى الوحشى ، والزنجى المسبى ، والزنجية المجلوبة ، والرومى ، والرومية ، والأغبر^(٤٧) الجاهل ، والضعيف فى فهمه ، فما منهم أحد ، ولا من غيرهم .

قال له عليه السلام : إني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين إلا حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه .

قال أبو محمد : لسنا نقول : إنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض ، قطعاً كقطعنا على ما شاهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد ، ولا رد إسلام أحد حتى يستدل ، ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم ، أولهم عن آخرهم ، ولا يختلف أحد فى هذا الأمر .

ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون عليه السلام يغفل أن يبين للناس ما لا يصح لأحد الإسلام الا به ، ثم تتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم^(٤٨) ذكره جميع أهل الإسلام وتنبه له هؤلاء الأشقياء .

ومن ظن أنه وقع من الدين على ما لم يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كافر بلا خلاف . فصح أن هذه المقالة خرق^(٤٩) للإجماع ، وخلاف لله تعالى ولرسوله ﷺ .
وجميع أهل الإسلام قاطبة .

فإن قالوا : فما كانت حاجة الناس إلى الآيات المعجزات ، وإلى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن ، واعجازه به ، وبدعاء اليهود إلى تمنى الموت ، ودعاء النصارى إلى المباهلة ، وشق القمر ؟

(٤٦) فى (أ) : وأصغاره بالفاء وهو تحريف ظاهر .

(٤٧) فى (أ) : الأغبر : وهو تحريف .

(٤٨) سقط من (خ) كلمة : عدم .

(٤٩) فى (أ) . خلاف .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : قد قلنا^(٥٠): إن الناس قسمان : قسم لم تسكن نفوسهم^(٥١) إلى الإسلام ، ولا دخلها التصديق ، فطلبوا منه عليه السلام البراهين فأراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت ، وطائفة عندت وجاهرت فكفرت ، وأهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الأدلة^(٥٢) فرضاً ولا بد كما قدمنا^(٥٣).

وقسم آخر : وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق عز وجل في نفوسهم الإيمان كما قال تعالى - بل الله يئنّ عليكم أن هدأكم للإيمان إن كنتم صادقين^(٥٤)» فهؤلاء آمنوا له عليه السلام بلا تكليف [آية ، وأهل هذه الصفة هم اليوم المعتقدون للإسلام حقاً بلا معرفة باستدلال]^(٥٥).

قال أبو محمد : ويلزم أهل هذه المقالة أن جميع أهل الأرض كفار إلا الأقل ، وقد قال بعضهم إنهم مستدلون .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة هو يدري أنه فيها كاذب ، وكل من سمعه يدري أنه فيها كاذب لأن أكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدري معنى الاستدلال فكيف أن يستعمله ...؟

قال أبو محمد : ويلزم من قال بهذه المقالة أن لا يأكل من اللحم إلا ما ذبحه هو أو من يدري أنه مستدل ، وأن لا يوطأ إلا زوجة يدري أنها مستدلة . ويلزمه أن يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله ، وأن يفاق امرأته التي تزوج في تلك المدة ، وأن لا يرث أخاه ولا أباه ولا أمه ، إلا أن يكونوا مستدلين ، وأن يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيله ، وعمل المغيرة والمنصورية في خنق^(٥٦) كل من أمكنهم وقتله ، وأن يستحلوا أموال أهل الأرض ، بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لأن جهاد الكفار فرض وهذا كله إن التزموه طردوا أصولهم ، وكفونا^(٥٧) أنفسهم ، وإن لم يقولوا بذلك تناقضوا .

فصح أن كل من اعتقد الإسلام بقلبه ، ونطق به بلسانه ، فهو مؤمن عند الله عز وجل ، ومن أهل الجنة ، سواء كان ذلك عن قبول ، أو نشأة ، أو عن استدلال ، وبالله تعالى التوفيق .

(٥٠) في (أ) : سقط كلمة : قد قلنا .

(٥١) في (أ) : قلوبهم .

(٥٢) في (أ) : الاستدلال .

(٥٣) في (أ) : كما قدمنا .

(٥٤) سورة الحجرات آية رقم ١٧

(٥٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٥٦) في (أ) : في ذبح .

(٥٧) في (أ) : وكفروا أنفسهم .

وأيضاً فنقول لهم : هل استدل من مخالفيتكم في أقوالكم التي تدينون بها أحد أم لم يستدل قط أحد غيركم ؟ فلا بد من اقرارهم بأن مخالفيتهم أيضاً قد استدلوها وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل ولا فرق^(٥٨) وأنتم عندهم أيضاً مخطئون .

فإن قالوا : إن الأدلة أمتنا من أن نكون مخطئين .

قلنا لهم : وهذا نفسه هو قول خصومكم فإنهم يدعون أن أدلتهم دلتهم^(٥٩) على صواب قولهم ، وخطأ قولكم ، ولا فرق . مازالوا على هذه الدعوى مذ كانوا إلى يومنا هذا ، فما نراكم حصلتم من استدلالكم إلا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق .

فإن قالوا لنا : فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة وتبطل الدلائل^(٦٠) كافة :

قلنا : معاذ الله من هذا .

لكن أريناك أنه قد يستدل من يخطيء ، وقد يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى فقط . وقد لا يستدل من يخطيء ، وقد لا يستدل من يصيب ، بتوفيق الله تعالى ، وكل ميسر لما خلق له .

والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة ، فمن وفق للحق^(٦١) الذي قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب ، محق ، مؤمن ، استدل أو لم يستدل .

ومن يسر للباطل ، الذي قام البرهان عند غيره ببطلانه ، فهو مبطل مخطيء ، أو كافر ، سواء استدل أو لم يستدل ، وهذا هو الذي قامت^(٦٢) البراهين بصحته .

والحمد لله رب العالمين . وبالله تعالى التوفيق .

(٥٨) سقط من (أ) ولا فرق .

(٥٩) سقط من (أ) كلمة : دلتهم .

(٦٠) في (أ) : الدليل .

(٦١) في (أ) : فمن وافق الحق .

(٦٢) في (أ) : قام البرهان .

الكلام في الوعد والوعيد

قال أبو محمد : اختلف الناس في الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول . منهم من قال : إن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولكنه كافر أو فاسق أو كافر نعمة أى^(١) أن كل من مات مصرّاً على كبيرة من الكبائر فلم يمّت مسلماً ، وإذا لم يمّت مسلماً فهو مخلد في النار أبداً .

وأن من مات ولا كبيرة له ، أو تاب عن كبائره قبل موته فإنه^(٢) مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار أصلاً .

ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو مخرج عن الإيمان والإسلام فإن مات عليه فهو غير مسلم . وغير المسلم فهو^(٣) مخلد في النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة .

إلا أن بكر بن أخت^(٤) عبد الواحد بن زيد قال في طلحة^(٥) ، والزيبر^(٦) رضى الله عنهما ، أنهما كافران من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر ، وقد قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال لأهل بدر « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم^(٧) » .

قال : فأهل بدر إن كفروا فمغفور لهم ، لأنهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة :

(١) سقط من (أ) أو كافر نعمة أى .

(٢) في (خ) : فهو .

(٣) سقط من (أ) فهو .

(٤) راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٢٦١

(٥) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ، ويكنى أبا محمد أسلم مبكراً وقتل في معركة الجمل راجع ترجمة وافية له في طبقات ابن سعد ح ٣ ص ٢١٤ إلى ٢٢٥ .

(٦) الزيبر بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قص ، وقال عنه الرسول ﷺ « لكل بنى حواري وإن حواري الزيبر ، قتل عند انصرافه من معركة الجمل راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ح ٣ ص ١٠٠ وما بعدها .

(٧) الحديث أخرجه مسلم ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٣/٩ ، ٣٠٤ ونسبه لأبي يعلى في الكبير ، والبيزار والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي ورجالهم رجال الصحاح . راجع جامع الأصول ح ٨ ص ٣٦٢ .

لا تضر مع الإسلام سيئة ، كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا : فكل مسلم ولو بلغ كل^(٨) معصية فهو من أهل الجنة ، لا يرى نارًا ، وإنما النار للكفار ، وكِلا هاتين الطائفتين لا تقر بأن أحدًا يدخل النار ثم يخرج عنها ، بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدًا ، ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار .

وقال أهل السنة والحسين النجار^(٩) وأصحابه وبشر بن غياث المريسى^(١٠) ، وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن كيسان الأصم البصرى^(١١) ، وغيلان بن مروان^(١٢) الدمشقى القدرى ، ومحمد ابن شبيب^(١٣) ، ويونس بن عمران^(١٤) ، وأبو العباس الناشئ^(١٥) ، والأشعري^(١٦) ، وأصحابه ، ومحمد ابن كرام^(١٧) ، وأصحابه ، أن الكفار مخلدون في النار ، وأن المؤمنين كلهم في الجنة ، وإن كانوا أصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها .

وأهم طائفتان ، طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار إلى الجنة ، وطائفة لا تدخل النار ، إلا أن كل من ذكرنا قالوا لله عز وجل أن يعذب من شاء من المؤمنين أصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلون الجنة ، وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم ، ثم افرقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ، ويونس ، والناشئ ، إن عذب الله تعالى واحدًا من أصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ، ثم أدخلهم الجنة ، وإن غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولا بد . وقالت طائفة : بل يعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء ، وإن كانت ذنوبهم كثيرة مستوية .

وقد يغفر لمن هو أعظم جرمًا ، ويعذب من هو أقل جرمًا .

وقال ابن عباس وابن عمر^(١٨) رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من أصحاب الكبائر ، ويعذب من يشاء منهم ، إلا القاتل عمدًا فإنه مخلد في النار أبدًا .

(٨) في (أ) : على .

(٩) راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٧

(١٠) بشر بن غياث المريسى ت سنة ٢١٨ هـ راجع ترجمته له وافية في الجزء الثالث ص ٣٣

(١١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان : راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٣٤

(١٢) غيلان بن مسلم الدمشقى أبو مروان : تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية ، وهو ثانى من تكلم في القدر ودعا إليه قال

الشهرستانى : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد ، وفى الإمامة أنها تصلح فى غير قريش وتوفى بعد ١٠٥ هـ الملل والنحل ح ١ ص ٢٢٧

(١٣) محمد بن شبيب : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٤) يونس بن عمران : راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٥) أبو العباس الناشئ ت ٢٦٦ هـ راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٣٤

(١٦) الأشعري : راجع ترجمته فى هذا الكتاب ح ٣ ص ١٣

(١٧) محمد بن كرام راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٢٧

(١٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، أبو عبد الرحمن . صحابى . نشأ فى الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها ، أفتى الناس فى الإسلام ستين سنة ، وغزا إفريقيا مرتين ، وكف بصره فى آخر حياته ، وهو آخر من توفى بمكة من الصحابة سنة ٧٣ هـ فى كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا . الإصابة فى تمييز الصحابة ت ٤٨٢٥

وقالت طائفة منهم : من لقي الله عز وجل مسلماً تائباً من كل كبيرة أو لم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة ، وهو من أهل الجنة ، لا يدخل النار ، ولو بلغت سيئاته ما شاء الله أن تبلغ ، ومن لقي الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فأكثر ، فالحكم في ذلك الموازنة . فمن رجحت حسناته على كبائره ، وسيئاته ، فإن كبائره وسيئاته كلها تسقط وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ، ومن^(١٩) استوت حسناته مع كبائره ، وسيئاته ، فهؤلاء أهل الأعراف ، ولهم وقفة ولا يدخلون النار ، ثم يدخلون الجنة .

ومن رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، فهؤلاء يجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب ، فمن لفحة واحدة إلى بقاء خمسين ألف سنة في النار ، ثم يخرجون منها إلى الجنة بشفاعة رسول الله ﷺ ، وبرحمة الله تعالى .

وكل من ذكرنا يجازون في الجنة بقدر ما فضل لهم من الحسنات ، وأما من لم يفضل له حسنة من أهل الأعراف فمن^(٢٠) دونهم ، وكل من خرج من النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء في الجنة ، ولكل امرئ منهم مثل الدنيا عشر مرات وهم أقل خطأ في الجنة^(٢١) ممن رجحت له حسنة فصاعداً .

قال أبو محمد : فأما من قال : بأن صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك ، فإن حجتهم قول الله عز وجل : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٢٢) » .

وقوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار^(٢٣) » .

وقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون^(٢٤) » .
وقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها^(٢٥) » .

(١٩) في (أ) : وإن .

(٢٠) في (خ) : لمن .

(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٢) سورة يونس ٦٢

(٢٣) سورة المل ٩٠

(٢٤) سورة يونس آية رقم ٢٧

(٢٥) سورة النساء آية رقم ١٤

ويقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما^(٢٦) » .

وقوله « ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن^(٢٧) » .

وقوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا^(٢٨) » .

وقوله تعالى « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة^(٢٩) الآية » .

وقوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره إلا منحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٣٠) » .

وقوله « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ... إلى قوله تعالى ولهم في الآخرة عذاب عظيم^(٣١) » .

وقوله تعالى « الذين يأكلون الربا^(٣٢) .. الآية » .

وذكروا أحاديث صححت عن النبي ﷺ في وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ، ومن قتل نفسه بسم أو حديدة أو تردى من جبل ، فإنه يفعل ذلك به في جهنم خالداً ، ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار .

وذكروا أن الكبيرة تزيل إسم الإيمان ، فبعضهم قال إلى شرك ، وبعضهم قال إلى كفر نعمة ، وبعضهم قال إلى نفاق ، وبعضهم قال إلى فسق قالوا فإذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة ، لأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة أصلا غير ما ذكرنا ، وأما من خص القاتل بالتخليد فإنهم احتجوا بقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم

(٢٦) سورة النساء آية رقم ٩٣

(٢٧) سورة الفرقان آية رقم ٦٨

(٢٨) سورة النساء آية رقم ١٠

(٢٩) سورة النور آية رقم ٢٣

(٣٠) سورة الأنفال آية رقم ١٦

(٣١) سورة المائدة آية رقم ٣٣

(٣٢) سورة البقرة آية رقم ٢٧٥

خالداً فيها^(٣٣)» فقط وأما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فانهم^(٣٤) احتجوا بقول الله تعالى لا يصلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى^(٣٥) .

قالوا : وهذه الآية مثبتة أن كل من توعدده الله عز وجل على قتل أو زنا أو ربا أو غير ذلك فإنما هم الكفار خاصة لا غيرهم . واحتجوا بقول رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلا الله حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة . « ومن قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر ، على رغم أنف أبى ذر^(٣٦) » .

وقول الله عز وجل : « إن رحمة الله قريب من المحسنين^(٣٧) » .

قالوا : ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أحسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ، ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا : كما أن الكفر محبط لكل حسنة ، فإن الإيمان يكفر كل سيئة - والرحمة والعتق أولى بالله عز وجل .

قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا أصلاً أو يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه . وبالله تعالى التوفيق .

وأما من قال : إن الله تعالى يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وقد يعذب من هو أقل ذنباً ممن يغفر لهم فإنهم احتجوا بقول الله عز وجل « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(٣٨) » وعموم قوله تعالى : « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء^(٣٩) » وبقول رسول الله ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ حُدُودِهِنَّ شَيْئاً كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ^(٤٠) » وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا قاضيتين على جميع الآيات التى تعلق بها سائر الطوائف ، وقالوا لله الأمر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل ما يشاء ما نعلم لهم حجة غير ما ذكرنا .

(٣٣) سورة النساء آية رقم ٩٣

(٣٤) فى (أ) : سقطت كلمة : فانهم .

(٣٥) سورة الليل آية رقم ١٥

(٣٦) الحديث رواه مسلم فى الإيمان رقم ١٥٤ ، والبخارى فى اللباس رقم ٢٤ ولفظه عند مسلم من قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك

إلا دخل الجنة . قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر .

(٣٧) سورة الأعراف آية رقم ٥٦

(٣٨) سورة النساء آية رقم ٤٨

(٣٩) سورة آل عمران آية رقم ١٢٩

(٤٠) هذا الحديث تم تخرجه فى ص ١٤٦

قال أبو محمد : وأما من قال بمثل هذا الا أنه قال الله تعالى إن عذب واحدًا منهم عذب الجميع ، وإن غفر لواحد منهم غفر للجميع ، فإنهم قدرية ، جنحوا^(٤١) بهذا القول نحو العدل ، ورأوا أن المغفرة لواحد ، وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ، ومحاباة ، ولا يوصف الله عز وجل بذلك .

وأما من قال بالموازنة فإنهم احتجوا فقالوا : إن آيات الوعيد ، وأخبار الوعيد ، التي احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة ، والخوارج ، فإنها لا يجوز أن تخص بالتعليق بها دون آيات العفو ، وأحاديث العفو التي احتج بها من أسقط الوعيد ، [وكذلك الآيات التي احتج بها من اسقط الوعيد]^(٤٢) لا يجوز^(٤٣) التعلق بها ، دون الآيات التي احتج بها من أثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها حق ولكها من عند الله ، وكلها مجمل يفسرها آيات الموازنة ، وأحاديث الشفاعة ، التي هي بيان لعموم تلك الآيات ، وتلك الأخبار ، وكلها من عند الله ، قالوا : ووجدنا الله عز وجل قد قال : « يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحد^(٤٤) » .

وقال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل^(٤٥) - الآية .

وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره^(٤٦) » .

وقال تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم^(٤٧) » .

وقال تعالى : « فإذا هم جميع لدينا محضرون فالיום لا تظلم نفس شيئاً^(٤٨) - الآية » .

وقال تعالى : « ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب^(٤٩) » .

وقال تعالى : « ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون^(٥٠) » .

(٤١) في (ح) : نجوا .

(٤٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤٣) في (أ) : بزيادة : هي .

(٤٤) سورة الكهف آية رقم ٤٩

(٤٥) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧

(٤٦) سورة الزلزلة آية رقم ٧ ، ٨

(٤٧) البقرة آية رقم ١٤٣

(٤٨) سورة يس آية رقم ٥٣ ، ٥٤

(٤٩) سورة إبراهيم آية رقم ٥١

(٥٠) سورة البقرة آية رقم ٢٨١ ولقد جاءت هذه الآية محرفة في الأصل بزيادة (واو) .

- وقال تعالى : « لتجزى كل نفس بما تسعى^(٥١) » .
- وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - إلى قوله الجزاء الأوفى^(٥٢) » .
- وقال تعالى : « وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك^(٥٣) » .
- وقال تعالى : « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا^(٥٤) - الآية » .
- وقال تعالى : « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت^(٥٥) » .
- وقال تعالى : « وإن كلا لما ليوفيهم ريك أعمالهم^(٥٦) » .
- وقال تعالى : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - الآية^(٥٧) » .
- وقال تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزيه ولا يجد له - الآية^(٥٨) » .
- وقال تعالى : « وما يفعلوا من خير فلن يكفروه^(٥٩) » .
- وقال تعالى : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتى من لدنه أجرا عظيما^(٦٠) » .
- وقال تعالى : « إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى^(٦١) » .
- وقال تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد^(٦٢) إلى قوله تعالى : قال قرينه ربنا أطفئته ولكن كان في ضلال بعيد إلى قوله تعالى : وما أنا بظلام للعبيد^(٦٣) » .

- (٥١) سورة طه آية رقم ١٥
(٥٢) سورة النجم آية رقم ٣٩ إلى ٤١
(٥٣) سورة الطور آية رقم ٤٧
(٥٤) سورة النجم آية رقم ٣١
(٥٥) سورة يونس آية رقم ٣٠
(٥٦) سورة هود آية رقم ١١١
(٥٧) سورة المزمل آية رقم ٢٠
(٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣
(٥٩) سورة آل عمران آية رقم ١١٥
(٦٠) سورة النساء آية رقم ٤٠
(٦١) سورة آل عمران آية رقم ١٩٥
(٦٢) سورة ق آية رقم ٢١
(٦٣) سورة ق آية رقم من ٢٢ إلى ٢٩

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية » وأما من خفت موازينه^(٦٤)... إلى آخر السورة .

وقال تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات^(٦٥) » .

وقال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^(٦٦) » .

وقال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها^(٦٧) » .

وقال تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم^(٦٨) » .

هذا نص كلامه يوم القيامة ، وهو القاضى على كل مجمل قالوا : فنص الله عز وجل أنه يضع الموازين القسط ، وأنه لا يظلم أحدا شيئا ، ولا مثقال حبة خردل ، ولا مثقال ذرة من خير ، أو من شر ، فصح أن السيئة لا تحبط الحسنة ، وأن الإيمان لا يسقط الكبائر .

ونص الله تعالى أنه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وأنه ليس لأحد إلا ما سعى وأنه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى ، وأنه تعالى يوفى الناس أعمالهم ، فدخل في ذلك الخير والشر .

وأنه تعالى يجازى بكل خير عمل^(٦٩) وبكل سوء عمل ، وهذا كله يبطل قول من قال بالتخليد ضرورة ، وقول من قال باسقاط الوعيد جملة ، لأن المعتزلة تقول : إن الإيمان يضيع ويحبط . وهذا خلاف قول الله تعالى إنه لا يضيع إيماننا ولا عمل عامل منا .

وقالوا هم : ان الخير ساقط بسيئة واحدة .

وقوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات^(٧٠) » .

فقالوا هم : إن السيئات يذهبن الحسنات .

وقد نص تعالى أن الأعمال لا يحبطها إلا الشرك والموت عليه .

(٦٤) سورة القارعة آية رقم ٦ إلى ١١

(٦٥) سورة هود آية رقم ١١٤

(٦٦) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(٦٧) سورة الأنعام رقم ١٦٠

(٦٨) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت الآية محرفة في الأصل بنقص (الباء) في بما .

(٦٩) في (أ) : سقطت كلمة (عمل) .

(٧٠) سورة هود آية رقم ١١٤

وقال تعالى : « من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها^(٧١) » .

فلو كانت كل سيئة ، أو كل^(٧٢) كبيرة ، توجب الخلود في جهنم ، وتحيط الأعمال الحسنة ، لكانت كل سيئة ، أو كل كبيرة كفراً ، ولتساوت السيئات كلها ، وهذا خلاف النصوص ، وعلمنا بما ذكرنا أن الذين قال الله تعالى فيهم : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون^(٧٣) » . هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم ، فسقط كل سيئة قدموها وصح أن قوله تعالى ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار^(٧٤) » هم من رجحت كبائرهم حسناتهم ، وأن السيئة الموجبة للخلود هي الكفر ، لأن النصوص جاءت بتقسيم السيئات . فقال تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم^(٧٥) » فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر .

وقال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها^(٧٦) » .

وقال تعالى : « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره^(٧٧) » .

فأخبر تعالى أن من السيئات المجازى بها ما هو مقدار ذرة ، ومنها ما هو أكبر . ولا شك^(٧٨) في أن الكفر أكبر السيئات ، فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود ، لكانت كلها كفراً ولكانت كلها سواء ، وليست كذلك بالنص .

وأما وعيد الله بالخلود في القاتل وغيره ، فلو لم يأت إلا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها ، لكنه قد قال تعالى - لا يصلاحها إلا الأشقى الذي كذب وتولى^(٧٩) » وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض ، وقد صح أن القاتل ليس كافراً ، وأن الزاني ليس كافراً ، وأن أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كافراً بما ذكرنا قبل من أنهم مباح لهم نكاح المسلمات ، وأنهم مأمورون بالصلوات ، وأن زكاة أموالهم مقبوضة ، وأنهم لا يقتلون ، وأنه إن عفى عن القاتل فقتله مسلم فإنه يقتل به ، وأنه يرث ، ويورث ، وتوكل ذبيحته ، فإذا ليس كافراً فببقين ندرى أن خلوده إنما هو مقام مدة ما ، وأن الصلى الذي نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى إنما هو صلي الخلود ، ولا يجوز ألبة غير هذا .

(٧١) سورة الأنعام آية رقم ١٦٠

(٧٢) سقط من (أ) كلمة (كل) .

(٧٣) سورة البقرة آية رقم ٦٢

(٧٤) سورة النمل آية رقم ٩٠

(٧٥) سورة النساء آية رقم ٣١

(٧٦) سورة الشورى آية رقم ٤٠

(٧٧) سورة الزلزلة آية رقم ٨ .

(٧٨) سقط من (أ) (في) .

(٧٩) سورة الليل آية رقم ١٥

وبهذا تتألف النصوص وتتفق ومن المعهود في المخاطبة أن من وفد من بلد إلى بلد فحبس فيه مدة ما لأمر أوجب احتباسه فيه مدة ما ، فإنه ليس من أهل ذلك البلد الذي حبس فيه ، فمن دخل في النار ثم أخرج منها فقد انقضى^(٨١) عنه صليها ، فليس من أهلها ، وإنما أهلها ، وأهل صليها على الاطلاق ، والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا ، فهكذا جاء في الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ، ثم يخرج منها ، ثم قال ﷺ : وأما أهل النار الذين هم أهلها^(٨٢) - يعني الكفار المخلدين فيها .

وقد قال عز وجل « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا^(٨٣) » . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله في الخبر الصحيح : « ثم يضرب الصراط بين ظهري جهنم^(٨٤) » فالقران وكلام رسول الله ﷺ صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنة إنما هو بخوضهم وسط جهنم ، وينجى الله تعالى أوليائه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أولهم كبائر تابوا عنها ، ورجحت حسناتهم بكبائرهم ، أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم ، وأنه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ، ثم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم ، ويمحق الكفار بتخليدهم في النار ، كما قال تعالى : « ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين^(٨٥) » وأيضا فإن كل آية وعيد ، وخبر وعيد ، تعلق به من قال بتخليد المذنبين فإن المحتجين بتلك النصوص هم أول مخالف لها ، لأنهم يقولون إن من أتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد ، فقد تركوا ظاهر تلك النصوص . فإن قالوا : إنما قلنا ذلك بنصوص أخر أوجبت ذلك . قيل لهم : نعم . وكذلك فعلنا نحن^(٨٥) بنصوص أخر ، وهي آيات الموازنة ، وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير أو شر ولا فرق . ويقال لمن أسقط آيات الوعيد جملة ، وقال إنها كلها إنما جاءت في الكفار ، إن هذا باطل لأن نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ، ليس إلا على المؤمن بيقين ، وبنص الآية في قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره^(٨٦) » .

ولا يمكن أن يكون هذا في كافر أصلا ، فسقط قول من قال بالتخليد ، وقول من قال باسقاط الوعيد ، ولم يبق إلا قول من أجمل جواز المغفرة ، وجواز^(٨٧) العقاب .

(٨٠) في (خ) : انقطع .

(٨١) في (أ) : فيها .

(٨٢) سورة مريم آية رقم ٧١

(٨٣) الحديث رواه البخاري في الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ، ورواه مسلم في الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه في الزهد ٣٣ واحمد بن حنبل ح ٣

ص ٢٩٢

(٨٤) سورة آل عمران آية رقم ١٤١

(٨٥) سقط من (أ) كلمة (نحن) .

(٨٦) سورة الأنفال آية رقم ١٦

(٨٧) في (أ) : وجوز العقاب .

قال أبو محمد : فوجدنا هذا القول مجملاً قد فسرتة آيات الموازنة ، وقوله تعالى الذى تعلقوا به « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(٨٨) » حق على ظاهرها ، وعلى عمومها ، وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر ، لأنه لا يختلف فى أن الله تعالى يغفر أن يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك .

وكذلك قوله تعالى « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

فهذا كله حق إلا أنه قد بين من هم الذين شاء أن يغفر لهم ، فإن صرتم إلى بيان الله تعالى فهو الحق ، وإن أبيتم إلا الثبات على الإجمال فأخبرونا عن قول الله تعالى : « يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا^(٨٩) » .

وقوله تعالى : « بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء^(٩٠) » .

أترون أن هذا العموم تقولون به فتجيزون أن يغفر الكفر لأنه ذنب من الذنوب أم لا ؟ وأخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام ، أنه يقول له تعالى يوم القيامة : « يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك .. إلى قوله : وأنت على كل شىء شهيد^(٩١)... إلى قوله تجرى من تحتها الأنهار^(٩٢) أيدخل النصرارى الذين اتخذوا عيسى وأمه آلهين من دون الله تعالى فى جواز المغفرة لهم وقد صدقه الله تعالى فى هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم^(٩٣) أو يعذبهم ؟ وأخبرونا عن قوله تعالى : « قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة^(٩٤) » .

فمن قولهم : إن المغفرة لا تكون ألبتة لمن كفر ومات كافرا ، وأنهم خارجون من هذا العموم ، ومن هذه الجملة بقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(٩٥) » .

(٨٨) سورة النساء آية رقم ٤٨ و ١١٦

(٨٩) سورة الزمر آية رقم ٥٣

(٩٠) سورة المائدة آية رقم ١٨

(٩١) سورة المائدة آية رقم ١١٦ ، ١١٧

(٩٢) سورة المائدة آية رقم ١١٨

(٩٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٩٤) سورة الأعراف آية رقم ١٥٦

(٩٥) سورة النساء آية رقم ٤٨

قيل لهم : ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ؟ ولم تخصصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؟

بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأما هاهوية^(٩٦) .

ويقوله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون^(٩٧) » .

ويقوله تعالى : « اليوم تجزي كل نفس بما كسبت^(٩٨) » .

وهذا خبر لا نسخ فيه . فإن قالوا : نعم إلا أن يشاء أن يغفر لهم . قيل لهم : قد أخبر الله تعالى أنه لا يشاء ذلك باخباره تعالى إنه في ذلك اليوم يجزي كل نفس ما كسبت ولا فرق .

قال أبو محمد : « وقد أخبر النبي ﷺ أَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ صَدَقَةٌ ، وَصِيَامٌ ، وَصَلَاةٌ ، فَيُوجَدُ قَدْ سَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَشَتَمَ هَذَا ، فَتُؤَخَذُ حَسَنَاتُهُ كُلُّهَا ، فَيُقْتَصُ لَهُمْ مِنْهَا ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ قُدِّفَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ عَلَيْهِ وَرُمِيَ فِي النَّارِ^(٩٩) » .

وهكذا أخبر عليه السلام في قوم يخرجون من النار حتى إذا نقوا وهذبوا أدخلوا الجنة^(١٠٠) .

وقد بين عليه السلام ذلك بأنه يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ شَعِيرٍ مِنْ خَيْرٍ ثُمَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، ثُمَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، ثُمَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ... إِلَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ مَنْ لَا يَعْمَلُ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا شَهَادَةَ الْإِسْلَامِ^(١٠١) .

فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال^(١٠٢) لهم : أخبرونا عمن لم يعمل شراً قط إلا اللمم ، ومن هم بالشر فلم يفعله ..؟ فمن قول أهل الحق : إنه مغفور

(٩٦) سورة القارعة آية رقم ٦ ، ٧

(٩٧) سورة المل آية رقم ٩٠

(٩٨) سورة غافر آية رقم ١٧

(٩٩) الحديث رواه مسلم في البر رقم ٦٠ والترمذي في القيامة ٢ وأحمد بن حنبل حد ٣ ص ٣٧٢ ولفظه عند مسلم قال : أتدرون من المفلس قالوا : المفلس فيما من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحته عليه ثم طرح في النار .

(١٠٠) الحديث رواه البخاري في المظالم ١ والرقاق ٤٨ ، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند حد ٣ ص ١٣ ، ٦٣ ، ٧٤

(١٠١) الحديث رواه مسلم في الإيمان ١٤٨ وأبو داود ٣٦ والترمذي في البر ٦١ وابن ماجه في المقدمة ٩ ، والفتن ٣٧ والزهد ١٦ ولفظه عند ابن ماجه : اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار ثم من كان في قلبه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ .

(١٠٢) سقط من (أ) كلمة : لهم .

له جملة ، بقوله تعالى : « إلا اللمم^(١٠٣) » ويقول رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تخرجه بقول أو عمل^(١٠٤) » .

قال أبو محمد : وهذا ينقسم أقساما أحدها : من هم بسيئة أى شيء كانت من السيئات ، ثم تركها مختاراً لله تعالى ، فهذا تكتب له حسنة ، فإن تركها مغلوباً لا مختاراً لم تكتب له حسنة ، ولا سيئة تفضلاً من الله عز وجل ، ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ، ولو هم بحسنة ولم يعملها ، كتبت له حسنة واحدة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها^(١٠٥) .

وهذا كله نص كلام^(١٠٦) رسول الله ﷺ وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب إلى أن الهم بالسيئة اصرار عليها ، فقلت له : هذا خطأ لأن الإصرار لا يكون إلا على ما قد فعله المرء بعد تباد على نية^(١٠٧) أن يفعله ، وأما من هم بما لم يفعل بعد فليس إصراراً .

قال الله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون^(١٠٨) » ثم نسألهم عن عمل السيئات ، حاشا الكبائر عددًا عظيمًا ولم يأت كبيرة قط ومات على ذلك ، أيجوزون^(١٠٩) أن يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم تقولون إنها مغفورة له ولا بد ؟..

فإن قالوا : إنها مغفورة له^(١١٠) ولا بد صدقوا ، وكانوا قد خصوا قوله تعالى : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١١١) » .

وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها أيضا بنص آخر . وإن قالوا : بل جائز أن يعذبهم الله تعالى على ذلك ، أكذبهم الله تعالى بقوله « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً^(١١٢) » .
ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل .

(١٠٣) سورة اللحم آية رقم ٣٢

(١٠٤) الحديث رواه البخارى فى الإيمان ١٥ ، والترمذى فى الطلاق ٨ والإمام مسلم فى الإيمان ، ٢٠١ ، ٢٠٢ وفى الرزيا ١٥ وأبو داود فى الطلاق ١٥ وابن ماجه فى الطلاق ١٤ واحمد بن حنبل فى المسند ح ٣ ص ٢٥٥ ولعله عد مسلم : « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به » .

(١٠٥) فى (أ) : حسنات .

(١٠٦) سقطت من (أ) كلام .

(١٠٧) فى (أ) : عليه .

(١٠٨) سورة آل عمران آية رقم ١٣٥

(١٠٩) فى (خ) : (أتخبرون) .

(١١٠) فى (أ) : سقطت كلمة (له) .

(١١١) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٢) سورة النساء آية رقم ٣١

ثم نسألهم عن عمل من الكبائر ومات عليها ، وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ، أيجوز أن يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ، أم هي مغفورة له ساقطة عنه ؟.. فإن قالوا : بل هي مغفورة له وساقطة عنه صدقوا ، وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى .. ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وجعلوا هؤلاء ممن شاء ، ولا بد أن يغفر لهم ، وإن قالوا : بل جاز أن يعذبهم ، أكذبهم الله تعالى بقوله : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية^(١١٣) » . ويقوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات^(١١٤) » .

قال أبو محمد : وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الأعراف فلا يعذبون أصلا .

فقد صح يقينا أن هؤلاء الطبقات الأربع هم الذين شاء الله تعالى أن يغفر لهم بلا شك ، فبقى الذين لم يشاء الله تعالى أن يغفر لهم ، ولم يبق من الطبقات أحد إلا من رجحت كبائره في الموازنة على حسناته ، فهم الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة ، وبرحمه الله عز وجل فقالوا : من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ، ومنهم من يعذبه ، قلنا لهم : أعندكم بهذا البيان نص ؟ وهم لا يجدونه أبداً فظهر تحكمهم بلا برهان ، وخلافهم لجميع الآيات والأخبار والآيات^(١١٥) التي تعلقوا بها فإنهم مقرون على أنها ليست على عمومها بل هي مخصوصة ، لأن الله تعالى قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^(١١٦) » .

ولا خلاف في أنه تعالى يغفر الشرك لمن آمن ، فصح أنها مجملة يفسرها سائر الآيات ، والأخبار ، وكذلك حديث عبادة^(١١٧) : خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه^(١١٨) .

فإنهم متفقون على أن من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئاً إلا أنه قتل ، وزنا ،

(١١٣) سورة القارعة ٦ ، ٧

(١١٤) سورة هود آية رقم ١١٤

(١١٥) سقطت من (أ) كلعنتي : الأخبار والآيات .

(١١٦) سورة النساء آية رقم ٤٨

(١١٧) عبادة بن الصامت بن قيس بن أحم بن ثعلبة الأنصاري ، يكنى أبا الوليد وقال الخزامي : أم عبادة بن الصامت قرّة العين ، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وأخى رسول الله بينه وبين أبي مرتد الغنوي ، وشهد بدرًا والمشاهد كلها ووجهه عمر إلى الشام قاضيًا ومعلمًا ، فاقام بمحصر ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة ٣٤ بالرملة رحمه الله . الاستيعاب ح ٢ ص ٨٠٧ ، ٨٠٨

(١١٨) الحديث رواه مسلم في الإيمان ٨ ، ١٠ ، ٢٩ ، ٣١ ، والبخاري في الإيمان ٣٤ والصلاة ١ وأبو داود في الطهارة ٩٧ والترمذي في

التفسير ٥٣ ، والنسائي في الصلاة ١ ، ٤ ، ٦

وسرق ، فإنه قد يعذب ، ويقولون إن^(١١٩) لم يأت بهن فإنه لا يعذب على التأيد ، بل يعذب ثم يخرج عن النار .

قال أبو محمد : هذا ترك منهم أيضاً لظاهر هذا الخبر .

قال أبو محمد : ولا فرق بين قول الله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية » .

وبين قوله : « وأما من خفت موازينه فأمه هاوية^(١٢٠) » . كلاهما خبر ، إن جاز إبطال أحدهما ، جاز إبطال الآخر . ومعاذ الله من هذا القول ، وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول ، بقوله تعالى : « لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ، ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد^(١٢١) » .

ونحن نقول إن الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وأنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن كل أحد فهو في مشيئة الله تعالى إلا أننا نقول : إنه تعالى قد بين من يغفر لهم ، ومن يعذب ، وأن الموازين حق ، والموازنة حق ، والشفاعة حق ، وباللغة تعالى التوفيق .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، حدثنا أحمد بن عبد البصير ، حدثنا قاسم بن إصبع ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ، حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا سفيان الثوري ، عن خالد الحذاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قول الله تعالى : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص^(١٢٢) » قال ما وعدوا فيه من خير وشر - وهذا هو نص قولنا .

وقد ادعى قوم أن إخلاف الوعيد حسن عند العرب ، وأنشدوا وإني وإن واعدته أو وعدته لمخلف إبعادي ومنجز موعدى .

قال أبو محمد : وهذا لا شيء ، ما جعل الله فخر صبي أحقق كافر حجة على الله تعالى قال

الراجز :

أحيا أباه هاشم بن حرملة
يرى الملوك حوله مغربلة
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له .

(١١٩) انه من في (ح) .

(١٢٠) سورة القارعة آية رقم ٦

(١٢١) سورة ق آية رقم ٢٨

(١٢٢) سورة هود آية رقم ١٠٩

وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبًا

قال الشاعر أنشدته أبو عبيدة^(١٢٣) معمر بن المثنى :

أتوعدني وراء بنى رياح كذبت لتقصرن يداك دوني^(١٢٤)

فإن قالوا : خصصوا وعيد الشرك بالموازنة . قلنا : لا يجوز ، لأن الله تعالى منع من ذلك ، قال

تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^(١٢٥) » .

فمن حبط عمله فلا خير له .

قال أبو محمد : وأهل النار متفاضلون في عذاب النار فأقلهم عذابًا أبو طالب فإنه توضع جمرتان من النار في أحمصية^(١٢٦) إلى أن يبلغ الأمر إلى قوله تعالى : « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب^(١٢٧) » .

وقوله تعالى : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار^(١٢٨) » ولا يكون الأشد إلا إلى جنب الأدون .

وقال تعالى : « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر^(١٢٩) » .

قال أبو محمد : والكفار معذبون على المعاصي التي عملوا من غير الكفر . برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين^(١٣٠) » .

فنص تعالى على أن الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين .

قال أبو محمد : وأما من عمل منهم العتق ، والصدقة ، أو نحو ذلك من أعمال البر فحباط كل ذلك ، لأن الله عز وجل قال : إنه من مات [وهو]^(١٣١) كافرًا حبط عمله لكن لا يعذب

(١٢٣) معمر بن المثنى البصرى أبو عبيدة النحوى من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته بالبصرة ، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه قال الحافظ لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ، وكان أفاضلًا شعوريًا من حفاظ الحديث من مؤلفاته نقائض جرير والفرزدق ، ومحاز القرآن ومعاني القرآن تروى سنة ٢٠٩ هـ . وفيات الأعيان حـ ٢ ص ١٠٥ (١٢٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٢٥) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(١٢٦) الحديث رواه البخارى فى الرقاق ٥١ ومسلم فى الإيمان ٣٦٣ والترمذى فى جهنم ١٢ واحمد بن حنبل حـ ٤ ص ٢٧٤ ولفظه عد مسلم « لرجل توضع فى أحمص قدميه جمرتان يغلى مهما دماغه » أما الحديث الذى جاء فى أنى طالب فلفظه : أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو متمثل بنعلين يغلى منهما دماغه » .

(١٢٧) سورة غافر آية رقم ٤٦

(١٢٨) سورة النساء آية رقم ١٤٥

(١٢٩) سورة السجدة آية رقم ٢١

(١٣٠) سورة المدثر آية رقم ٤٠ إلى ٤٧

(١٣١) فى (أ) : بزيادة هو .

الله أحدًا إلا على ما عمل ، لا على ما لم يعمل .

قال الله تعالى : « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون^(١٣٢) » .

فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذاباً زائداً^(١٣٣) لأنه لم يطعم المسكين فالذى أطعم المسكين مع كفره لا يعذب ذلك العذاب الزائد ، فهو أقل عندنا عذاباً لأنه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذاباً منه لا لأنه عمل خيراً .

قال أبو محمد : وكل كافر عمل خيراً وشراً ثم أسلم فإن كل ما عمل من خير يكون له^(١٣٤) مجازى به في الجنة ، وأما ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه ، وإن تمادى عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في إسلامه .

برهان ذلك : حديث حكيم بن حزام^(١٣٥) عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله أشياء كنت أتحنتُ بها في الجاهلية من عنتي وصدقة وصيلة رجم فقال له رسول الله ﷺ : أسلمت على ما سلف لك من خير^(١٣٦) فأخبر أنه خير وأنه له إذا أسلم .

وقالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أرأيت ابن جُدعان فإنه يصيل الرجم ، ويُقرى الضيف ، أينفعه ذلك ؟ قال : لا . لأنه لم يقل يوماً .. رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين^(١٣٧) . فأخبر عليه السلام أنه لم ينتفع بذلك لأنه لم يسلم .

فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنتفعه ذلك .

وأما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضي الله عنه بنص ما قلنا عن رسول الله ﷺ

كما قلناه .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « لئن اشركت ليعبطن عملك^(١٣٨) » .

(١٣٢) سورة النمل آية رقم ٩٠

(١٣٣) سقط من (أ) وم (خ) زيادة والعمارة مضطربة .

(١٣٤) في (أ) : مكتوب مجازي .

(١٣٥) حكيم بن حزام : بن حويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي يكنى أبا خالد هو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ - ولد في الكعبة وكان من أشرف قريش ووجهها في الجاهلية والإسلام وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، وحاء الإسلام ودار الدعوة بيد حكيم بن حزام وكان من المؤلفة قلوبهم ومن حسن إسلامه منهم ، وحج في الإسلام دمه مائة بدنه قد جللها بالحرة ، وأهدى ألف شاة . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ح ١ ص ٣٦٢ .

(١٣٦) الحديث رواه البخاري في الأدب ١٦ ، والزكاة ٣٤ ، والبيوع ١٠٠ والعنق ١٢ ، ومسلم في الإيمان ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، واحمد

ابن حنبل في المسند ح ٣ ص ٤٠٢

(١٣٧) الحديث رواه البخاري في الدعوات ٦١ ، ومسلم في الإيمان ٣٦٥ والذكر ٧٠ واحمد بن حنبل في المسند ح ٤ ، ص ٤١٧ ولفظه

عد مسلم . عن عائشة قلت يا رسول الله ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرجم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعة ..؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

(١٣٨) سورة الزمر آية رقم ٦٥

قلنا : إنما هذا لمن مات مشركاً فقط .

برهان ذلك أن الله تعالى قال : « لئن أشركت ليحبطن عملك » [ولتكونن من الخاسرين ، وبيقين ندرى أن]^(١٣٩) من أسلم فليس من الخاسرين فقد بين ذلك بقوله : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^(١٤٠) » وإن اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل في الكفر لقوله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف^(١٤١) » .

قلنا لهم : هذا حجة لنا لأن من انتهى عن الكفر غفر له ، وإن انتهى عن الزنا غفر له ، وإن لم ينته عن الزنا لم يغفر له ، فإتباعاً يغفر له ما انتهى عنه ، ولم يغفر له ما لم ينته عنه .
ولم يقل تعالى : « ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم .

والزيادة في الآية كذب على الله تعالى وهي أعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها^(١٤٢) ، فلكل واحد منها حكمه ، فإن ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ « الإسلامُ يُجِبُّ ما قبلَهُ^(١٤٣) » .

فقد قلنا : إن الإسلام اسم لجميع الطاعات ، فمن أصر على المعصية فليس فعله في المعصية التي يتأدى عليها إسلاماً ، ولا إيماناً ، كما قال رسول الله ﷺ : « لا يُزِنِي الزَّانِي حِينَ يُزِنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ^(١٤٤) » .

فصح أن الإسلام ، والإيمان هو جميع الطاعات ، فإذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الإسلام الذي يجب ما قبله .

وإذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن في الإسلام ، فهو مأخوذ بالأول والآخر ، كما قال رسول الله ﷺ وهذا تتفق الأحاديث وكذلك قوله عليه السلام : « وَالْهِجْرَةُ تَجِبُّ ما قبلَهَا^(١٤٥) » .

(١٣٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٤٠) سورة البقرة آية رقم ٢١٧

(١٤١) سورة الأنفال آية رقم ٣٨

(١٤٢) في (أ) : عن ظاهرها .

(١٤٣) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ح ٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ولفظه قال رسول الله ﷺ - إن الإسلام يجب ما كان قبله ، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها .

(١٤٤) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن باب النهي عن النهي ولفظه . لا يزني الزاني ، حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .

(١٤٥) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ح ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ورواه مسلم في كتاب الإيمان بلفظ الهجرة تهدم ما كان قبلها .

فقد صح عنه عليه السلام أَنَّ الْمُهَاجِرَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَاها اللهُ عَنْهُ^(١٤٦) فمن تاب من جميع المعاصي^(١٤٧) التي سلفت منه فقد هجر ما نهاه الله عنه فهذه هي الهجرة التي تجب ما قبلها .

وأما قوله عليه السلام : « وَالْحُجُّ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ^(١٤٨) » فقد جاء أن العُمرة إلى العُمرة كَفَارةٌ لما بيَّنهما ، والحجُّ المبرورُ لَيْسَ لَهُ جُزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ^(١٤٩) . فهذا على الموازنة التي ربنا عز وجل عالم بمراتبها ، ومقاديرها ، وإنما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله ﷺ ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : واستدركنا قول رسول الله ﷺ في قاتل نفسه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، مع قوله : مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ^(١٥٠) .

قال أبو محمد : قال الله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى^(١٥١) » فصح أن كلامه ﷺ كله وحى من عند الله تعالى وقال عز وجل « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا^(١٥٢) » فصح أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فمن عند الله تعالى^(١٥٣) . وأنه لا إختلاف في شيء منه وأنه كله متفق عليه ، فإذا ذلك كذلك فواجب ضم هذه الأخبار بعضها إلى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته ، فمعنى قوله ﷺ في القاتل حرم الله عليه الجنة ، وأوجب له النار ، مبنى على الموازنة فان رجحت^(١٥٤) كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة ، حتى يقتص منه بالنار ، التي أوجبها الله تعالى جزاء على فعله ، وبرهان هذا حديث الذي أسلم وهاجر مع عمرو بن حممة الدوسي^(١٥٥) ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتألم منه فقطع عروق يده فنزف حتى مات فراه بعض أصحاب النبي ﷺ في حال حسنة إلا يده وذكر أنه قيل له لن يصلح منك

(١٤٦) الحديث رواه أبو دادو في الوتر ١١ ، والنسائي الزكاة ٤٩ والبيعة ١٢ والدارمي في الصلاة ١٣٥ ، واحمد بن حنبل ح ٢ ، ١٦٠ ،

١٩١ ، ١٩٣ .

(١٤٧) في (خ) : من كل معصية .

(١٤٨) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان باب يكون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج وهو حديث طويل منه : أما علمت أن

الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله .

(١٤٩) الحديث رواه البخاري في الإيمان ١٨ والحج ٤ ، ٣٤ ، ١٠٣ ورواه مسلم في الإيمان ١٣٥ والحج ٢٠٤ والترمذي في فضائل

الجهاد ٢٢ وابن ماجه في المناسك ٣ ولفظه عند ابن ماجه : العمرة إلى العمرة كماره ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

(١٥٠) الحديث رواه البخاري في العلم ٤٩ والجمعة ١٨ ومسلم في الإيمان ٥٣ والترمذي في الصلاة ٢٠٠ وابن ماجه في الزهد ١٩ والدارمي

في الجهاد ٨ .

(١٥١) سورة النجم آية رقم ٤

(١٥٢) سورة النساء آية رقم ٨٣

(١٥٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٥٤) سقط من (أ) كلمة رجحت .

(١٥٥) هو : عمرو بن حممة بن رافع الدوسي من الأزد أحد المعمرين في الجاهلية وقيل أدرك حممة عصر النبوة ووفد على النبي ﷺ -

والصحيح أنه مات قبل الإسلام الأصابة ت ٥٨٢١

ما أفسدت فقال رسول الله ﷺ : اللهم وليديه فاغفر^(١٥٦) .. » ومعنى قول رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفرداً لكن يضمه إلى غيره من الإيمان لمحمد ﷺ ، والبراءة من كل دين حاشا دين الإسلام ، ومعناه حينئذ أن الله عز وجل أوجب له الجنة ولا بد ، إما بعد الاقتصاص ، وإما دون الاقتصاص على ما توجهه الموازنة ، وحرم الله عليه أن يخلد فيها ويكون من أهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى : لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى^(١٥٧) « من يعمل سوءاً يجزيه^(١٥٨) .

« وما كان الله ليضيع إيمانكم^(١٥٩) .

« وما تفعلوا من خير فلن تكفروه^(١٦٠) .

وقوله تعالى : « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها^(١٦١) » فنص الآية أنها في الكفار - هكذا في نص الآية .

قال أبو محمد : وأما الكبائر فإن الله تعالى قال : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً^(١٦٢) » .

قال أبو محمد : فمن المحال أن يحرم الله تعالى علينا أمراً ويفرق بين أحكامه ويجعل بعضه مغفوراً باجتنباب بعض ومؤاخذاً به إن لم يجتنب البعض الآخر ، ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا في ذلك فوجدنا قوماً يقولون إن كل ذنب فهو كبيرة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن نص القرآن مفرق كما قلنا^(١٦٣) بين الكبائر وغيرها وبالضرورة ندرى^(١٦٤) أنه لا تكون كبيرة إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها ، والكبائر أيضاً تتفاضل فالشرك أكبر مما دونه ، والقتل أكبر من غيره .

(١٥٦) رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال : مات طفيل بن عمر ورأيت في المنام وهيأته حسنة ، فقلت له : ما صنع بك ربك قال : غفر لي بهرق إلى نبيه ، فقلت : مال أراك مغطياً يديك ، قال : قيل لي : لن نصلح منك ما أفسدت . فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال : اللهم وليديه فاغفر . وفيه دليل على أن المغفرة قد لا تتناول محل الجنابة وأن العقاب موزع على البدن ، وأن المؤمن إذا مات بالكبيرة من غير توبة فلا يقطع له النار .

(١٥٧) سورة آل عمران آية رقم ١٥٣

(١٥٨) سورة النساء آية رقم ١٢٣

(١٥٩) سورة البقرة آية رقم ١٤٣

(١٦٠) سورة آل عمران آية رقم ١١٥

(١٦١) سورة المائدة آية رقم ١٣٧

(١٦٢) سورة النساء آية رقم ٣١

(١٦٣) في (خ) : كما أوردنا .

(١٦٤) في (خ) : نعلم .

وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا لِيُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ (وإنه لكبير) أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِيءُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ^(١٦٥)» فأخبر عليه السلام أنهما كبير ، وما هما بكبير ، وهذا بين لأنهما كبيران بالإضافة إلى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر ، وليستا بكبيرين بالإضافة إلى الكفر والقتل .

قال أبو محمد : فبطل القول المذكور ، فنظرنا في ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم ألبتة إلا بنص وارد فيها ، إذ هذا من أحكام الله تعالى التي لا تعرف إلا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعد على ذنوب في القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ وقد وجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعد ، فعلمنا يقينا أن كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار [أو توعد عليه رسوله ﷺ بالنار فهو كبير]^(١٦٦) وكل ما نص عليه رسول الله ﷺ باستعظامه فهو كبير ، كقوله عليه السلام .

اثَّقُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ - الشُّرْكَ وَالسَّحْرُ وَالْقَتْلُ وَالزُّنَا^(١٦٧)» وذكر الحديث .

وكقوله عليه السلام : «عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ مِنْ الْكَبَائِرِ^(١٦٨)» .

وكل ما لم يأت نص باستعظامه ، ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يمكن أن يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لأنها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه .
وبالله تعالى التوفيق .

(١٦٥) الحديث رواه البخارى في الرضوء ٥٥ ، ٦٥ والأدب ٤٦ ، والجنائز ٨٩ ورواه مسلم في الطهارة ١١١ وأبو داود في الضهارة ١١ ، والترمذى في الطهارة ٥٢ والنسائى في الطهارة ٢٦ ، ولفظه إنهما يعذبان وما يعذبان من كبير ، أما هذا فكان يمشى بالنميمة ، وأما هذا فكان لا يتبرىء من البول .

(١٦٦) ما بين القوسين سقط من (خ) .

(١٦٧) الحديث رواه البخارى في الوصايا ٢٣ ، والطب ٤٨ والحدود ٤٤ ، ورواه مسلم في الإيمان ١٤٤ وأبو داود في الوصايا . والنسائى في الوصايا ولفظه عد مسلم : اجتنبوا السبع المؤبقات قبل يا رسول الله وما هن ؟.. قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

(١٦٨) الحديث رواه البخارى في الأدب ٦ والشهادات ١٠ ورواه مسلم في الإيمان ١٤٣ ، ١٤٤ ، والترمذى في البر ٤ والنسائى في التحريم ٣

والدارمى في الدييات ٩

الموافاة

قال أبو محمد : اختلف المتكلمون في معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم أنهم قالوا : في إنسان مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتدًا كافرًا وآخر كافرًا متمرد ، أو فاسق ، ثم مات مسلمًا تائبًا .

كيف كان حكم كل واحد منهما قبل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند الله تعالى ؟ .
فذهب هشام بن عمرو الفوطي^(١) وجميع الأشعرية ، إلى أن الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذى مات مسلمًا تائبًا ، ولم يزل ساخطًا على الذى مات كافرًا أو فاسقًا .
واحتجوا في ذلك بأن الله عز وجل لا يتغير علمه ، ولا يرضى ما سخط ، ولا يسخط ما رضى .

وقالت الأشعرية^(٢) : الرضا من الله عز وجل والسخط منه تعالى من صفات الذات لم يزالا^(٣) ولا يتغيران ، وذهب سائر المسلمين إلى أن الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ، ثم رضى الله عنهما إذا أسلم الكافر ، وتاب الفاسق . وأنه تعالى كان راضيا عن المسلم ، وعن الصالح ثم سخط عليهما إذا كفر المسلم وفسق الصالح .

قال أبو محمد : احتجاج الأشعرية هاهنا هو احتجاج اليهود في إبطال النسخ ولا فرق ، ونحن نبين بطلان احتجاجهم ، وبطلان قولهم ، وبالله تعالى التوفيق . فنقول وبالله عز وجل نتأيد .
أما قولهم : إن^(٤) علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ، ولكن معلوماته تتغير ، ولم نقل إن

(١) راجع ترجمته حد ٣ ص ١٠٢

(٢) راجع كلمة وافية عن الأشعرية في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١٠١

(٣) جاءت العبارة مصطربة ومحرفة من (أ) .

(٤) في (أ) : من .

علمه يتغير ، ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدًا يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته .

فلم يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرًا ، ثم شابًا ثم كهلاً ، ثم شيخًا ، ثم ميتًا ، ثم مبعوثًا ثم^(٥) في الجنة ، أو في النار ، ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر ، أو أنه يكفر ثم يؤمن ، أو أنه يؤمن ولا يؤمن ، أو أنه يؤمن ولا يكفر .

وكذلك القول في الفسق والصلاح ، ومعلوماته تعالى في كل^(٦) ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات .

وأما قولهم : إن الله تعالى لا يسخط ما رضى ولا يرضى ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ، ورضى لهم ذلك وسخط منهم خلافه [ثم نسخ كل ذلك وأبطله فرضى منهم أكل الشحوم والعمل في السبت وسخط منهم خلافه]^(٧) وكذلك أحل لنا الخمر ، ولم يلزمننا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الإسلام ، ورضى لنا شرب الخمر وأكل رمضان ، والبقاء بلا صلاة ، وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه^(٨) » . ثم فرض علينا الصلاة والصوم ، وحرّم علينا الخمر ، فسخط لنا ترك الصلاة وأكل رمضان ، وشرب الخمر ، ورضى لنا خلاف ذلك ، وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى علينا عليه أنه سيحل ما كان أحل من ذلك مدة كذا ، وأنه سيرضى^(٩) منه ثم إنه سيحرمه ويسخطه وأنه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم إنه يحله ويرضاه كما علم عز وجل أنه سيحیی من أحياء مدة كذا ثم يميت^(١٠) ، وأنه يعز من أعزه مدة ثم يذله ، وهكذا جميع ما في العالم من آثار صنعه عز وجل لا يخفى ذلك على من له أدنى حس ، وهكذا المؤمن يموت مرتدًا ، والكافر يموت مسلمًا ، فإن الله تعالى لم يزل يعلم أنه سيسخط^(١١) فعل الكافر مادام كافرًا ، ثم إنه يرضى عنه إذا أسلم ، وأن الله تعالى لم يزل يعلم أنه يرضى عن أفعال المسلم ، وأفعال البر ، ثم إنه يسخط أفعاله إذا ارتد ، أو فسق ، ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى : ولا يرضى لعباده الكفر ، وأن تشكروا يرضه لكم^(١٢) .

(٥) سقط من (أ) كلمة : ثم .

(٦) سقط من (أ) كلمة : كل .

(٧) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٨) سورة طه آية رقم ١١٤

(٩) في (خ) : سيرضاه .

(١٠) سقط من (أ) ثم يميت .

(١١) في (أ) : سيسخطه .

(١٢) سورة الزمر آية رقم ٧

فصح يقينا أن الله تعالى يرضى الشكر ، فمن شكره إذا شكره^(١٣) فيما شكره ولا يرضى الكفر من كفر ، إذا كفر ، متى كفر ، كيف كان انتقال هذه الأحوال من الإنسان الواحد ، وقوله تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^(١٤) » بالضرورة يدري كل ذى حس سليم أن لا يمكن أن يحبط عمل إلا وقد كان غير حابط ، ومن المحال أن يحبط عمل لم يكن محسوبا قط ، فصح أن عمل المؤمن الذى ارتد ثم مات كافراً انه كان محسوبا ثم حبط إذا ارتد وكذلك قال الله تعالى : « يححو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب^(١٥) » .

فصح أنه لا يححو الا ما كان قد كتبه ومن المحال أن يحصى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا والله الحمد ، وكذلك نص قوله تعالى « فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات^(١٦) » .

فهذا نص قولنا ، وبطلان قولهم ، لأن الله تعالى سمي أفعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ، ثم أخبر تعالى أنه أحالها وبدلها حسنات مرضية ، فمن أنكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له ، وكذلك قال الله تعالى أنه سخط أكل آدم من الشجرة ، وذهاب يونس مغاضباً ، ثم أخبر عز وجل أنه تاب عليهما ، واجتنبى يونس بعد أن لامه ، ولا يشك كل ذى عقل أن اللائمة غير الاجتناء .

قال أبو محمد : ثم نقول لهم أفى الكافر كفر إذا كان كافراً قبل أن يؤمن .. ؟ وفى الفاسق فسق قبل أن يتوب ؟ وفى المؤمن إيمان قبل أن يرتد أم لا .. ؟ فإن قالوا : لا كابروا وأحالوا ، وإن قالوا : نعم . قلنا لهم : فهل يسخط الله الكفر والفسق أو يرضى عنهما ؟ فإن قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم .

وإن قالوا : بل يرضى عن الكفر والفسق ، كفروا ونسأهم عن قتل وحشى^(١٧) حمزة^(١٨) رضى الله عنه أرضاً كان لله تعالى ؟ فإن قالوا : نعم . كفروا ، وإن قالوا : بل ما كان الا سخطاً ،

(١٣) فى (أ) : سقطت كلمة : إذا شكره .

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢١٧ وقد جاءت الآية محرفة فى (خ) : حيث قال : « ومن يرتد » .

(١٥) سورة الرعد آية رقم ٣٩

(١٦) سورة الفرقان آية رقم ٧٠ وجاءت هذه الآية محرفة فى (أ) : حيث قال : أولئك بدون الفاء .

(١٧) هو : وحش بن حرب الحبشى أبو دسمه ، مولى بنى نوفل ، صحابى من السودان مکه ، كان من أبطال الموالى فى الجاهلية ، وهو قاتل

حمزة - رضى الله عنه ، وشهد اليرموك ، وشارك فى قتل مسيلمة الكذاب وكان يقول قتلته بحريتى خير الناس وشتر الناس مات بمحمص سنة ٢٥ هـ .

(١٨) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة عم النبى - ﷺ ، وأحد صناديد قريش ولد ونشأ بمكة ، هاجر إلى المدينة وحضر وقعة بدر

وغيرها وقتل يوم أحد عام ٣ هـ فدفنه المسلمون بالمدينة . الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٥ .

سألناهم أيؤاخذه الله تعالى به إذا أسلم ؟ فمن قولهم : لا . وهكذا فى كل حسنة ، وسيئة ،
فظهر فساد قولهم ، وباللّٰه تعالى التوفيق .
وصلّى اللّٰه على محمد وآله وصحبه وسلم .

« الكلام في من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنبه أو كفر ثم رجع فيما تاب عنه »

قال أبو محمد : قال الله عز وجل : « لأنذركم به ومن بلغ^(١) » .

وقال تعالى : وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا^(٢) .

فنص تعالى^(٣) : على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته لا من لم تبلغه ، وأنه تعالى لا يعذب أحداً حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل .

فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه .

وهكذا جاء النص عن رسول الله ﷺ .

أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف ، والأصلح الأصم ، ومن كان في الفترة والمجنون ، فيقول المجنون : يا رب أتاني الإسلام وأنا لا أعقل ، ويقول الخرف الأصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ، ويقال لهم ادخلوها ، فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً^(٤) وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فإنه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر^(٥) بن أبي طالب وأصحابه رضى الله عنهم بأرض الحبشة ورسول الله ﷺ بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع ، فلا يبلغ إلى جعفر وأصحابه أصلاً ، لا انقطاع الطريق جملة من المدينة إلى أرض الحبشة ، ويقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئاً إذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض .

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٩

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٥

(٣) في (أ) : بزيادة : ذلك .

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده حـ ٤ ص ٢٤ ، ٥٠ .

(٥) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم صحابي هاشمي من شجعانهم يقال له جعفر الطيار وهو أخو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وكان أسن من علي بعشر سنين وهو من السابقين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية فلم يزل هناك إلى أن هاجر النبي إلى المدينة ، حضر موقعة مؤنة باللقاء فسقط شهيداً عام ٨ هـ . طبقات بن سعد حـ ٤ ص ٢٢

قال أبو محمد : ورأيت قوماً يذهبون إلى أن الشرائع لا تلزم من كان جاهلاً بها ولا من لم^(٦) تبلغه .

قال أبو محمد : وهذا باطل بل هي لازمة له لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الإنس كلهم ، وإلى الجن كلهم ، وإلى كل من لم يولد ، إذا بلغ بعد الولادة .

قال أبو محمد : قال الله تعالى آمراً له^(٧) أن يقول : « إني رسول الله إليكم جميعاً^(٨) » . وهذا عموم لا يجوز أن يخص منه أحد .

وقال تعالى : « أychسب الإنسان أن يترك سدى^(٩) » .

فأبطل سبحانه أنه يكون أحد سدى ، والسدى : هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى ، فأبطل عز وجل هذا الأمر ، ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط ، وأما^(١٠) من بلغه ذكر النبي ﷺ حيث ما كان من أقاصى الأرض ففرض عليه البحث عنه ، فإذا بلغته نذارته ففرض عليه التصديق به ، واتباعه ، وطلب الدين اللازم له ، والخروج عن وطنه لذلك ، وإلا فقد استحق الكفر ، والخلود في النار ، والعذاب بنص القرآن ، وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج إن في حين بعث النبي ﷺ يلزم من في أقاصى الأرض الإيمان به ، ومعرفة شرائعه ، فإن ماتوا في تلك الحال ماتوا كفاراً إلى النار ، ويبطل هذا قول الله عز وجل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت^(١١) وليس في وسع أحد علم الغيب .

فإن قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة إنه لا يلزم أحداً شيئاً من الشرائع حتى تبلغه ، قلنا لا حجة لهم فيها لأن كل ما كلف الناس فهو في وسعهم ، واحتمال بنيتهم ، إلا أنهم معذرون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفاً يعذبون به إن لم يفعلوه ، وإنما كلفوه تكليفاً من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله ﷺ أنه له أمراً من الحكم مجملًا أو لم يبلغه نصه ، ففرض عليه اجتهاد نفسه في طلب ذلك الأمر ، وإلا فهو عاص لله عز وجل .

قال الله تعالى : فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون^(١٢) .

(٦) سقط من (أ) « لم » .

(٧) سقط من (أ) « له » .

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٥٨

(٩) سورة القيامة آية رقم ٣٦

(١٠) في (أ) : « وأن » .

(١١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

(١٢) سورة الأنبياء آية رقم ٧

ويقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون^(١٣) » .

وأما من تاب عن ذنب ، أو كفر ، ثم رجع إلى ما تاب عنه ، فإنه إن كانت توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث ، مستهزئ ، مخادع ، لله تعالى ، قال الله تعالى : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم - إلى قوله : عذاب أليم بما كانوا يكذبون^(١٤) » .

وأما من كانت توبته نصوحًا ، ثابت العزيمة ، في أن لا يعود فهي توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطه لكل ما تاب عنه بالنص .

قال عز وجل : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا^(١٥) » فإن عاد بعد ذلك إلى الذنب الذى تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد^(١٦) غفره الله له أبدًا ، فإن ارتد ومات كافرًا فقد سقط عمله والتوبة عمل . فقد حبطت فهذا يعود عليه كل^(١٧) ما عمل خاصة .

وأما من راجع الإسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره .

قال أبو محمد : ولا تكون التوبة إلا بالندم ، والاستغفار ، وترك المعاودة ، والعزيمة على ذلك ، والخروج من مظلمة إن تاب عنها إلى صاحبها بتحليل أو انصاف ، ورأيت لأبي بكر أحمد ابن علي بن بيججور المعروف بابن الأخشيد^(١٨) وهو أحد أركان المعتزلة ، وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة^(١٩) من الأتراك وولى أبوه الثغور ، وكان هذا أبو بكر ابنه يتفقه للشافعي ، فرأيت له في بعض كتبه يقول : إن التوبة هي الندم فقط وإن لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة .

قال أبو محمد : هذا أشنع ما يكون من قول المرجئة لأن كل معتقد للإسلام فبلا شك ندرى أنه نادم على كل ذنب يعملها عالمًا بأنه مسيء فيه مستغفر منه ، ومن كان بخلاف هذه الصفة لكن مستحسنًا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلمًا ، فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الأخشيد غير مؤاخذ بها لأنه تائب منها ، وهذا خلاف الوعيد .

(١٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٢

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٩ ، ١٠ وقد وقع تحريف في (خ) حيث قال : وما يخادعون إلا أنفسهم .

(١٥) سورة طه آية رقم ٨٢

(١٦) سقط من (أ) « وقد » .

(١٧) سقط من (أ) « كل » .

(١٨) هو : أحمد بن علي بن بيججور أبو بكر بن الأخشيد ، من رؤساء المعتزلة ، كان فصيحًا له معرفة بالعربية والفقه من تصانيفه نقل

القرآن والاجماع ، واختصار تفسير الطبري سنة ٣٢٦ هـ . لسان الميزان - ح ١ ص ٢٣١

(١٩) فرغانة : بالفتح ثم السكون ، وغين معجمة ، وبعد الألف نون ، مدينة واسعة متاخمة لبلاد تركستان كثيرة الخير بينها وبين سمرقند

محمسون فرسخًا ، ومن ينسب إلى فرغانة حاجب بن مالك ابن أركين أبو العباس التركي الفرغاني ، وفي كتاب ابن الفقيه كان أبو شروان بناها ونقل

إليها من كل أهل بيت واحدًا وصاحبها « أزهر خاتة » أي من كل بيت . (راجع معجم البلدان - ح ٤ ص ٢٥٣) .

فإن قال قائل : فإنكم تقطعون على قبول إيمان المؤمن ، أفتقطعون على قبول توبة التائب ، وعمل العامل للخير ، إن كل ذلك مقبول .

وهل تقطعون على المكثّر من السيئات إنه في النار .. ؟

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

إن الأعمال لها شروط من توفيه النية حقها ، وتوفيه صفة^(٢٠) العمل حقه فلو أيقنا أن العمل وقع كاملاً كما أمر الله تعالى لقطعنا على قبول الله عز وجل له ، وأما التوبة فإذا وقعت نصوحاً فنحن نقطع بقبولها ، وأما القطع على مظهر الخير بأنه في الجنة ، وعلى مظهر الشر والمعاصي بأنه في النار ، فهذا خطأ لأننا لا نعلم ما في النفوس ولعل المظهر الخير مبطن للكفر أو مبطن على كبائر لا نعلمها فواجب أن لا نقطع من أجل ذلك عليه بشيء ، وكذلك المعلن بالكبائر فإنه يمكن أن يبطن الكفر في باطن أمره فإذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة ، أو لعل له حسنات في باطن أمره تفيء على سيئاته فيكون من أهل الجنة ، فلهذا وجب أن لا نقطع على أحد بعينه بجنة أو نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بأنهم في الجنة ، وبأن الله علم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأهل بدر^(٢١) وأهل السوابق ، فإننا نقطع على هؤلاء بالجنة لأن الله تعالى أخبرنا بذلك على لسان رسوله ﷺ ، وحاشا من مات معلنا للكفر ، فإننا نقطع عليه بالنار ، ونقف فيمن عدا هؤلاء إلا أننا نقطع على الصفات فنقول : من مات معلناً للكفر ، أو مبطناً له فهو في النار ، خالداً فيها ومن أتى^(٢٢) الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر أو متساويهما فهو في الجنة ، لا يعذب بالنار .

ومن لقي الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففي النار . ويخرج منها بالشفاعة إلى الجنة - وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ورأيت بعض أصحابنا يذهب إلى شيء يسميه شاهد الحال ، وهو أن من كان مظهر الشيء من الديانات ، متحملاً للأذى فيه غير مستجلب بما يلقي من ذلك حالا ، فإنه مقطوع على باطنه وظاهره قطعاً لا شك فيه كعمر بن عبد العزيز^(٢٣) وسعيد بن المسيب^(٢٤)

(٢٠) سقط من (أ) كلمة : صفة .

(٢١) قال رسول الله - ﷺ : كأن الله قال : لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ورواه البخارى في التفسير وأبو داود في

السنة ٨ والجهاد ٩٨ والترمذى في التفسير سورة ٦٠

(٢٢) في (أ) : « لقي » .

(٢٣) عمر بن عبد العزيز : بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو حفص ، الخليفة الصالح ، والمملك العادل ، قيل له خامس الراشدين ، ولد ونشأ بالمدينة ٦١ هـ وولى الخلافة بعهد من سليمان ٩٩ هـ دس له السم فمات سنة ١٠١ هـ (تهذيب التهذيب - ج ٧ ص ٤٧٥) .

(٢٤) سعيد بن المسيب : بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى ، أبو محمد سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، توفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ . (طبقات بن سعد - ج ٥ ص ٨٨) .

والحسن البصرى^(٢٥) وابن سيرين^(٢٦) ومن جرى مجراهم ممن قبلهم أو معهم أو بعدهم ، فإن هؤلاء رضى الله عنهم رفضوا من الدنيا ما لو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيئاً ، واحتملوا من المضنى ما لو خففوه عن أنفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد ، فهؤلاء مقطوع على إسلامهم عند الله عز وجل ، وعلى خيرهم وفضلهم ، وكذلك نقطع على أن عمرو^(٢٧) بن عبيد كان يدين بإبطال القدر بلا شك في باطن أمره ، وأن أبا حنيفة^(٢٨) والشافعى^(٢٩) رضى الله عنهما كانا في باطن أمرهما يدينان الله تعالى بالقياس ، وأن داود^(٣٠) بن علي كان في باطن الأمر يدين الله تعالى بإبطال القياس بلا شك .

وأن أحمد^(٣١) بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث في باطن أمره بلا شك ، وبأن القرآن غير مخلوق بلا شك ، وهكذا كل أمر تناصرت أحواله ، وظهر جده ، في معتقد ما ، وترك المسامحة فيه ، واحتمل الأذى ، والمضض من أجله .

قال أبو محمد : وهذا قول صحيح لا شك فيه إذ لا يمكن البتة في بنية الطوائع أن يحتمل أحد أذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها أو يتأجلها ، وبالله تعالى التوفيق .

ولا بد لكل ذى عقد من أن تبين عليه شاهد غيره^(٣٢) بما يبدو منه من مسامحة فيه ، أو صبر عليه .

وأما من كان بغير هذه الصفة فلا نقطع على عقدة ، وبالله تعالى التوفيق .

(٢٥) الح ن البصرى راجع ترجمته ص ١٠٩ من هذا الجزء .
(٢٦) محمد بن سيرين ، البصرى ، الأنصارى بالولاء ، أبو بكر ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، تابعى من أشراف الكتاب ، مولده ووفاته بالبصرة ، نشأ بزازاً في أذنه صمم ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفى سنة ١١٠ هـ . (وفیات الأعيان حـ ١ ص ٤٥٣) .

(٢٧) عمرو بن عبيد : بن باب أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيا ، وأحد الزهاد المشهورين كان جده من سبى فارس وأبوه نساكاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة ، واشتهر عمرو بعلمه وزهده من كتبه : الرد على القدرية ، والتفسير ، توفى بمران قرب مكة سنة ١٤٤ هـ . (ميزان الاعتدال حـ ٢ ص ٢٩٤) .

(٢٨) أبو حنيفة : النعمان بن ثابت . راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٢٢٧ .

(٢٩) الشافعى : محمد بن أدريس : راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٢٦٤ .

(٣٠) داود بن علي : راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٢٩١ .

(٣١) أحمد بن حنبل : ت ٤٢١ هـ وهو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى : راجع ترجمة مفصلة له في طبقا الحفاظ

حـ ١ ص ٨٦ .

(٣٢) في (أ) : (عقده) .

« الكلام في الشفاعة والميزان والحوض والصراف وعذاب القبر والفتنة »^(١)

قال أبو محمد : اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم ، وهم المعتزلة ، والخوارج ، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله^(٢) فيها ، وذهب أهل السنة ، والأشعرية ، والكرامية ، وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة ، واحتج المانعون منها^(٣) بقول الله عز وجل : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين »^(٤) .

ويقوله عز وجل : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله »^(٥) .

ويقوله تعالى : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً »^(٦) .

ويقوله تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً » ولا يقبل منها شفاعة^(٧) .

ويقوله تعالى : « من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة »^(٨) .

ويقوله تعالى : « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم »^(٩) .

ويقوله تعالى : « ولا يقبل منها عدل ولا تنفعهما شفاعة ولا هم ينصرون »^(١٠) .

قال أبو محمد : من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ،

(١) سقط من (أ) كلمة : الصراط والكتبة بدلاً من الفتنة .

(٢) في (خ) : بعد دخولها .

(٣) سقط من (أ) مها .

(٤) سورة المدثر آية رقم ٤٨

(٥) سورة الانفطار آية رقم ١٩

(٦) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة .

(٧) سورة البقرة آية رقم ٤٨

(٨) القرة آية رقم ٢٥٤

(٩) سورة الشعراء آية رقم ١٠٠

(١٠) سورة البقرة آية رقم ١٢٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة في (أ) : حيث ذكرها « ولا يؤخذ منها عدل » .

ولا على بعض السنن دون بعض ، ولا على القرآن دون بيان رسول الله ﷺ ، الذى قال له ربه عز وجل « لتبين للناس ما نزل إليهم^(١١) » .

وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن .

فقال تعالى : « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا^(١٢) » .

فأوجب عز وجل الشفاعة إلا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة [ونفاها عن سواه فقد اتخذ محمد - ﷺ عند الله^(١٣) عهدًا بالشفاعة] وصحت بذلك الأخبار المتواترة ، المتناصرة ، بنقل الكواف لها .

قال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من إذن له الرحمن ورضى له قولاً^(١٤) » .

وقال تعالى : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له^(١٥) » .

فنص تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ، ممن أذن له فيها ، ورضى قوله ، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ ، لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام .

وقال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه^(١٦) » .

« وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى^(١٧) » .

وقال تعالى : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون^(١٨) » .

وقال تعالى : ما من شفيع إلا من بعد إذنه^(١٩) .

فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا أن الشفاعة التى أبطلها الله عز وجل ، هى غير الشفاعة التى أثبتتها عز وجل ، وإذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى أبطل عز وجل هى الشفاعة للكفار ، الذين هم مخلدون فى النار .

(١١) سورة النحل آية رقم ٤٤ وقد جاءت الآية محرفة فى (أ) : حيث ذكرها « ما أنزل » .

(١٢) سورة مريم آية رقم ٨٧

(١٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٤) سورة طه آية رقم ١٠٩

(١٥) سورة سبأ آية رقم ٢٣

(١٦) سورة البقرة آية رقم ٥٥

(١٧) سورة النجم آية رقم ٢٦

(١٨) سورة الزخرف آية رقم ٨٦

(١٩) سورة يونس آية رقم ٣

قال تعالى : « لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها^(٢٠) » . نعوذ بالله منها ، فإذا لا شك فيه ، فقد صح يقينا أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له ، واتخذ عنده عهدًا ، ورضى قوله .

فإنما هي لمذنبى أهل الإسلام - وهكذا جاء الخبر الثابت .

قال أبو محمد : وهما شفاعتان إحداهما عامة لكل محسن ومسيء في تعجيل الحساب يوم القيامة ، وإراحة الناس مما هم فيه من هول^(٢١) الموقف وشنعة الحال وهو المقام المحمود ، الذى جاء النص فى القرآن به ، فى قوله : « عسى أن يعثك ربك مقامًا محمودًا^(٢٢) » وهكذا جاء الخبر الثابت نصًا .

والشفاعة الثانية : فى إخراج أهل الكبائر من النار ، طبقة طبقة ، على ما صح فى ذلك الخبر .

وأما قول الله تعالى : « قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا^(٢٣) » « يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا^(٢٤) » .

فما خالفناهم فى هذا أصلا ، وليس هذا من الشفاعة فى شيء ، فنعم لا يملك أحد لأحد نفعًا ، ولا ضرًا ، ولا رشدًا ، ولا هدى ، وإنما الشفاعة رغبة إلى الله تعالى ، وضرعة ، ودعاء . وقال بعض منكرى الشفاعة : إن الشفاعة ليست إلا فى المحسنين فقط .

واحتجوا بقوله تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى^(٢٥) » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من أذن الله فى إخراجهم من النار وإدخاله الجنة ، وأذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك ، فقد ارتضاه ، وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوب ، بأن رجحت حسناته على كبائره ، أو بأن لم تكن له كبيرة ، أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع ، فقد حصلت له الرحمة ، والفوز ، من الله تعالى وأمر به إلى الجنة ففى ماذا يشفع له ؟ وإنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره على^(٢٦) حسناته ، فأدخل النار ، ولم يأذن تعالى بإخراجه منها ، إلا بالشفاعة ، وكذلك الخلق فى كونهم فى الموقف هم أيضا

(٢٠) سورة فاطر آية رقم ٣٦

(٢١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٢) سورة الاسراء آية رقم ٧٩

(٢٣) سورة الجن آية رقم ٢١ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون (إني) .

(٢٤) سورة الانفطار آية رقم ١٩ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت : ولا تملك .

(٢٥) سورة الأنبياء آية رقم ٢٨

(٢٦) سقط من (أ) كلمة : على .

في مقام شنيع فهم أيضا محتاجون إلى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق ، وبما صحت به^(٢٧) الأخبار من ذلك . نقول : « وأما الميزان » فقد أنكره قوم فخالقوا كلام الله تعالى جراءة ، وإقدامًا ، وتنطع آخرون ، فقالوا : هو ميزان بكفتين من ذهب ، وهذا إقدام آخر لا يحل ، قال الله عز وجل : « وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم^(٢٨) » .

قال أبو محمد : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن الكريم ، أو بما جاء عن رسل الله ﷺ ، ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان ، ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به ، فإذا لا يصح عنه عليه السلام في ذلك شيء فلا يحل لأحد أن يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به ، لكن نقول كما قال الله عز وجل « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - إلى قوله : « وكفى بنا حاسبين^(٢٩) » .

وقال تعالى : « والوزن يومئذ الحق^(٣٠) » .

وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية^(٣١) » .

فنقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد .

قال تعالى عن الكفار : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا^(٣٢) » .

وليس هذا على أنه لا توزن أعمالهم ، بل توزن لكن أعمالهم شائلة وموازنهم خفاف ، قد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول : « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » إلى قوله : « فكنتم بها تكذبون^(٣٣) » .

فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم ، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ، ونقطع على أن تلك الموازين أشياء يبين الله عز وجل بها لعبادة مقادير أعمالهم من خير أو شر ، من مقدار الذرة التي لا يحس وزنها في موازيننا أصلا ، فما زاد ، ولا ندرى كيف تلك الموازين .. ؟ إلا أننا ندرى أنها بخلاف موازين الدنيا ، وأن ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة

(٢٧) سقط من (أ) : به .

(٢٨) سورة النور آية رقم ١٥

(٢٩) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧

(٣٠) سورة الأعراف آية رقم ٨

(٣١) سورة الفارعة آية رقم ٦ إلى ٩

(٣٢) سورة الكهف آية رقم ١٠٥

(٣٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٠٣

أثقل من ميزان^(٣٤) من تصدق بدابه^(٣٥) وليس هكذا وزن الدنيا^(٣٦) وندرى أن إثم القاتل أعظم من إثم اللاطم ، وأن ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى مثلها من^(٣٧) التطوع ، بل بعض الفرائض أعظم أجراً^(٣٨) من بعض ، فقد صح عن النبي ﷺ « أَنَّ مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ كَمَنْ قَامَ لَيْلَةً ، وَمَنْ صَلَّى الْعَتَمَةَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ^(٣٩) » وكلاهما فرض وهكذا جميع الأعمال ، فإنما يوزن عمل العبد خيره مع شره ، ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل ، وأما من قال بما لا يدري من إن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا وقد أخطأ في قياسه ، إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون ، وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ، ولا نقول إلا بما جاء به قرآن ، أو سنة صحيحة عن النبي ﷺ ، ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ، ولا تكذيب إلا بما فيهما إبطاله وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الخوض »

فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي ﷺ ، ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن انكروه متعلقاً إلا الجهل بالآثار^(٤٠) ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق .

« وأما الصراط »

فقد ذكرناه في الباب الأول الذي قبل هذا ، وأنه كما قال رسول الله ﷺ « يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ وَيَمْرُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَمَجْدُوجٌ وَنَاجٍ وَمَكْرُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٤١) » وأن الناس يميزون عليه على قدر أعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك إلى من يقع في النار ، وهو طريق أهل

(٣٤) سقط من (أ) (من ميزان) .

(٣٥) في (أ) : بداية .

(٣٦) سقط من (أ) بداية .

(٣٧) سقط من (أ) مثلها من .

(٣٨) سقط من (أ) كلمة : أجراً .

(٣٩) الحديث رواه مسلم في المساجد ٢٦٠ والبخارى في الآذان ٣٤ والترمذي في الصلاة ٥١ وابن ماجه في المساجد ١٨ والدارمي في

الصلاة ٣٨ وأحمد بن حنبل في مسنده حد ١ ص ٥٨ ، ٦٨ ولفظه عند مسلم : من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح جماعة فكأنما صلى الليل كله .

(٤٠) سقط [الا الجهل بالآثار] .

(٤١) الحديث رواه البخارى في الآذان ١٢٩ والتوحيد ٢٤ ورواه مسلم في الإيمان ٢٩٩ وابن ماجه في الزهد ٣٣ وأحمد بن حنبل في المسند

حد ٣ ص ٢٩٣ ولفظه عند ابن ماجه : يوضع الصراط بين ظهراي جهنم على حسك السعدان ثم يستجيز الناس فتاج مُسَلَّمٌ ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومكنوس فيها .

الجنة اليها من المحشر في الأرض إلى السماء ، وهو معنى قول الله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا^(٤٢) » .

وأما كتاب الملائكة لأعمالنا فحق قال الله تعالى : « وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين^(٤٣) » .

وقال تعالى : « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون^(٤٤) » .

وقال تعالى : « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك^(٤٥) » .

وقال تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد^(٤٦) » .

قال أبو محمد : وكل هذا لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى إلى الإسلام ، إلا أنه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب .

(٤٢) سورة مريم آية رقم ٧١

(٤٣) سورة الانفطار آية رقم ١١

(٤٤) سورة الجاثية آية رقم ٢٩

(٤٥) سورة الاسراء آية رقم ١٣

(٤٦) سورة ق آية رقم ١٧

« عذاب القبر »

قال أبو محمد : ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني^(١) أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر .

وهو قول من لقينا من الخوارج .

وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر^(٢) والجبائي^(٣) وسائر المعتزلة إلى القول به .

وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وقد احتج من أنكروه بقول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين^(٤) » .

ويقوله تعالى : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم^(٥) الآية .

قال أبو محمد : وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لأن فتنة القبر وعذابه والمساءلة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد إثر ذلك ، قبر أو لم يقبر .

برهان ذلك : قول الله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم ، اليوم^(٦) ... الآية .

وهذا قبل القيامة بلا شك وإثر الموت وهذا هو عذاب القبر .

(١) راجع ترجمته في الجزء الثالث .

(٢) راجع ترجمته في الجزء الثالث .

(٣) راجع ترجمته في الجزء الثالث .

(٤) سورة غافر آية رقم ١١

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٨

(٦) الأنعام آية رقم ٩٣

وقال تعالى : « إنما توفون أجوركم يوم القيامة^(٧) » .

وقال تعالى في آل عمران « النار يعرضون عليها غدواً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب^(٨) » .

فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر ، وإنما قيل عذاب القبر فأضيف إلى القبر لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون .

وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع ، والغريق تأكله دواب البحر ، والمحرق ، والمصلوب ، والمعلق ، فلو كان على ما يقدر من يظن أنه لا عذاب إلا في القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ، ولا عذاب قبر ، ولا مساءلة ، ونعوذ^(٩) بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة ، وسؤال ، وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة^(١٠) فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون إلى الجنة أو النار .

وأيضاً فإن جسد كل إنسان فلا بد^(١١) للعود إلى التراب يوماً ما ، كما قال تعالى : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى^(١٢) » .

فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق أو محرق أو أكيل سبع أو دابة فإنه يعود رماداً أو رجيعاً ، أو يتقطع فيعود إلى الأرض ، ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها إلى يوم القيامة ، وأما من ظن أن الميت يحيى في قبره فخطأ لأن الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك ، ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثاً وأحيانا ثلاثاً ، وهذا باطل ، وخلاف القرآن ، إلا من أحياه الله تعالى آية لنبي من الأنبياء . « الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم^(١٣) » . أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه^(١٤) .

وكذلك قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها ، إلى قوله إلى أجل مسمى^(١٥) » .

فصح بنص القرآن أن روح من مات لا ترجع إلى جسده إلا إلى الأجل المسمى ، وهو يوم

(٧) سورة آل عمران آية رقم ١٨٥

(٨) سورة غافر آية رقم ٤٦

(٩) في (خ) : « ومعاذ الله » .

(١٠) في (أ) : القيمة .

(١١) في (خ) : فلا بد له من العود .

(١٢) سورة طه آية رقم ٥٥

(١٣) سورة البقرة آية رقم ٢٤٢

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩

(١٥) سورة الزمر آية رقم ٤٢

القيامة ، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه رأى الأرواح ليلة أسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ، أرواح أهل السعادة ، وعن شماله أرواح أهل الشقاء ، وأخبر عليه السلام يوم بدر إذ خاطب القتلى وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقا قبل أن يكون لهم قبور ، فقال المسلمون يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُخَاطَبُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ »^(١٦) فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جَيَّفُوا وأعلمهم أنهم سامعون فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شك ، وأما الجسد فلا حس له .

قال أبو محمد : ولم يأت قط عن رسول الله ﷺ في خبر يصح أن أرواح الموتى ترد إلى أجسادهم عند المساءلة ، ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به ، فإذا لا يصح فلا يحل لأحد أن يقوله ، وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح المهال بن عمرو^(١٧) وحده ، وليس بالقوى . تركه شعبه وغيره ، وسائر الأخبار الثابتة على خلاف ذلك ، وهذا الذى قلنا هو الذى صح أيضا عن الصحابة رضی الله عنهم ، لم يصح عن أحد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق ، حدثنا عيسى بن حبيب ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن يزيد المقرئ عن جده محمد بن عبد الله ، عن سفیان بن عيينه ، عن منصور ابن صفية ، عن أمه صفية بنت شيبة ، قال : دخل بن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصلب ، فقيل له : هذه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فمال إليها فعزاها ، وقال : إن هذه الجثث ليست بشيء ، وإن الأرواح عند الله ، فقالت أسماء : وما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل ، وحدثنا محمد بن بيان ، ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم ابن إصبيغ ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ، ثنا أبو موسى محمد بن المثني الزمعي ، ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا سفیان الثوري ، عن ابن اسحاق السبيعي ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود ، في قول الله عز وجل « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين »^(١٨) .

قال ابن مسعود : هي التي في البقرة « وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم »^(١٩) .
فهذا ابن مسعود : وأسماء بنت أبى بكر الصديق ، وابن عمرو رضی الله عنهم ، ولا يخالف

(١٦) الحديث رواه مسلم في الجنة ٧٧ والنسائي في الجنائز ١١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ح ١ ص ٧٢ ح ١٠٤ ولفظه عند مسلم : يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جَيَّفُوا قال : والذي نفس بيده ما أنتم بما سمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر .

(١٧) المهال بن عمرو الأسدي ، روى عن أنس ، وسويد بن غفلة ومحمد بن الحنفية وأبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهم ، قال وهب بن جرير عن شعبة أتيت منزل المهال فسمعت منه صوت الطنبور فرجعت ولم أسأله ، وقال الغلابي كان ابن معين يضع من شأن المهال . (تهذيب التهذيب ح ١ ص ٣١٩) .

(١٨) سورة غافر آية رقم ١١

(١٩) سورة البقرة آية رقم ٢٨

لهم من الصحابة رضى الله عنهم ، تقطع أسماء وابن عمر على أن الأرواح باقية عند الله ، وأن الجثث ليست بشيء ، ويقطع ابن مسعود بأن الحياة مرتان ، والوفاة كذلك ، وهذا قولنا ، وبالله التوفيق .

قال أبو محمد : وقد صح عن النبي ﷺ أنه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلى ليلة الإسراء ، وأخبر أنه رآه في السماء السادسة ، أو السابعة ، وبلا شك إنما رأى روحه ، وأما جسده فموارى بالتراب بلا شك .

فعل هذا أن موضع كل روح يسمى قبرا له^(٢٠) فتعذب الأرواح حينئذ ، وتسأل حيث كانت ، وبالله تعالى التوفيق .

« مستقر الأرواح »

قال أبو محمد : اختلف الناس في مستقر الأرواح ، وقد ذكرنا بطلان قول أصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا - والحمد لله رب العالمين .

فذهب قوم من الروافض^(١) إلى أن أرواح الكفار ببرهوت ، وهو بئر بحضرموت^(٢) وأن أرواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية - وهذا قول فاسد ، لأنه لا دليل عليه أصلا ، وما لا دليل عليه فهو ساقط ، ولا يعجز أحد عن أن يدعى للأرواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء ، وما كان هكذا فلا يدين به إلا مخذول ، وبالله تعالى التوفيق .

وذهب عوام أصحاب الحديث إلى أن الأرواح على أفنية قبورها - وهذا قول لا حجة له أصلا تصححه إلا خبر ضعيف لا يحتج بمثله ، لأنه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث ، وما كان هكذا فهو ساقط أيضا وذهب أبو الهذيل العلاف^(٣) والأشعرية إلى أن الأرواح أعراض تفتنى ولا تبقى ، وقتين فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا .

ومن عجائب أصحاب هذه المقالة الفاسدة ، قولهم : إن روح الإنسان الآن غير روحه قبل ذلك ، وأنه لا ينفك تحدث له روح ثم تفتنى ، ثم روح ثم تفتنى ، وهكذا أبدا ، وأن الإنسان يبدل ألف ألف روح ، وأكثر في مقدار أقل من ساعة زمانية ، وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام^(٤)

(١) راجع كلمة عن الروافض في هذا الجزء

(٢) حضرموت : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم اسمان مركبان واسمها في التوراة حاضر ميت ، وقيل سميت بحضرموت عمرو بن قيس ابن معاوية وقيل حضرموت اسمه عامر بن قحطان وإنما سمي حضرموت لأنه كان إذا حضر حربا أكثر فيها من القتل فلقب بذلك ، وحضرموت ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر وحوها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وبها قبر هود عليه السلام وقرها بئر برهوت وبين حضرموت وصعاء اثنا عشر فرسخا ، وأهلها دخلوا في طاعة الرسول - ﷺ - وقد عليه الأشعث بن قيس في بصعة عشر راكبًا مسلما فآكرمه رسول الله - ﷺ .. الخ . (راجع ترجمة وافية لها في معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧١) .

(٣) راجع ترجمته في الجزء الثالث ص ٣٤

(٤) البرسام : بالكسر علة معروفة ، وفي التهذيب بالفتح . قال ابن السكيت هو الأثر يسم .

وزاد بعضهم فقال إن صحت الآثار في عذاب الأرواح فإن الحياة ترد إلى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب ، وهذا أيضا حمق آخر ، ودعاوى في غاية الفساد . وبلغنى عن بعضهم أنه يزعم أن الحياة ترد إلى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم ، وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله ﷺ « كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ ، إِلَّا عَجْبُ الذَّنْبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ ^(٥) » .

قال أبو محمد : وهذا الخبر صحيح إلا أنه لا حجة فيه لأنه ليس فيه أن عجب الذنب يحيا ، ولا أنه يركب فيه حياة ، ولا أنه يعذب ولا ينعم وهذا كله مقحم في كلام النبي ﷺ .

وإنما في الحديث أن عجب الذنب خاصة لا يأكله التراب ، فلا يحول تراباً وأنه منه ابتداء خلق المرء ، ومنه يبدأ إنشأؤه ثانية فقط ، وهذا خارج أحسن خروج على ظاهرة ، وأن عجب الذنب خاصة تتبدد أجزاءه ، وهى عظام تحسها لا تحول تراباً ، وأن الله تعالى يبتدىء الانشاء الثانى يجمعها ثم يركب تمام الخلق للإنسان عليه ، وأنه أول ما خلق من جسم الإنسان ، ثم ركب عليه سائر .

وإذ هذا ممكن لو لم يأت به نص فخير رسول الله ﷺ أحق بالتصديق من كل خير ، لأنه عن الله عز وجل .

قال تعالى : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ^(٦) » .
وقال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ^(٧) » وقال أبو بكر ابن كيسان الأصبم : لا أدرى ما الروح ولم يثبت شيء غير الجسد .

قال أبو محمد : وسنبين إن شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين فى باب الكلام فى الروح والنفس من كتبنا هذا بحول الله وقوته .

والذى نقول به فى مستقر الأرواح ، هو ما قاله الله تعالى ، ونبيه ﷺ ، لا نتعداه فهو البرهان الواضح ، وهو أن الله تعالى قال : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ^(٨) » .

(٥) الحديث رواه البخارى فى التفسير ٣٩ ، ورواه مسلم فى الفتن ١٤١ ، ١٤٣ وأبو داود سنة ٢٢ وابن ماجه فى الزهد ٣٢ والموطأ فى اللجنائز ٤٩ وأحمد بن حنبل - ٢ ص ٣٢٢ ، ٤٢٨

(٦) سورة النجم آية رقم ٣٢

(٧) سورة الكهف آية رقم ٥١

(٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

وقال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا^(٩) » .

فصح أن الله عز وجل خلق الأرواح جملة وهي الأنفس .

وكذلك أخبر عليه السلام : « أن الأرواح جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا أُتِّلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ^(١٠) » .

قال أبو محمد : وهي العاقلة الحساسة ، وأخذ عز وجل عهدا وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة ، قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام ، وقبل أن يدخلها في الأجساد ، والأجساد يومئذ تراب وماء ، ثم أقرها تعالى حيث شاء ، لأن الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التي توجب التعقيب ، والمهلة ، ثم أقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت ، لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المنى المنحدر من أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، كما قال تعالى : « ألم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقة فخلق فسوى^(١١) » .

وقال عز وجل : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما^(١٢) الآية » .

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ أنه يُجْمَعُ خَلْقُ ابْنِ آدَمَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ^(١٣) » .

وهذا نص قولنا - والحمد لله ، فيلوههم الله عز وجل في الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام ، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ، وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الأنبياء عليهم السلام وأرواح الشهداء إلى الجنة .

(٩) سورة الأعراف آية رقم ١١

(١٠) الحديث رواه البخارى في الأنبياء ٣ ورواه مسلم في البر ١٥٩ ، ١٦٠ وأبو داود في الأدب ١٦ وأحمد بن حنبل ح ٢ ص ٢٩٥ ،

٥٢٧

(١١) سورة القيامة آية رقم ٣٧

(١٢) سورة المؤمنون آية رقم ١٣

(١٣) الحديث رواه البخارى في بدء الخلق ٦ ، والأنبياء ١ ، والقدر ١ والتوحيد ٢٨ ورواه مسلم في القدر ١ وأبو داود في السنة ٦ والترمذى في القدر ٤ وابن ماجه في المقدمة ١٠ ولفظه عند ابن ماجه : يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيومر بأربع كلمات فيقول اكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد .. الخ .

وقد ذكر محمد بن نصر المروزي^(١٤) عن اسحاق بن راهويه^(١٥) أنه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال : على هذا أجمع أهل العلم .

قال أبو محمد : وهذا قول جميع أهل الإسلام حتى خالف من ذكرنا ، وهذا هو قول الله عز وجل : وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم^(١٦) .

وقوله تعالى : « فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ، إن هذا هو حق اليقين^(١٧) .

ولا تزال الأرواح هنالك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها في أجسادها ، ثم يرجعوا إلى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ، ويعيد الله عز وجل الأرواح ثانية إلى الأجساد ، وهي الحياة الثانية ، ويحاسب الخلق ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، مخلدين أبداً .

قال أبو محمد : وقال الأشعرية معنى قول النبي ﷺ في العهد المأخوذ في قول الله عز وجل : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم^(١٨) » .

أن (إذ) هاهنا بمعنى إذا فقول في غاية السقوط ، لوجوه خمسة أولها : أنه دعوى بلا دليل ، والثانية : أن إذ بمعنى إذا لا يعرف في اللغة ، وثالثها : أنه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاماً لا يعقل ولا يفهم ، وإنما أورده عز وجل حجة ، ولا يحتاج الله عز وجل إلا بما نفهم لا بما لا نفهم ، لأن الله تعالى قد تفضل^(١٩) علينا بإسقاط الإصر عنا ، ولا إصر أعظم من تكليفنا فهم ما ليس في بنيتنا فهمه ، ورابعها : أنه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الأرض إلا مؤمن .

والعيان يبطل هذا لأننا نشاهد كثيراً^(٢٠) من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشأ على

(١٤) محمد بن نصر المروزي أبو عبد الله ، إمام في الفقه والحديث ، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام ولد ببغداد ونشأ بنيسابور ، واستوطن سمرقند وتوفى بها سنة ٢٩٤ هـ له كتب منها القسامة ، والمسند في الحديث واختصر المقرئ ثلاثه من كتبه طبعت في جزء واحد وهي قيام الليل ، وقيام رمضان ، والوتر . (تذكرة الحفاظ - ج ٢ ص ٢٠١) .

(١٥) اسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو يعقوب ابن راهويه من سكان مرو وهو أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، كان ثقة في الحديث له تصانيف منها المسند ، استوطن نيسابور وتوفى بها سنة ٢٣٨ هـ . (تهذيب التهذيب - ج ١ ص ٢١٦) .

(١٦) سورة الواقعة آية رقم ٩

(١٧) سورة الواقعة آية رقم ٩٣

(١٨) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(١٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠) في (خ) : آلفاً .

الكفر ، وولد عليه إلى أن مات ، ومن يقول بأن العالم لم يزل ولا يحدث له ، من الأوائل والمتأخرين .

وخامسها : أن الله عز وجل إنما أخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على أن الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد ، كما كان قبل حلوله فيه لأنه تعالى أخبرنا أنه اقام علينا الحججة بذلك الاشهاد دليلاً ، كراهية أن نقول يوم القيمة : إنا كنا عن هذا غافلين .

أى عن ذلك الإشهاد المذكور ، فصح أن ذلك الاشهاد كان^(٢١) قبل هذه الدار التي نحن فيها التي أخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخير ، وقبل يوم القيمة أيضاً فبطل بذلك قول بعض الأشعرية وغيرها ، وصح أن قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : وإنما أتى المخالفون منهم أنهم عقدوا على أقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى ، وكلام رسول الله ﷺ إليها ، وهذا هو الباطل الذى لا يحل ، ونحن والله الحمد إنما أتينا إلى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله ﷺ فقلنا به ، ولم نحكم في ذلك بطراً ولا هوى ، ولا رددناهما إلى قول أحد ، بل رددنا جميع الأقوال إلى نصوص القرآن والسنة .

والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه .

قال أبو محمد : وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى أنهم المقربون ، في جنات النعيم ، وأنهم غير أصحاب اليمين ، وكذلك أخبر عليه السلام أنه رآهم في السموات ليلة أسرى به في سماء سماء ، وكذلك الشهداء أيضاً هم في الجنة لقول الله عز وجل : « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء^(٢٢) » وقال : « عند ربهم يرزقون^(٢٣) » . وهذا الرزق للأرواح بلا شك ولا يكون إلا في الجنة^(٢٤) .

وقد بين رسول الله ﷺ بالحديث الذى روى « نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يُعَلَّقُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ^(٢٥) » وروينا هذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وأنهم الشهداء وهذا تتألف الأحاديث والآيات - والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : كيف تخرج الأنبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة إلى حضور الموقف

يوم القيامة ؟ .

(٢١) سقط من (أ) (كان) .

(٢٢) سورة البقرة آية رقم ١٥٤

(٢٣) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩

(٢٤) في (خ) : ولا يكون في الجنة وهو تحريف .

(٢٥) الحديث رواه النسائي في الجنائز ١١٧ وابن ماجه في الزهد ٢٢ ، والموطأ في الجنائز ٤٩ ، وأحمد بن حنبل ح ٣ ص ٤٥٥ ، ٤٥٦

قيل له وبالله التوفيق : لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة ، والخروج عنها ، قبل يوم القيمة ، فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام ، وحواء ثم أخرجهما منها إلى الدنيا . والملائكة في الجنة ، ويخرجون منها برسالات رب العالمين إلى الرسل والأنبياء إلى الدنيا ، وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره إلا جاهل ، أو مغفل ، أو ردىء الدين ، وأما الذى ينكر ولا يجوز أن يكون البتة فخرج روح من دخل الجنة إلى النار ، فالمنع من هذا إجماع من جميع الأمة ، متيقن مقطوع به ، وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء أو تفضلاً من الله عز وجل ، فلا سبيل إلى خروجه منها أبداً بالنص ، وبالله تعالى التوفيق .

الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

قال أبو محمد : اختلف الناس في حكم من مات من أطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وإناثهم .

فقالت الأزارقة^(١) من الخوارج : أما أطفال المشركين ففي النار . وذهبت طائفة : إلى أنه يوقد لهم يوم القيامة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ، ومن لم يدخلها منهم أدخل النار .

وذهب آخرون إلى الوقوف فيهم .

وذهب جمهور الناس إلى أنهم في الجنة - وبه نقول -

قال أبو محمد : فأما الأزارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام أنه قال : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا^(٢) .

ويقول : روى عن رسول الله ﷺ : أن خديجة أم المؤمنين رضيت الله عنها

قالت : يا رسول الله أين أطفالى منك ؟ قال في الجنة .

قالت : فأطفالى من غيرك ؟ قال في النار .

فأعادت عليه فقال لها : إن شئت أسمعك تضاعفهم^(٣) .

(١) الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق الحنفى المكنى بأبى راشد ، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة ، والذي جمعهم من الدين أشياء منها قولهم : بأن مخالفهم من هذه الأمة مشركون ، ومنها أنها استباحوا قتل نساء مخالفهم وقتل أطفالهم ، وزعموا أن الأطفال مشركون . (راجع حديثاً مفصلاً عنهم في الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٨٢ وما بعدها) .

(٢) سورة نوح آية رقم ٢٧

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ح ٦ ص ٢٠٨

ومحدث آخر في : **الْوَائِدَةُ وَالْمُوَدَّةُ فِي النَّارِ** (٤).

وقالوا : إن كانوا عندكم في الجنة فهم مؤمنون ، لأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة فإن كانوا مؤمنين فيلزمكم أن تدفنوا أطفال المشركين مع المسلمين ، وأن لا تتركوه يلتزم إذا بلغ دين أبيه فتكون ردة وخروجاً عن الإسلام إلى الكفر ، وينبغي لكم أن ترثوه وتورثوه من أقرابه من المسلمين . قال أبو محمد : هذا كل ما احتجوا به ما يعلم لهم حجة غير هذا أصلاً ، وكله لا حجة لهم فيه البتة .

أما قول نوح عليه السلام : (فلم يقل ذلك على كل كافر ، بل قال ذلك على كفار قومه خاصة ، لأن الله تعالى قال له : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) (٥) .
فأيقن نوح عليه السلام بهذا الوحي أنه لا يحدث فيهم مؤمن أبداً وأن كل من ولدوه إن ولدوه لم يكن إلا كافراً ولا بد .

وهذا هو نص الآية لأنه تعالى حكى عنه أنه قال :

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً » (٦) .

وإنما أراد كفار وقته الذين كانوا على الأرض حينئذ فقط ، ولو كان للأزارقة أدنى علم لعلموا أن هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر ، لكن على قوم نوح خاصة ، لأن إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم كانا أبواهما كافرين مشركين ، وقد ولدا خير الإنس والجن من المؤمنين ، وأكمل الناس إيماناً ، ولكن الأزارقة كانوا أعراباً جهالاً كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً .
وهكذا صح عن النبي ﷺ من طريق الأسود بن سريع التميمي (٧) أنه عليه السلام قال :
أَوْلَيْسَ خِيَارِكُمْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ (٨) .

قال أبو محمد : وهل كان أفاضل الصحابة رضى الله عنهم الذين يتولاهاهم الأزارقة كابن قحافة وعمر بن الخطاب ، وخديجة أم المؤمنين وغيرهم رضى الله عنهم . إلا أولاد الكفار فهل ولد

(٤) الحديث رواه أبو داود في السنة رقم ١٧ ولفظه : **الْوَائِدَةُ وَالْمُوَدَّةُ فِي النَّارِ** ، قال يحيى بن زكريا قال أنى : فحدثني أبو اسحاق أن عامراً حدثه بذلك عن علقمه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ .

(٥) سورة هود آية رقم ٣٦

(٦) سورة نوح آية رقم ٢٦

(٧) هو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي من بنى سعد بن زيد غزا مع النبي ﷺ - يكنى أبا عبد الله نزل البصرة وكان قاصداً شاعراً محسناً وهو أول من قص في مسجد البصرة ، روى عنه الحسن البصرى ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .

(٨) قال الأسود بن سريع غزوت مع رسول الله أربع غزوات فأفض بهم التقل أن قتلوا الذرية فقال بعضهم يا رسول الله : إهم أولاد المشركين فقال رسول الله - ﷺ : أوليس خياركم أولاد المشركين ، ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام حتى يُعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . (راجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب ح ١ ص ٨٩ - ٩٠)

آباؤهم كفارا؟ وهل ولدوا إلا أهل الإيمان الصريح؟ ثم آباء الأزارقة أنفسهم كوالد نافع ابن الأزرق^(٩) وغيرهم من شيوخهم هل كانوا إلا أولاد المشركين؟ ولكن من يضل الله فلا هادي له .

وأما حديث خديجة رضي الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير ، وأما حديث الوائدة فإنه جاء كما نذكره .

« حدثنا يوسف بن عبد البر ، أنا عبد الوارث بن سفيان قاسم بن أصبغ ، حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد عن المعتمد بن سليمان التيمي قال :

سمعت داود بن أبي هند يحدث عن عامر الشعبي ، عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفي قال : أتيت أنا وأخي رسول ﷺ فقلنا له : إن أمتا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء؟ قال : لا .

قلنا : فإن أمتا وأدت أختنا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث ، فقال رسول ﷺ .

المؤودة والوائدة في النار إلا أن تُدرك الوائدة الإسلام فتسلم^(١٠) .

قال أبو محمد : وهذه اللفظة يعنى لم تبلغ الحنث ليست بلا شك من كلام رسول الله ﷺ ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي وأخيه فلما أخبر عليه السلام بأن تلك المؤودة في النار كان ذلك انكارا وإبطالا لقولهما إنها لم تبلغ الحنث وتصحيحا لأنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لا يجوز إلا هذا القول ، لأن كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل ، بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا وموافق لما أخبر به ربه^(١١) عز وجل ، ومعاذ الله من غير ذلك ، وقد صح إخبار النبي ﷺ : « بأن أطفال المشركين في الجنة^(١٢) » .

قال الله تعالى : « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قُتلت^(١٣) » .

(٩) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفى الكرى الحرورى أبو راشد ، رأس الأزارقة كال أمير قومه وفقههم ، من أهل البصرة ، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس ، كان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ووالوا عليا إلى أن كانت قضية التحكيم فاجتمعوا في حروراء ونادوا بالخروج على علي ، قاتله المهلب بن أبي صفرة ، وقتل يوم دولا ب على مقربة من الأهواز عام ٦٥ هـ . (لسان الميزان الذهبى ح ٦ ص ١٤٤ وابن الأثير ح ٦ ص ٦٥ ، ٦٦) .

(١٠) الجزء الأول من الحديث رواه أبو داود في السنة رقم ١٧ والجزء الثانى وهو : « إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها ، رواه أحمد بن حنبل في مسنده ح ٣ ، ص ٤٧٨

(١١) سقط من (أ) به .

(١٢) لم يعثر على تخرىج هذا الخبر .

(١٣) سورة التكويد آية رقم ٨

فنص تعالى على أنه لا ذنب للمؤودة فكان هذا مبيّنًا لأن اخبار النبي ﷺ بأن تلك المؤودة في النار إخبار عن أنها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن أخويها .

وقد روى هذا الحديث عن داود بن أبي هند ، محمد بن أبي عدى ، وليس هو دون المعتمر ، ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه أيضًا عن داود بن أبي هند^(١٤) « عبدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر .

فأما حديث عبدة فحدثناه أحمد بن محمد بن الجسور قال : أنا وهب بن ميسرة ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا عبدة بن حميد ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة بن قيس ، عن سلمة بن يزيد .

قال : أتيت النبي ﷺ أنا وأخى ، فقلت : يا رسول الله إن أمنا كانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم . في الجاهلية ، فهل ينفعها ذلك شيئًا .. ؟ قال : لا . قال : فإنها وأدت أختنا لنا في الجاهلية ، فهل ينفع ذلك أختنا شيئًا ؟ قال : لا .

« الْوَائِدَةُ وَالْمُؤَوَّدَةُ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْإِسْلَامَ فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا »^(١٥).

وأما حديث ابن أبي عدى ، فحدثناه أحمد بن عمر بن أنس العذرى ، حدثنا أبو بدر عبد ، ابن أحمد الهروى الأنصارى ، حدثنا أبو سعيد الخليل بن أحمد السجستاني ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : انطلقت أنا وأخى إلى النبي ﷺ فقلنا : يا رسول الله إن مليكة كانت تصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتفعل ، وتفعل ، هلكت في الجاهلية ، فعل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : لا . « الْوَائِدَةُ وَالْمُؤَوَّدَةُ فِي النَّارِ ، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْإِسْلَامَ فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا » .

قال أبو محمد : هكذا رويناها لها بالهاء على أنها أخت الوائدة .

قال أبو محمد : وهذا حديث قد رويناها مختصرًا ، كما حدثناه عبد الله بن ربيع التميمى ، حدثنا عمر بن عبد الملك الخولانى ، حدثنا محمد بن بكر الوراق البصرى ، حدثنا أبو داود السجستاني ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى عن عامر الشعبي ، قال قال رسول الله ﷺ « الْوَائِدَةُ وَالْمُؤَوَّدَةُ فِي النَّارِ » قال يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، قال أبى فحدثنى أبو اسحاق أن عامرًا حدثه بذلك عن علقمة ابن مسعود عن النبي ﷺ .

(١٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٥) الحديث رواه أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده ح ١ ص ٢٩٨ ، ح ٣ ، ٤٧٨ ، ورواه أبو داود في السنة رقم ١٧

قال أبو محمد : وهذا مختصر وهو على ما ذكرنا من أنه عليه السلام إنما عنى بذلك التي بلغت لا يجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق .

وأما احتجاجهم بقول رسول الله ﷺ « هم من آبائهم » .

فإنما قاله عليه السلام في الحكم في الدين ، والله تعالى أن يفرق بين أحكام عباده ويفعل ما يشاء لامعقب لحكمه ، وأيضا فلا متعلق لهم بهذا اللفظ أصلا ، لأنه إنما فيه أنهم من آبائهم ، وهذا لا شك فيه أنهم توالدوا من آبائهم ، ولم يقل عليه السلام إنهم على دين آبائهم .

وأما قولهم : ينبغي أن تصلوا على أطفال المشركين ، وتورثوهم وترثوهم ، وأن لا تتركوهم يلتزموا دين آبائهم إذا بلغوا ، فإنها ردة فليس لهم أن يعترضوا على الله تعالى . فليس تركنا للصلاة عليهم يوجب أنهم ليسوا مؤمنين ، فهؤلاء الشهداء وهم أفاضل المؤمنين لا يصلى عليهم ، وأما انقطاع الموارث بيننا وبينهم فلا حجة في ذلك على أنهم ليسوا مؤمنين ، فإن العبد مؤمن فاضل لا يرث ولا يورث ، وقد يأخذ المسلم مال عبده الكافر إذا مات ، وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل أن يباع عليه ، وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد إذا مات كافرا مرتدا أو قتل على الردة ، وهذا معاذ بن جبل^(١٦) ومعاوية بن أبي سفيان^(١٧) ومسروق بن الأجدع^(١٨) وغيرهم من الأئمة رضى الله عنهم يورثون المسلمين من أقاربهم الكفار إذا ماتوا ، والله تعالى أن يفرق بين أحكام من شاء من عباده ، وإنما نقف حيث أوقفنا النص ولا مزيد ، وكذلك دفنهم في مقابر آبائهم أيضا ، وكذلك تركهم يخرجون إلى أديان آبائهم إذا بلغوا ، فإن الله تعالى أوجب علينا أن نتركهم وذلك ، ولا نعرض على أحكام الله عز وجل و « لا يسأل عما يفعل^(١٩) » .

وقد قال رسول الله ﷺ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْمِلَّةِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَبُوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيَمَجِّسَانِهِ وَيُشْرِكَانِهِ^(٢٠) .

(١٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي - ﷺ ، شهد العقبة مع الأنصار وشهد بدرًا والخندق وغيرها وبهت رسول الله قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن له ١٥٧ حديثًا توفي بناحية الأردن عام ١٨ هـ .

(١٧) معاوية بن أبي سفيان : صحابي من أمية بن عبد شمس بن عبد مناف مؤسس الدولة الأموية ، وأحد دعاة العرب ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ وتعلم الكتابة والحساب فجعله رسول الله في كتابه ولما ولي أبو بكر ولاية قيادة الجيش ، ولما ولي عمر جعله واليًا على الأردن ثم ولاية دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية توفي سنة ٦٠ هـ . (راجع تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٦ ص ١٨٠) .

(١٨) مسروق بن الأجدع : بن مالك الهمداني الوداعي تابعي ثقة من أهل اليمن قدم المدينة في أيام أبي بكر وسكن الكوفة ، وشهد حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفي عام ٦٣ هـ . (تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٠٩) .

(١٩) سورة الأنبياء آية رقم ٢٣

(٢٠) الحديث رواه الإمام مسلم في القدر ٢٣ ، والترمذي في القدر ٥ وأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢٥٢ ، ٤٨١

قال أبو محمد : فبطل أن يكون لهم في شيء مما ذكرنا متعلق ، وإنما هو تشغيب موهوا به ، لأن كل ما ذكرنا فإنما هي أحكام مجردة فقط ، وليس في شيء من هذه الاستدلالات نص ، على أن أطفال المشركين كفار ولا على أنهم غير كفار ، وهذه النكتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط . وبالله تعالى التوفيق وأما من قال فيهم بالوقف فإنهم احتجوا بقول رسول الله ﷺ إذ سئل عن الأطفال يموتون فقال عليه السلام : « الله أعلم بما كانوا عاملين »^(٢١) .

ويقوله ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضی الله عنها إذا مات صبي من أبناء الأنصار فقالت ..
عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ .

فقال لها عليه السلام « وَمَا يُدْرِيكَ يَا عَائِشَةُ ؟ .. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا لِلنَّارِ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ »^(٢٢) .

قال أبو محمد : وهذان الخبران لا حجة لهم في شيء منهما إلا أنهما إنما قالهما رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه أنهم في الجنة ، وقد قال تعالى آمرا لرسوله ﷺ أن يقول : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم »^(٢٣) .

قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكما قال رسول الله ﷺ عن عثمان بن مظعون^(٢٤) رضی الله عنه « والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي »^(٢٥) وكان هذا قبل أن يخبره الله عز وجل بأنه لا يدخل النار من شهد بدرًا أو هو عليه السلام لا يقول إلا ما جاء به الوحي ، كما أمر الله عز وجل أن يقول : « إن اتبع إلا ما يوحى إلي »^(٢٦) .

فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي أن يتوقف فيه المرء ، فإذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص ، وقد صحح الاجماع على أن ما يعمله الأطفال قبل بلوغهم من قتل أو وطأ أجنبية أو شرب خمر ، أو قذف ، أو تعطيل صلاة ، أو صوم ، فإنهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا ، وكذلك لا خلاف في أنه لا يؤاخذ الله عز وجل أحدا بما

(٢١) الحديث رواه أبو داود في السنة رقم ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ح ٦ ص ٨٤ ولفظة عند أبي داود قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ..

(٢٢) الحديث رواه مسلم في القدر ٣١ وأبو داود في السنة ١٧ والنسائي في الجنائز ٥٨ وابن ماجه في المقدمة ١٠ وأحمد بن حنبل في مسنده ح ٦ ص ٤١ ، ٢٠٨

(٢٣) سورة الأحقاف آية رقم ٩

(٢٤) عثمان بن مظعون : كان أحد الذين حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية ، وكان من حكماء العرب ، أسلم مع السابقين وهاجر إلى الحبشة مرتين ، وشهد مع رسول الله ﷺ غزوة بدر ، ومات في السنة الثانية ، وحزن النبي لموته ، وكان يحبه فقبله ميتًا .

(٢٥) الحديث رواه البخاري في الجنائز ٣ والتعبير ١٣ ولفظه عند البخاري : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إلى لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله : ما يفعل بي .

(٢٦) سورة الأنعام آية رقم ٥٠

لم يفعله ، بل قد صح عن رسول الله أن « من هم بسيئة فلم يعلمها لم تكتب عليه » فمن المحال المنفى أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الأطفال بما لم يعملوا ، مما لو عاشوا بعده لعملوه ، وهو لا يؤاخذوهم بما عملوا ولا يختلف إثنان في أن إنساناً بالغاً مات ولو عاش لزننا أنه لا يؤاخذ بالزنا الذى لم يعمله ، وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت^(٢٧) » .

وبقوله تعالى « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون^(٢٨) » .

فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن .

فصح أن قول رسول الله ﷺ الله أعلم بما كانوا عاملين ليس فيه أنهم كفار ، ولا أنهم في النار ، ولا أنهم مؤاخذون بما لم لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد ، وفي هذا اختلافنا لا فيما عداه ، وإنما فيه أن الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ، ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل أن يكون لاهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين إذ^(٢٩) صح عن رسول الله ﷺ في هذه المسألة بيان .

وأما من قال إنهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل ، لأن الله تعالى يقول : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى^(٣٠) » .

وأما من قال إنه توقد لهم نار فباطل ، لأن الأثر الذى فيه هذه القصة إنما جاء في المجانين وفى من لم يبلغه ذكر الإسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

قال أبو محمد : فلما بطلت هذه الأقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ، ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم^(٣١) » .

وقال عز وجل : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط - إلى قوله : لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » إلى قوله : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون^(٣٢) » .

(٢٧) سورة غافر آية رقم ١٧ وقد جاءت هذه الآية معرفة في الأصل حيث جاءت ما عملت .

(٢٨) سورة النمل آية رقم ٩٠

(٢٩) فى (أ) : إذا لم يصح وهذا تحريف .

(٣٠) سورة الأنعام آية رقم ١٦٤

(٣١) سورة الروم آية رقم ٣٠

(٣٢) سورة البقرة آية رقم ١٣٦ - ١٣٨

فص عز وجل على أنه فطر الناس على الإيمان وأن الإيمان هو صبغة الله تعالى ، وقال عز وجل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى (٣٣) » .

فصح يقينا أن كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون ، فإذا ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بإيمانهم ، حاشا من بدل هذا العهد ، وهذه الفطرة ، وهذه الصبغة ، وخرج عنها إلى غيرها ومات على التبديل ، وبيقين ندرى أن الأطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ (٣٤) » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « عَلَى الْمِلَّةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسِنَانِهِ وَيُشْرِكَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ وَهَلْ يَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ الَّذِي تَجْدَعُونَهَا (٣٥) » .

وهذا تفسير الآيات المذكورات .

حدثنا عبد الله بن ربيع ، حدثنا محمد بن اسحاق السكن ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا الحسن بن علي ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة ، فقال : هذا عندنا حيث أخذ الله العهد عليهم في أصلاب آبائهم ، حيث قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى (٣٦) .

وقد صح أيضا عن رسول الله ﷺ من طريق عياض بن حمار المجاشعي قال : عن الله تعالى أنه قال : خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم (٣٧) .

فصح يقينا أنه كل من مات قبل أن تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا ، وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والإنس [بقوله خلقت عبادي حنفاء كلهم لأن الملائكة والجن والإنس] (٣٨) عباد له عز وجل مخلوقون .

(٣٣) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٤) سبق تخریج هذا الحديث ص ١٣١

(٣٥) الحديث رواه البخارى في الجناز ٧٩ ، ٩٢ وفي التفسير سورة ٣٠ ، والقدر ٣ ورواه مسلم في القدر ٢٢ ، ٣٤ ، وأبو داود في السنة ١٧ والموطأ في الجناز وأحمد بن حنبل في المسند ح ٢ ص ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم : « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

(٣٦) سورة الأعراف آية رقم ١٧٢

(٣٧) الحديث رواه الإمام مسلم في الجنة ٦٣ وأحمد بن حنبل ح ٤ ص ١٦٣

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

وأيضاً فإن الله عز وجل أخبر بقوله إبليس له تعالى أنه يغوى الناس فقال تعالى : « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين^(٣٩) » .

فصح يقينا أن الغواية داخلة على الإيمان ، وأن الأصل من كل واحد فهو الإيمان وكل مؤمن ففى الجنة ، وأيضاً فإن الله تعالى قال : « فأندرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى^(٤٠) » وليست هذه صفة الصبيان . فصح أنهم لا يدخلون النار ، ولا دار الا الجنة أو النار ، فإذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك فى الجنة .

وقد صح عن رسول الله ﷺ فى الرؤيا الكبيرة التى رآها أنه رأى إبراهيم عليه السلام فى روضة خضراء مفتحة^(٤١) فيها من كل نور نعيم ، وحواليه من أحسن صبيان وأكثرهم ، فسأل عليه السلام عنهم فأخبر أنهم من مات من أولاد الناس قبل أن يبلغوا ، فقبل له يا رسول الله وأولاد المشركين ..؟ قال : وأولاد المشركين . فارتفع الإشكال وضح بالثابت من السنن وصحيحها أن جميع من لم يبلغ من أطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ، ولا يحل لأحد تعدى ما صح بالقرآن والسنة . وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل : إذا قلتم : إن النار دار جزاء فالجنة كذلك ، ولا جزاء للصبيان قلنا وبالله تعالى التوفيق : إنما نقف عند ما جاءت به النصوص فى الشريعة ، وقد جاء النص بأن النار دار جزاء فقط ، وأن الجنة دار جزاء وتفضل فهى لأصحاب الأعمال دار جزاء بقدر أعمالهم ، ولن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد ، وقد قال قوم : إن الصبيان هم خدم أهل الجنة ، وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدون فى غير موضع من كتابه ، وأنهم خدم أهل الجنة فلعلهم هؤلاء - والله أعلم -

قال أبو محمد : وأما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فإنهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء ، مؤمنين ، ولم يغيروا ، ولا بدلوا ، فماتوا مؤمنين فهم فى الجنة .

حدثنا أحمد بن محمد الطلمنكى^(٤٢) بالثغر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن المفرح

(٣٩) سورة الحجر آية رقم ٤٢

(٤٠) سورة الليل آية رقم ١٥

(٤١) فى (أ) : مفتحه .

(٤٢) الطلمنكى : أبو عمر الحافظ : ولد بقرطبة سنة ٣٤٠ هـ ، رحل إلى القيروان وإلى الحجاز وهو من شيوخ ابن حزم ، وعنه أخذ

ابن عبد البر صاحب الاستيعاب ، وكان رأساً فى علم القرآن ذا عناية بالحديث ، وقصد بلده طلمنكة فى آخر عمره وتوفى بها سنة ٤٢٩ هـ .

(تذكرة الحافظ ج ٣ : ص ٢٨٠) .

القاضي ، حدثنا محمد بن أيوب السموط البرقي ، أنبأنا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز ، حدثنا محمد بن المثني أبو موسى الزمن ، حدثنا معاذ بن هشام الدستواي ، حدثنا ابي عن قتادة عن الأسود ابن سريع التميمي ، عن النبي ﷺ قال : يعرض على الله تعالى الأصم الذي لا يسمع شيئا ، والأحمق ، والهرم ، ورجل مات في الفترة ، فيقول الأصم : رب جاء الإسلام ، وما أسمع شيئا ، ويقول الأحمق : جاء الإسلام ، وما أعقل شيئا ، ويقول الذي مات في الفترة : ما أتانا لك من رسول ، قال البزاز : وذهب عنى ما قال الرابع قال فيأخذ موثيقهم ليطيعوه فيرسل الله إليهم ادخلوا النار ، فوالذي نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا^(٤٣) .

« الكلام فى القيامة وبعث الأجداد »

قال أبو محمد : اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقههم على القول بالبعث فى القيادة وعلى تكفير من أنكر ذلك ، ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم فى دار الابتلاء التى هى الدنيا أمداً يعلمه الله تعالى ، فإذا انتهى ذلك الأمد مات كل من فى الأرض ثم يحيى الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان إلى انقضاء الأمد المذكور ، ورد أرواحهم التى كانت بأعيانها إلى أجسادها^(١) وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع أعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والإنس فى الجنة ، وفريق فى السعير ، وبهذا جاء القرآن والسنن ، قال تعالى : « من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم^(٢) » .

وقال تعالى : « وأن الله يبعث من فى القبور^(٣) » .

وقال تعالى : « عن إبراهيم عليه السلام أنه قال « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى^(٤) » إلى آخر الآية .

وقال تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم^(٥) » .

وقال تعالى : « فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام - إلى قوله : وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً .. الآية^(٦) » .

(١) فى (أ) : وتغيير وهو تحريف .

(٢) سقط من (أ) إلى أجسادها .

(٣) سورة يس آية رقم ٧٨

(٤) سورة الحج آية رقم ٧

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٦٠

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٤٣

(٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٩

وقال تعالى عن المسيح عليه السلام : « وأحيى الموتى بإذن الله^(٨) » ولا يمكن ألبتة أن يكون الاحياء المذكور في جميع هذه الآيات إلا رد الروح إلى الجسد ، ورجوع الحس والحركة الإرادية التي بعد عدمها منه لم يكن غير هذا البتة ، إلا أن أبا العاص الحكم منذر بن سعيد القاضي^(٩) أخبرني عن إسماعيل بن عبد الله الرعيني ، أنه كان ينكر بعث الاجساد ويقول إن النفس حال فراقها الجسد تصير إلى معادها في الجنة أو النار ، ووقفت على هذا القول بعض العارفين بإسماعيل فذكر لي ثقتان^(١٠) منهم أنهما سمعا يقول إن الله تعالى يأخذ من الأجساد جزء الحياة منها .

قال أبو محمد : وهذا تليس من القول لم يخرج به عما حكى لي عنه حكم ابن المنذر لأنه ليس في الأجساد جزء الحياة الا النفس وحدها .

قال أبو محمد : ولم ألق إسماعيل الرعيني قط على أنى قد أدركته وكان ساكنا معي في مدينة من مدائن الأندلس تسمى بجاية^(١١) مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام والله أعلم .

وحكم بن المنذر ثقة في قوله بعيد نقله^(١٢) عن الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكانا قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة^(١٣) في القدر وتبرأ منه أيضا إبراهيم بن سهل الأريواني ، وكان من رؤوس المرية وتبرأ منه أيضا صهره أحمد الطيب ، وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغني عنه أنه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله ﷺ إذ وقف على ميت فقال : أما هذا فقد قامت قيامته^(١٤) .

وبأنه عليه السلام كانت الأعراب تسأله عن الساعة فينظر إلى أصغرهم فيخبرهم أنه إن استوفى عمره لم يميت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم .

قال أبو محمد : وإنما عنى رسول الله ﷺ بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك إلى يوم البعث كما قال عز وجل « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون^(١٥) » .

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٤٩

(٩) راجع ترجمته ص ١٤٢ .

(١٠) في (خ) : (ساعة) .

(١١) في (أ) : (ثقة) .

(١٢) بجاية : بالكسر ، وتخفيف الميم ، وألف وباء وهاء مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس ابن حماد سنة ٤٥٧ هـ كانت قديماً ميناء فقط ثم بنيت مدينة . (معجم البلدان ح ١ ص ٣٣٩) .

(١٣) في (أ) : قوله .

(١٤) محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله ، متصوف متفلسف أندلسي ، من دعاة الإسماعيلية ، من أهل قرطبة قال ابن الفرضي : اتهم بالزندقة ، وفي تاريخ قضاة الأندلس أن القاضي ابن زرب وضع كتاباً في الرد على ابن مسرة توفي سنة ٣١٩ هـ . (جلدوة المقتبس ص ٥٨) .

(١٥) لم نعر على تخریج هذا الحديث .

(١٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٦

فنص تعالى على أن البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التي هي للمهلة ، وهكذا أخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة .

« يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا^(١٧) » .

وإنه يوم مقداره خمسون ألف سنة ، وأنه يجيى العظام ويبعث من في القبور في مواضع كثيرة من القرآن ، وبرهان ضرورى وهو أن الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان فذو^(١٨) مساحة متناهية محدودة بالبرهان الذى قدمنا على وجوب تناهى الأجسام ، وتناهى كل ما له عدد ويقول الله تعالى : « وجنة عرضها السموات والأرض^(١٩) » .

فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا أبداً يحدثون بلا آخر ، وقد علمنا أن مصيرهم إلى^(٢٠) الجنة أو النار ، ومحال ممتنع غير ممكن أن يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الأماكن فوجب ضرورة أن للخلق نهاية ، فإذا ذلك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضرورة ، وإنما كلامنا هذا مع من يؤمن^(٢١) بالقرآن ، ونبوة محمد ﷺ ، وادعى الإسلام ، وأما من أنكر الإسلام فكلامنا معه على ما رتبناه في ديواننا هذا من النقض على أهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد ﷺ وصحة ما جاء به فارجع إليه عند^(٢٢) التنازع وبالله تعالى التوفيق .

وقد نص الله تعالى على أن العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة ، وأما اللحم فإنما هو كسوة كما قال :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » إلى قوله :
« فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين^(٢٣) » .

فأخبر عز وجل : « أن عنصر الإنسان إنما هو العظام الذى انتقلت عن سلالة الطين^(٢٤) إلى النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام وأن اللحم كسوة العظام ، وهذا أمر نشاهده لأن اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه ما لا قدر له ، ثم يكثر عليه لحم آخر إذا خصب الجسم وكذلك

(١٧) سورة يس آية رقم ٥٢

(١٨) سقط من (أ) (فذو) .

(١٩) سورة آل عمران آية رقم ١٣٣ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكرت بدون الواو .

(٢٠) سقط من (أ) (لى) .

(٢١) فى (خ) : (يقر) .

(٢٢) فى (أ) : بعد .

(٢٣) سورة المؤمنون آية رقم ١٣ - ١٤

(٢٤) فى (أ) : السلالة التى من طين .

أخبرنا عز وجل أنه يبذل الجلود^(٢٥) في الآخرة فقال : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب^(٢٦) » .

وفي الآثار الثابتة أن جلد^(٢٧) الكفار يغلظ حتى تكون نيفا وسبعين ذراعاً وأن ضرسه في النار كأحد^(٢٨) وكذلك نجد اللحم الذي في جسد الإنسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحماً لذلك الحيوان ، أو^(٢٩) ينقلب دوداً فصح بنص القرآن أن العظام هي التي تحيي يوم القيامة ، ومن أنكر ما جاء به القرآن فلاحظ له في الإسلام .

ونعوذ بالله من الخذلان .

(٢٥) في (أ) : الخلق .

(٢٦) سورة النساء آية رقم ٥٦

(٢٧) في (أ) : (جلود) .

(٢٨) الحديث رواه مسلم في الجنة ٤٤ ورواه أحمد بن حنبل في مسنده حـ ٢ ص ٢٢٨ ص ٥٢٧ ولفظه عند مسلم : ضرس الكافر ، أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث .

(٢٩) (إذ) .

« الكلام في خلق الجنة والنار »

قال أبو محمد : ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد . وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا ، وما نعلم لمن قال إنهما لم يخلقا بعد حجة أصلاً أكثر من أن بعضهم قال : قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : وذكر أشياء من أعمال البر من عملها غرست له في الجنة كذا وكذا شجرة^(١) ويقول الله تعالى حاكياً عن امرأة فرعون أنها قالت : « رب ابن لي عندك بيتا في الجنة^(٢) » .

قالوا : ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء استئناف البناء والغرس معنى .

[قال أبو محمد : وإنما قلنا إنهما مخلوقتان على الجملة كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من نبات]^(٣) .

قال أبو محمد : والبرهان على أنهما مخلوقتان بعد لإخبار النبي ﷺ أنه رأى الجنة ليلة الإسراء .

وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة ، وقال تعالى « عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى^(٤) » .

فصح أن جنة المأوى هي السماء السادسة ، وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة .

(١) الحديث لم يوجد بهذا المعنى ، وإن كان هناك حديث رواه الترمذى في باب الدعاء بلفظ : من قال : سبحان الله العظيم ، وحمدته غرست له نخلة في الجنة ، وقال : الترمذى : هذا حديث غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير وهناك حديث آخر : من قال سبحان الله العظيم وحمدته ، غرست له نخلة في الجنة « رواه الترمذى أيضاً وقال : هذا حديث حسن غريب » .

(٢) سورة التحريم آية رقم ١١

(٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤) سورة النجم آية رقم ١٤

فقال تعالى : « فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون^(٥) » فليس لأحد بعد هذا أن يقول إنها جنة غير جنة الخلد .

وأخبر عليه السلام أنه رأى الأنبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء ولا شك في أن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة .

فصح أن الجنات هي السموات .

وكذلك أخبر عليه السلام أن الفردوس الأعلى^(٦) من الجنة التي أمرنا الله تعالى أن نسأله إياها فوقها عرش الرحمن ، والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة ، وكذلك أخبر عليه السلام أن النار اشتكت إلى ربها فأذن لها بنفسين وأن ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد^(٧) .

وكان القاضي منذر بن سعيد^(٨) يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول : إنها ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج في ذلك بأشياء منها أنها لو كانت جنة الخلد لما أكل من الشجرة ، رجاء أن يكون من الخالدين ، واحتج أيضا بأن جنة الخلد لا كذب فيها ، وقد كذب فيها إبليس ، وقال من دخل الجنة لم يخرج منها . وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها .

قال أبو محمد : كل هذا لا دليل له^(٩) فيه . أما قوله : إن آدم عليه السلام أكل من الشجرة رجاء أن يكون من الخالدين فقد علمنا أن أكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ، ولا أكله لها صوابا ، وإنما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته ، والله عز وجل لم يخبره بأنه مخلد في الجنة ، بل قد كان في علم الله تعالى أنه سيخرجه منها ، فأكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذي لم يضمن له ، ولا تيقن به لنفسه .

وأما قوله : إن الجنة لا كذب فيها وأن من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها إبليس ، وقد

(٥) سورة السجدة آية رقم ١٩ وقد جاءت الآية محرفة حيث ذكرت بدون (الفاء) .

(٦) الحديث رواه البخارى في الرقاق ٥١ ، والجهد ١٤ ، والمغازى ٩ وأحمد بن حنبل ح ٣ ، ١٢٤ ، ٢١٠ .

(٧) الحديث رواه البخارى في المواقيت ٩ ، وبدء الخلق ١٠ ورواه الإمام مسلم في المساجد ١٨٥ - ١٨٧ والترمذى جهنم ٩ ، وابن ماجه في الزهد ٣٨ والدارمي في الرقاق ١١٩ ولفظه عند الترمذى : اشتكت النار إلى ربها وقالت أكل بعض بعضا فجعل لها نفسين ، نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فأما نفسها في الشتاء فزمهرير ، وأما نفسها في الصيف فسموم .

(٨) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن الثوري القرطبي أبو الحكم البلوطي ، قاضى قضاة الأندلس في عصره كان قفيا خطيبا شاعرا فصيحًا ، رحل حاجًا سنة ٣٠٨ هـ فاقام في رحلته أربعين شهرًا ، قال ابن الفريسي كان بصيرًا بالجدل ، منحرفًا إلى مذاهب أصحاب الكلام له كتب في القرآن والسنة على أهل الأهواء منها أحكام القرآن والابانة عن حقائق أصول الديانة توفي سنة ٣٥٥ هـ . (نفع الطيب ح ١ ص ٢٣٥) .

(٩) في (أ) : لا دلالة .

خرج منها آدم ، وامراته ، فهذا لا حجة له فيه وإنما تكون كذلك إذا كانت جزاء لأهلها كما أخبر عز وجل عنها حيث يقول : « لا تسمع فيها لاغية^(١٠) » .

فإنما هذا على المستأنف لا على ما سلف ، ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج ايضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام « ألا تجوع فيها ولا تعرى^(١١) » .

قال : وقد عرى فيها آدم عليه السلام .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه ، بل هو حجة عليه لأن الله عز وجل وصف الجنة التي أسكن فيها آدم عليه السلام بأنها لا يجاع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، وهذه صفة الجنة بلا شك ، وليس في شيء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك ، بل كل موضع دون السماء فإنه لا بد وأن يجاع فيه ويعرى ، ويظمأ ويضحى ، ولا بد من ذلك ضرورة ، فصح أنه إنما سكن المكان الذي هذه صفته ، وليس هو غير الجنة البتة ، وإنما عرى آدم حين أكل من الشجرة ، فأهبط عقوبة له .

وقال أيضا : قال الله عز وجل : « لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا^(١٢) » وأخبر آدم أنه لا يضحى .

قال أبو محمد : وهذا أعظم حجة عليه لأنه لو كان في المكان الذي هو فيه شمس لأضحى فيه ولا بد ، فصح أن الجنة التي أسكن فيها آدم كانت لا شمس فيها ، فهي جنة الخلد بلا شك ، وأيضا فإن قوله عز وجل : « اسكن أنت وزوجك الجنة^(١٣) » إشارة بالألف واللام ، ولا يكون ذلك إلا على معهود ولا تطلق الجنة هكذا إلا على جنة الخلد ، ولا يطلق هذا الاسم على غيرها إلا بالإضافة . وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة في الأرض لما كان في اخراجه منها إلى غيرها من الأرض عقوبة ، بل قد بين تعالى أنها ليست في الأرض بقوله تعالى : « اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين^(١٤) » فصح يقينا بالنص أنه قد اهبط من الجنة إلى الأرض ، فصح أنها لم تكن في الأرض البتة ، وبالله تعالى التوفيق .

(١٠) سورة الفاشية آية رقم ٢١

(١١) سورة طه آية رقم ١١٨

(١٢) سورة الإنسان آية رقم ١٣

(١٣) سورة الأعراف آية رقم ١٩ - ٣٥ البقرة

(١٤) سورة البقرة آية رقم ٣٨

الكلام في بقاء الجنة^(١) والنار أبداً ..

قال أبو محمد : اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ، ولا لنعيمها ، ولا للنار ، ولا لعذابها ، إلا جهنم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض ، فأما جهنم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما ، وقال أبو الهذيل : إن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما ، إلا أن حركاتهم تفنى ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلدزون أو معذبون . وقالت تلك الطائفة من الروافض : إن أهل الجنة يخرجون من الجنة ، وكذلك أهل النار من النار إلى حيث شاء الله .

قال أبو محمد : أما هذه المقالة ففى غاية الغثاثة ، والتعري من شيء يشغب به ، فكيف من اقناع أو برهان ، وما كان هكذا فهو ساقط .

وأما قول أبي الهذيل فإنه لا حجة له إلا أنه قال : كلما أحصاه العدد فهو ذو نهاية ولا بد ، فالحركات ذات عدد فهى متناهية .

قال أبو محمد : فظن أبو الهذيل لجهله بمحدود الكلام وطبائع الموجودات أن ما لم يخرج إلى الفعل فإنه يقع عليه العدد ، وهذا خطأ فاحش لأن ما لم يخرج إلى الفعل فليس شيئاً ، ولا يجوز أن يقع العدد إلا على شيء ، وإنما يقع العدد على ما خرج إلى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا أبداً .

وقد أحكمنا هذا المعنى فى أول هذا الكتاب فى باب إيجاب حدوث العالم ، وتناهى الموجودات ، فأغنى عن اعادته وبالله تعالى التوفيق .

(١) فى (أ) . زيادة أهل .

فبطل ما موه به أبو الهذيل والله الحمد .

ثم نقول إن قوله هذا خلاف للاجماع المتيقن .

وأيضاً فإن الذى فر منه فى الحركات فإنه لازم له فى مدد سنكونهم وتنعمهم وتألهمهم ، لأنه مقر بأنهم يبقون ساكنين متنعمين متألمين بالعذاب ، وبالضرورة ندرى أن للسكون والنعم والعذاب مُدداً يعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق .

وأيضاً فلو كان ما قاله أبو الهذيل صحيحاً لصار أهل^(٢) الجنة فى عذاب واصب وفى صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد ، والشقاء ، ونعوذ بالله من هذه الحال .

وأما جهنم بن صفوان فإنه احتج بقول الله تعالى : « وأحصى كل شىء عدداً^(٣) » وبقوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه^(٤) » .

وقال : كما لا يجوز أن يوجد شىء لم يزل غير الله تعالى [فكذلك لا يجوز أن يوجد شىء لا يزال غير الله تعالى]^(٥) .

قال أبو محمد : ما نعلم له حجة غير هذا أصلاً ، وكل هذا لا حجة له فيه .

أما قوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » وإنما عنى تعالى الاستحالة من شىء إلى شىء ومن حال إلى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى ، وكذلك مدد النعم فى الجنة ، والعذاب فى النار ، كلما فنيت مدة أحدث الله عز وجل أخرى ، وهكذا أبداً بلا نهاية ولا آخر ، يدل على هذا ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلها .

وأما قوله تعالى « وأحصى كل شىء عدداً^(٦) » فإن اسم الشىء لا يقع إلا على موجود ، والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا ، إلا على ما خرج إلى الفعل ، ووجد بعد ، وإذا لم يخرج من الفعل فهو لا شىء بعد ، ولا يجوز أن يعد لا شىء .

وكل ما خرج إلى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلها فمحصى بلا شك ، ثم يحدث الله تعالى لهم مدداً آخر وهكذا أبداً بلا نهاية ولا آخر ، وقالوا : هل أحاط الله تعالى علماً بجميع مدة الجنة والنار أم لا ؟

(٢) و (أ) : لكان .

(٣) سورة الجس آية رقم ٢٨

(٤) سورة القصص آية رقم ٨٨

(٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٦) سورة الجس آية رقم ٢٨

فإن قلت: لا . جهلتم الله ، وإن قلت: نعم . جعلتم مدتها محاطًا بها وهذا هو التناهي نفسه .

قال أبو محمد : إن الله تعالى إنما يعلم بالأشياء على ما هي عليه [لا على خلاف ما هي عليه]^(٧) لأن من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطيء في اعتقاده ظان للباطل ، وليس علما ولا حقا ولا هو عالم به ، وهذا ما لا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ما هي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية [وما كان غير ذي نهاية فهو في علم الله تعالى غير ذي نهاية]^(٨) ولا سبيل إلى غير هذا البتة ، وليس للجنة والنار مدد غير متناهية^(٩) محاط بها وإنما لهما مدد كل ما خرج منها إلى الفعل فهو محصى محاط بعده ، وما لم يخرج إلى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى أحاط بأنه لا نهاية لهما ، وأما قوله كما لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولا يزال [فلذلك لا يجوز أن يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له ولا يزال]^(١٠) فإن هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما أن أشياء ذوات عدد لا أول لها ، ولم تنزل لا يمكن أن نتوهم البتة ولا يشكك بل هي محال في الوجود كما ذكرنا في الرد على من قال بأن العالم لم يزل ، فأغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لأن أحداث الله تعالى شيئا بعد شيء أبداً بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه ، فقياس الممكن المتوهم على الممتنع المستحيل الذي لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس ، فكيف عند من لا يقول به ..؟ فإن قال قائل : إن كل ما له أول فله آخر .

قلنا له : هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط ، لا بقضية عقل ولا بخبر لأن كون أوائل^(١١) الموجودات معلوم بالضرورة لأن ما وجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده ، وكل ما حصره عدد فلذلك العدد أول ضرورة ، وهو قولنا واحد ثم يتأدى العدد أبداً فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمتد الموجود بخلاف المبدأ لأنه إذا بقى وقتنا جاز أن يبقى وقتين ، وهكذا أبداً بلا نهاية وكل ما خرج من مدد البقاء إلى حد الفعل فذو نهاية بلا شك ، وكذلك من العدد أيضا .

ولم نقل إن بقاء الناس في هذه الدنيا له نهاية إلا من طريق النص ، ولو أخبر الله تعالى بذلك لأمكن وجاز أن تبقى الدنيا أبداً بلا نهاية وكان الله تعالى قادراً على ذلك ولكن النص لا يحل

(٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٩) سقط من (خ) « غير متناهية » .

(١٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١١) سقط من (أ) كلمة (الأوائل) .

خلافه . وكذلك لولا اخبار الله تعالى بأن الآخرة لا فناء لها لأمكن فناؤها ولكن اخبار الله تعالى لا يحل اعتراضها^(١٢).

وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ^(١٣) » .

وقوله تعالى في غير موضع من القرآن « خالدين فيها أبدا^(١٤) » .

وقوله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى^(١٥) » مع صحة الإجماع بذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(١٦) لو أقام أهل النار في النار ما شاء الله أن يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيها منها .

قال أبو محمد : وهذا إنما هو في أهل الإسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لأحد أن يظن بالصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهم من ذلك وبالله تعالى التوفيق .

[تم كتاب الإيمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم]^(١٧).

(١٢) سقط من ألف ما بين القوسين .

(١٣) سورة هود آية رقم ١٠٨

(١٤) سورة المائدة آية رقم ١١٩

(١٥) سورة الدخان آية رقم ٥٦

(١٦) عبد الله بن عمرو بن العاص ، من قريش ، صحابي من النساك من أهل مكة ، كان يكتب في الجاهلية ، ويحسن السريانية ، وأسلم قبل أبيه شهد الغزوات والحروب كان يضرب بسيفين ، وشهد صفين مع معاوية وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة ، عمر في آخر حياته له ٧٠٠ حديث توفي سنة ٦٥ هـ . (الاصابة في تمييز الصحابة ت ٤٨٣٨) .

(١٧) ما بين القوسين زيادة من (أ) .

لا إله الا الله عدة للقائه

« الكلام فى الإمامة والمفاضلة »

قال الفقيه الامام الأوحى أبو محمد على بن أحمد بن حزم رضى الله عنه : اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة^(١) وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض^(٢) واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات^(٣) من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقى منها أحد ، وهم المنسوبون إلى نجدة ابن الحنفى^(٤) القائم بالإمامة .

قال أبو محمد : وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وإبطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام . من ذلك قول الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم^(٥) » مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الأمة ، وإيجاب الإمامة وأيضا فإن الله عز وجل يقول : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها^(٦) » فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم ، واحتالمهم ، وقد علمنا بضرورة العقل وبديته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم فى الأموال ، والجنايات ، والدماء ، والنكاح ، والطلاق ،

(١) سقط من (أ) وجميع المعتزلة .

(٢) سقط من (أ) كلمة : فرض .

(٣) النجدات : أتباع نجدة بن عامر الحنفى ، وكان السبب فى رياسته وزعامته أن نافع بن الأزرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ، ذهبوا إلى الإمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فبايعوه ، واكفروا من قال باكفار القعدة منهم عن الهجرة .. الخ . (راجع الفرق بين الفرق ص ٨٧) .

(٤) نجدة بن عامر الحرورى الحنفى من بنى حنفية ، من بكر بن وائل : رأس الفرقة النجدية نسبة إليه من الحرورية ويعرف أصحابها بالنجذات من كبار أصحاب الثورات فى صدر الإسلام ، انفرد عن سائر الخوارج براءه ، قدم مكة وله مقالات معروفة استقل بالإمامة سنة ٦٦ هـ أيام عبد الله بن الزبير واستقر بها وتسمى بأمر المؤمنين قتله أصحاب بن الزبير عام ٦٩ هـ . (لسان الميزان ح ٦ ص ١٤٨) .

(٥) سورة النساء آية رقم ٥٩

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم ، وانصاف المظلوم ، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم ، وشواغلهم ، واختلاف آرائهم ، وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن ، إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم ، إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء ، وإما خلافاً مجرداً عليهم وهذا الذى لابد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التى لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى أكثرها فلا تصح إقامة الدين الا بالاسناد إلى واحد ، أو إلى أكثر من واحد ، فإذا لابد من أحد هذين الوجهين فإن الاثنين فصاعداً بينهما أو بينهم ما ذكرنا فلا يتم أمر البتة .

فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا الإسناد إلى واحد ، فاضل ، عالم ، حسن السياسة ، قوى على الإنفاذ ، إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم ، والاهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعداً ، وإذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس أن يكفوا من الظلم ما أمكنهم ، إن قدروا على كفه كله لزمهم ذلك ، وإلا فكف ما قدروا على كفه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك .

ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الإمامة على أنه لا يجوز كون إمامين فى وقت واحد فى العالم ، ولا يجوز إلا إمامة واحدة^(٧) إلا محمد بن كرام السجستاني^(٨) وأبا الصباح السمرقندى ، وأصحابهما ، فإنهم أجازوا^(٩) كون إمامين فى وقت ، وأكثر فى وقت واحد .

واحتج هؤلاء بقول الأنصار ، أو من قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين : منا أمير ، ومنكم أمير .

واحتجوا أيضاً بأمر على ، والحسن ، مع معاوية رضى الله عنهم .

قال أبو محمد : وكل هذا لا حجة لهم فيه لأن قول الأنصار رضى الله عنهم ما ذكرنا لم يكن صواباً بل كان خطأ إذ أداهم إليه الاجتهاد ، وخالفهم فيه المهاجرون ، ولابد إذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من أن يكون أحدهما حقاً ، والآخر خطأ ، وإذ ذلك كذلك فواجب رد ما تنازعوا فيه إلى ما افترض الله عز وجل الرد إليه عند التنازع ، إذ يقول تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر^(١٠) » .

فنظرنا فى ذلك فوجدنا رسول الله ﷺ قال : « إذا بُويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما^(١١) » .

(٧) فى (أ) : إمام واحد .

(٨) راجع ترجمته فى الجزء الثالث ص ٢٧٤ .

(٩) فى (خ) : (يرون) .

(١٠) سورة النساء آية رقم ٥٩

(١١) الحديث رواه الإمام مسلم فى الامارة رقم ٦١ ولفظه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ : إذا بويع لحليفين فاقتلوا

الآخر منها .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا^(١٢) » .

وقال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم^(١٣) » .

فحرم الله عز وجل التفرق ، والتنازع ، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم ، فوجد التنازع ، ووقعت المعصية ، لله تعالى وقلنا ما لا يحل لنا .

وأما من طريق النظر والمصلحة ، فلو جاز أن يكون في العالم إمامان لجاز أن يكون فيه ثلاثة ، وأربعة ، وأكثر ، فإن منع من ذلك مانع كان متحكماً بلا برهان ، ومدعياً بلا دليل ، وهذا الباطل الذي لا يعجز عنه أحد .

وإن جاز ذلك زاد الأمر حتى يكون في كل عمل^(١٤) إمام أو في كل مدينة إمام ، أو في كل قرية إمام ، ويكون كل أحد إماماً وخليفة في منزله ، وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا ، فصح أن قول الأنصار رضي الله عنهم وهلة وخطأ قد رجعوا عنه إلى الحق ، وعصمهم الله تعالى من التمادي عليه وأما أمر عليّ والحسن ومعاوية فقد صح عن النبي ﷺ أنه أنذر بخارجه تخرج من طائفتين من أمته يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ^(١٥) فكان قاتل تلك الطائفة على رضي الله عنه فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك أنذر عليه السلام بأن عَمَارًا تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ^(١٦) فصح أن علياً هو صاحب الحق ، وكان على السابق إلى الإمامة ، فصح بعد أنه صاحبها وأن من نازعه فيها فمخطيء ، فمعاوية رحمه الله مخطيء مأجور ، مرة لأنه مجتهد ، ولا حجة في خطأ المخطيء فبطل قول هذه الطائفة .

وأيضاً فإن قول الأنصار رضي الله عنهم منا أمير ومنكم أمير ، يخرج على أنهم إنما أرادوا أن يلي وال منهم فإذا مات ولي من المهاجرين آخر وهكذا أبداً لا على أن يكون إمامان في وقت ، وهذا هو الأظهر من كلامهم .

وأما على ومعاوية رضي الله عنهما فما سلّم قط أحدهما للآخر ، بل كل واحد منهما يزعم أنه الحق ، وكذلك كان الحسن رضي الله عنه إلى أن أسلم الأمر إلى معاوية ، فإذا هذا كذلك فقد صح الإجماع على بطلان قول ابن كرام وأبي الصباح ، وبطل أن يكون لهم تعلق في شيء أصلاً وبالله تعالى التوفيق .

(١٢) سورة ال عمران آية رقم ١٠٥

(١٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٦

(١٤) في (أ) : في (عالم) .

(١٥) الحديث رواه الإمام مسلم في الزكاة ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ وأبو داود في السنة ١٢ ، وأحمد بن حنبل في المسند ح ٥ ، ص ٢٥ ،

٤٢٥ ولفظه عند مسلم « فرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق .

(١٦) الحديث رواه البخاري في الصلاة ٦٣ ومسلم في الفتن ٧٠ والترمذي في المناقب ٣٤ وأحمد بن حنبل ح ٣ ص ٦١ ولفظه عند

مسلم : تقتل عمار الفئة الباغية .

ثم اختلف القائلون بوجوب الإمامة على فرقتين^(١٧) فذهب أهل السنة ، وجميع الشيعة ، وبعض المعتزلة ، وجمهور المرجئة إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش خاصة من كان من ولد فِهر ابن مالك^(١٨) ، وأنها لا تجوز فيمن كان أبوه من غير بنى فِهر بن مالك ، وإن كانت أمه من قريش ، ولا في حليف ولا في مولى .

وذهبت الخوارج كلها ، وجمهور المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أنها جائزة في كل من قام بالكتاب ، والسنة ، قرشيًا كان أو عربيًا ، أو ابن عبد ، وقال ضرار بن عمر الغطفاني : إذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة ، فالواجب أن يقدم الحبشي لأنه أسهل لخلعه ، إذا حاد عن الطريقة .

قال أبو محمد : وبوجوب الإمامة في ولد فِهر بن مالك خاصة نقول بنص رسول الله ﷺ على أن « الأئمة من قريش^(١٩) » . وعلى أن الإمامة في قريش .

وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ، ورواها أنس بن مالك^(٢٠) ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، ومعاوية ، وروى جابر بن عبد الله^(٢١) ، وجابر^(٢٢) بن سمرة ، وعبادة ابن الصامت^(٢٣) ، معناها .

ومما يدل على صحة ذلك إذعان الأنصار رضي الله عنهم يوم السقيفة ، وهم أهل الدار والمنعة ، والعدة والعدد ، والسابقة في الإسلام رضي الله عنهم . ومن المحال أن يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحججة عليهم بنص رسول الله ﷺ على أن الحق لغيرهم في ذلك .

(١٧) في (أ) : قريش وهو تحريف .

(١٨) فِهر بن مالك بن النضر من كنانة من عدنان ، جد جاهل ممن يتصل بهم النسب النبوي كنيته أبو غالب ، كان رئيس الناس بمكة ، وكان قائد كنانة ومن انضم إليه من مضر في قتالهم لحسان بن عبد كلال الحميري حين أغار على الحجاز بجيش من اليمن يريد نقل حجر الكعبة إلى اليمن لنحويل الحج إلى بلاده فظهر فِهر وهزمت حمير . (راجع تاريخ الطبري ح ٢ ص ١٨٦) .

(١٩) الحديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده ح ٣ ص ١٢٩ ، ص ١٨٣ ح ٤ ص ٤٢١ وذكر الإمام مسلم هذا الحديث بلفظ آخر في كتاب الامارة : الناس تبع لقريش ، وفي رواية : لا يزال هذا الأمر في قريش من الناس إثنان .

(٢٠) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الأنصاري أبو ثمامة صاحب رسول الله ﷺ - وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا ولد في المدينة سنة ١٠ ق . هـ ومات بالبصرة سنة ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة . (طبقات ابن سعد ح ٧ ص ١٠) .

(٢١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي صحابي من المكابن في الرواية عن النبي ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له في آخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا . (الاصابة ح ١ ص ٢١٣) .

(٢٢) جابر بن سمرة بن جنادة السوائي صحابي ، كان حليف بنى زهرة له ولأبيه صحبة ، نزل الكوفة وابتنى بها دارا وتوفى في ولاية بشر على العراق روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٤٦ حديثا . (تهذيب التهذيب ح ٢ ص ٣٩) .

(٢٣) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، صحابي من الموصوفين بالورع ، شهد العقبة ، كان أحد النقباء وبدرا وسائر المشاهد ، حضر فتح مصر ، وولى القضاء بفلسطين ، ومات بالرحلة سنة ٣٤ هـ روى ١٨١ حديثا . (تهذيب التهذيب ح ٥ ص ١١١) .

فإن قال قائل إن قول رسول الله ﷺ : « الأئمة من قريش » يدخل في ذلك الحليف والمولى ، وابن الأخت ، لقول رسول الله ﷺ : « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ^(٢٤) » .

فالجواب وبالله تعالى التوفيق :

إن الإجماع قد تيقن وصح على أن حكم الحليف والمولى وابن الأخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت ، فمن أجاز الإمامة في غير هؤلاء جوزها في هؤلاء . ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى ، وابن الأخت ، فإذا صح البرهان بأن لا يكون إلا في قريش لا فيمن ليس قرشياً صح بالاجماع أن حليف قريش ومولاهم وابن أختهم [لا حق لهم في الخلافة لاجماع الأمة كلها على أن حكمهم]^(٢٥) كحكم من ليس قرشياً وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقال قوم إن اسم الإمامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة بأهل مسجد ما ، قلنا : نعم . لا يقع على هؤلاء إلا بالاضافة لا بالإطلاق ، فيقال فلان إمام في الدين ، وإمام بنى فلان ، فلا يطلق لأحدهم اسم الإمامة بلا خلاف من أحد من الأمة إلا على المتولى لأمر أهل الإسلام .

فإن قال قائل فإن اسم الإمارة^(٢٦) واقع بلا خلاف على من ولي جهة من جهات المسلمين ، وقد سمي بالإمارة كل من ولاة رسول الله ﷺ جهة من الجهات ، أو سرية ، أو جيشاً ، وهؤلاء مؤمنون ، فما المانع من أن يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق .

إن الكذب محرم بلا خلاف ، وكل من ذكرنا فإنما هو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم ، فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذباً لأن هذه اللفظة تقتضى عموم المؤمنين ، وهو ليس كذلك وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز ألبة أن يوقع اسم الإمامة مطلقاً ، ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القرشي المتولى لجميع أمور المؤمنين كلهم ، أو الواجب له ذلك ، وإن عصاه كثير من المؤمنين ، وخرجوا عن الواجب عليهم ، من طاعته والمفترض عليهم من بيعته ، فكانوا بذلك فئة باغية ، حالاً قتالهم وحرهم ، وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضاً إلا لمن هذه صفته ، وبالله تعالى التوفيق .

(٢٤) الحديث رواه البخارى في المناقب ١٤ ، والفرائض ٢٤ ، ورواه أبو داود في الزكاة ٢٩ ، والترمذى في الزكاة ٢٥ ، والنسائى ٩٧ والدارى في السير ٨٢ ، وأحمد بن حنبل - ٣ ص ٤٤٨ ، - ٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ولفظه عند الترمذى مولى القوم من أنفسهم .

(٢٥) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٢٦) في (أ) : الإمامة .

واختلف القائلون بأن الإمامة لا تجوز إلا في صلبة قريش ، فقالت طائفة : هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك . فقط ، وهذا قول أهل السنة ، وجمهور المرجئة ، وبعض المعتزلة . وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا في ولد العباس بن عبد المطلب^(٢٧) وهو قول الراوندية^(٢٨) ، وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا في ولد علي بن أبي طالب [وقالت طائفة لا تجوز الخلافة إلا في ولد جعفر ابن أبي طالب]^(٢٩) ثم قصورها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣٠) .

وبلغنا عن بعض بنى الحارث بن عبد المطلب أنه كان يقول : لا تجوز الخلافة إلا في بنى عبد المطلب خاصة ويراها في جميع ولد عبد المطلب وهم أبو طالب^(٣١) ، وأبو لهب^(٣٢) ، والحارث ، والعباس .

وبلغنا عن رجل كان بالأردن يقول : لا تجوز الخلافة إلا في بنى أمية بن عبد شمس^(٣٣) ، وكان له في ذلك تأليف مجموع ، وروينا كتاباً مؤلفاً لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحتج فيه بأن الخلافة لا تجوز إلا لولد أبي بكر ، وعمر رضى الله عنهما .

قال أبو محمد : فأما هذه الفرق الأربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق أن يشتغل بها إلا دعاوى كاذبة لا وجه لها .

وأما الكلام مع الذين يرون الأمر لولد العباس أو لولد علي فقط لكثرة عددهم .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد العباس فقط على أن

(٢٧) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل ، من أكار قريش في الجاهلية والإسلام ، وجد الخلفاء العباسيين ، كانت له سقاية الخراج وعمارة المسجد الحرام ، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد وقعة حنين ، وشهد فتح مكة كانت وفاته بالمدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث وله في كتب الحديث ٣٥ حديثاً . (طبقات بن سعد ج ٤ ص ٥) .

(٢٨) الراوندية . شيعة لبي العباس من أهل حراسان ، زعموا أن أحق الناس بالخلافة هو العباس . وقالوا بالتناسخ والحلول فقابلهم المصور الخليفة العباسي حتى أنادهم على آخرهم ، ويسون إلى رئيسهم ابن أبي الحسين الراوندى الذى عاش في القرن العاشر الميلادى الثانى الهجرى ، وكان في بدء أمره من المعتزلة ثم خرج عليهم وألف كتابه « فضيحة المعتزلة » .

(٢٩) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٠) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ، صحابى ، ولد بأرض الحبشة وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وأق البصرة والكوفة والشام وكان كريماً يسمى بحر الجود وكان أجود الأمراء في جيش على يوم صفين ، ومات بالمدينة سنة ٨٠ هـ . (الاصابة ت ٤٥٨٢) .

(٣١) أبو طالب بن عبد المطلب : يسمى عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، أبو طالب والد علي - رضى الله عنه ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، نشأ النبي - ﷺ في بيته ، وسافر معه إلى الشام ووقف نجواره في الدعوة إلى الإسلام ولكنه لم يسلم - وفي الحديث : ما نالت قريش مسى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب - توفى سنة ٣ هـ . ق . هـ . (طبقات بن سعد ج ١ ص ٧٥) .

(٣٢) أبو لهب بن عبد المطلب : يسمى عبد العزى بن عبد المطلب ج ١ ص ٧٥ عم رسول الله - ﷺ - ومن أشد الناس عداوة للمسلمين وكان أحمر الوجه فللقب في الجاهلية بأبي لهب ، ومات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها سنة ٢ هـ . (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥) .

(٣٣) أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قص جد الأمويين بالشام والأندلس جاهلى ، كان من سكان مكة ، وكانت له قيادة الحرب في قرمش ، وعاش إلى ما بعد مولد النبي - ﷺ وكان هو وابن عمه عبد المطلب فيمن وفد على سيف بن ذى يزن في قصره بصنعاء وكان له عبد يسمى ذكوان . (الاعلام ج ٢ ص ١٣)

الخلفاء من ولده ، وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عاصب^(٣٤) رسول الله ﷺ ووارثه ، فإذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه .

قال أبو محمد : وهذا ليس بشيء ، لأن ميراث العباس رضى الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة ، وأما المرتبة فما جاء قط في الديانات أنها تورث .

فبطل هذا التمويه جملة والله الحمد .

ولو جاز أن تورث المراتب لكان من ولاد رسول الله ﷺ مكانا ما إذ مات وجب أن يرث تلك الولاية عاصبه ، ووارثه ، وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع أهل القبلة حاشا الروافض أن رسول الله ﷺ قال « لَا تُورَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ^(٣٥) » ..؟

فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل « وورث سليمان داود^(٣٦) » ويقولو تعالى حاكيا عن زكريا عليه السلام أنه قال : « فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا^(٣٧) » .

قال أبو محمد : وهذا لا حجة فيه لأن الرواة وحملة الأخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بنى إسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلاً يوجب العلم أن داود عليه السلام كان له بنون جماعة^(٣٨) غير سليمان عليه السلام فصح أنه ورث النبوة .

وبرهان ذلك أنهم كلهم مجموعون على أنه عليه السلام ولي مكان أبيه عليهما السلام وليس له إلا اثنتى عشرة سنة ، ولداود أربعة وعشرون إبناً كباراً وصغاراً ، وهكذا القول في ميراث يحيى ابن زكريا عليهما السلام .

وبرهان ذلك من نص الآية نفسها قوله عليه السلام يرثني ويرث من آل يعقوب وهم مئوا ألو^(٣٩) [لكل سبط من أسباطهم عصاب عظيمة فصح أنه إنما رغب ولداً]^(٤٠) يرث عنه النبوة فقط .

(٣٤) في (أ) : عصب .

(٣٥) الحديث رواه البحارى في فضائل النبي - ﷺ ، وفي الفرائض ٣ ورواه مسلم في الجهاد ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وأبو داود في الامارة ١٩ ، والترمذى في السير ٤٤ ، والنسائى في الفقه ٩ ، ١٦ والموطأ في الكلام ٢٧ ، وأحمد بن حنبل في المسند ح ١ ص ٤ ، ٦ ، ٩ .

(٣٦) سورة النمل آية رقم ١٦

(٣٧) سورة مريم آية رقم ٥ ، ٦

(٣٨) سقط من (أ) (جماعة) .

(٣٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٤٠) يقصد بذلك مئات الألو^(٣٩) ، عصاب عظيمة : أى عصبة

وأيضاً فمن المحال أن يرغب زكريا عليه السلام في ولد يحجب عصيته عن ميراثه إذ إنما يرغب في هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها ، وقد نزه الله عز وجل [عن ذلك أنبياءه عليهم الصلاة والسلام وبرهان ذلك أنه عليه السلام إنما طلب الولد إذ يرى أن ما اتاه الله عز وجل]^(٤١) «مریم عليها السلام التي كانت في كفالته من المعجزات ، قال تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مریم أتئی لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب - إلى قوله : إنك سميع الدعاء »^(٤٢) .

وعلى هذا المعنى دعا فقال : « هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

وأما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام أنه قال « وإني خفت الموالى من ورأى »^(٤٣) .

قيل له بطلان هذا الظن أن الله تعالى لم يعطه ولداً يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل أعطاه ولداً حصوراً لا يقرب النساء قال تعالى : « وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين »^(٤٤) .

فصح ضرورة أنه عليه السلام إنما طلب ولداً نبياً لا ولداً يرث المال ، وأيضاً فلم يكن العباس محيطاً بميراث النبي ﷺ وإنما كان يكون له ثلاثة أثمان فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حياً قائماً إذ مات النبي ﷺ فما ادعى العباس لنفسه قط في ذلك حقاً ، لا حينئذ ولا بعد ذلك ، وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا أنكر هو ولا غيره ترك ذكره فيها ، فصح أنه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به ، والخلفاء من ولده والأفاضل منهم من غير الخلفاء لا يرضون^(٤٥) لأنفسهم بهذه الدعوى ترفعاً عن سقوطها ووهنها ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما القائلون بأن الإمامة لا تكون إلا في ولد على رضى الله عنه فإنهم انقسموا قسمين .

فطائفة قالت : إن رسول الله ﷺ نص على بن أبى طالب أنه الخليفة بعده ، وأن الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبي ﷺ ، وهؤلاء المسلمون : الروافض ، وطائفة قالت لم ينص النبي ﷺ على عليّ لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ

(٤١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٤٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٨

(٤٣) سورة مریم آية رقم ٥

(٤٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٩

(٤٥) في (أ) : لا يرون .

وأحقهم بالأمر ، وهؤلاء هم الزيدية^(٤٦) نسبوا إلى زيد^(٤٧) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ثم اختلفت الزيدية فرقا ، فقالت طائفة : إن الصحابة ظلموه ، وكفروا ، من خالفه من الصحابة ، وهم الجارودية^(٤٨) وقالت أخرى : إن الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموه لكنه طابت نفسه بتسليم حقه إلى أبي بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، وإنهما إماما هدى ، ووقف بعضهم في عثمان رضى الله عنه وتولاه بعضهم ، وذكرت طائفة : إن هذا كان مذهب الفقيه الحسن بن صالح ابن حي الهمداني^(٤٩) .

قال أبو محمد : وهذا خطأ وقد رأيت لهشام بن الحكم الرافضي الكوفي^(٥٠) في كتابه المعروف بالميزان ، وقد ذكر الحسن بن حي ، وأن مذهبه كان أن الإمامة في جميع ولد فيهر ابن مالك .

قال أبو محمد : وهذا الذي لا يليق بالحسن بن حي غيره ، فإنه كان أحد أئمة الدين ، وهشام بن الحكم أعلم به ممن نسب إليه غير ذلك ، لأن هشاما كان جاره بالكوفة وأعرف الناس به وأدركه وشاهده ، والحسن بن حي رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه ، وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه في كتبه وروايات من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون في أن الإمامة في جميع ولد علي ابن أبي طالب ، من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سل سيف معه .

وقالت الروافض : الإمامة في علي وحده بالنص عليه ثم في الحسن ثم في الحسين ، وادعوا

(٤٦) الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهم ثلاث فرق ، وهي الجارودية والسليمانية وقد يقال الجهرية والبثرية وهذه الفرق الثلاثة يجمعها القول بإمامة زيد في أيام خروجه ، وكان ذلك في زمن هشام بن عبد الملك . (الفرق بين الفرق ص ٢٢ ، ٢٣) .

(٤٧) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يقال له زيد الشهيد ولد سنة ٧٩ هـ قال أبو حنيفة ما رأيت في زمانه أفتقه منه ولا أسرع جوابا ولا أبين قولاً ، كانت اقامته بالكوفة وقرأ على واصل بن عطاء ، رحل إلى الشام فضيق عليه هشام بن عبد الملك وحجسه خمسة شهور وعاد إلى العرت والمدينة وعاد إلى الكوفة ١٢٠ هـ فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة فقاتله الحكم بن الصلت وقتله سنة ١٢٢ هـ . (تاريخ الطبري ح ٨ ص ٢٦٠) .

(٤٨) الجارودية من الزيدية أتباع أبي الجارود زياد بن أبي زياد وأبو الجارود هو الذي سماه الإمام الباقر سرخوباً ، وفسره بأنه شيطان يسكن البحر . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه متروك الحديث ، وضعفه جداً ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين كذاب عدو الله ليس يسوى فلساً وقال أبو حاتم كان رافضياً يضع الحديث وافتقرت الجارودية فرقتين فرقة قالت : إن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده وزعمت الثانية منهم أن النبي - ﷺ هو الذي نص على إمامة الحسن بعد علي وإمامة الحسين بعد الحسن . (الفرق بين الفرق ص ٣٠ ، ٣١) .

(٤٩) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي ، أبو عبد الله من زعماء الفرقة البثرية من الزيدية ، كان فقهياً مجتهداً متكلماً أصله من ثعور همدان وتوفي مختلفاً في الكوفة سنة ١٦٨ هـ له كتب منها « التوحيد » وإمامة ولد علي من فاطمة ، والجامع في الفقه . (تهذيب التهذيب ح ٢ ص ٢٨٥) .

(٥٠) هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي أبو محمد ، متكلم مناظراً ، كان شيخ الإمامية في وقته ، ولد بالكوفة ، ونشأ بواسط ، وسكن بغداد وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي . صنف كتباً منها « الإمامة » و« القدر » والشيخ والغلام ، والرد على المعتزلة ، والرد على الزناقة ، والرد على من قال بإمامة الفضول . توفي سنة ١٩٠ هـ . (لسان الميزان ح ٦ ص ١٩٤) .

نصا آخر من النبي ﷺ عليهما بعد أبيهما ثم علي بن الحسين لقول الله عز وجل : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله^(٥١) » .

قالوا : فولد الحسين أحق من أخيه ، ثم محمد بن علي بن الحسين ، ثم جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين - وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم ، وهشام الجواليقي^(٥٢) وداود الحواري ، وداود الرقي وعلي بن منصور ، وعلي بن هيثم ، وأبي علي السكاك تلميذ هشام ابن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق^(٥٣) وأبي ملك الحضرمي وغيرهم . ثم افرقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد .

وقالت طائفة : بإمامة ابنه اسماعيل بن جعفر .

وقالت طائفة : بإمامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل .

وقالت طائفة : جعفر حتى لم يمت .

وقال جمهور الرافضة بإمامة ابنه موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ابن موسى ، ثم علي بن محمد بن علي بن موسى ، ثم الحسن بن علي ، ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على أنه ولد للحسن بن علي ولد فأخفاه ، وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقييل وهو الأشهر ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس ، وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والأظهر عندهم^(٥٤) أنها اسمها صقييل ، لأن صقييل هذه ادعت الحمل بعد موت^(٥٥) الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها في ذلك أخوه جعفر ابن علي وتعصب لها جماعة من أرباب الدولة ، وتعصب لجعفر آخرون ، ثم انفش ذلك الحمل وبطل وأخذ الميراث جعفر أخوه ، وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين ، وزادت فتنة الروافض بصقييل هذه ودعواها إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها ، وقد عير عمر^(٥٦) بها أنها في منزل الحسن بن جعفر النوبختي الكاتب فوجدت فيه ، وحملت إلى قصر المعتضد فبقيت هنالك إلى أن ماتت في القصر ، في أيام المقتدر ، فهم إلى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما .

(٥١) سورة الأنفال آية رقم ٧٥

(٥٢) لم نعر له على ترجمة .

(٥٣) شيطان الطاق لقب لقبوا به أبا جعفر محمد بن النعمان ، الأحوال والشيعا تلقبه « مؤمن الطاق ، وإضافته إلى سوق في طاق الحامل في

الكوفة ، كان يجلس فيه للصرف . انظر فهرست النديم ص ٢٦٤ .

(٥٤) سقط من (أ) عندهم .

(٥٥) سقط من (أ) (موت) .

(٥٦) في (خ) : (عمر) وهو تحريف .

وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن أبي عبيد^(٥٧) وكيسان أبا عمرة^(٥٨) وغيرهما يذهبون إلى أن الامام بعد الحسين ، محمد أخوه المعروف بابن الحنفية ، ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري^(٥٩) وكثير عزة^(٦٠) الشاعران وكانوا يقولون : إن محمدا ابن الحنفية حتى يجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف .

قال أبو محمد : وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء .

قال أبو محمد : لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم^(٦١) فنحن لا نصدقها ، وإنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذى تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه ، لأن من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجب العلم الضرورى فيصير حينئذ^(٦٢) مكابراً منقطعاً إن ثبت على ما كان عليه إلا أن بعض ما يشغبون به أحاديث صحاح نوافقهم على صحتها ، منها قول رسول الله ﷺ لعللى رضى الله عنه « أَنْتَ مِنْى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى »^(٦٣) .

قال أبو محمد : وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لم يل أمر بنى إسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وإنما ولى الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر عليهما السلام ، كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه فى الغار الذى سافر معه إلى المدينة .

وإذا لم يكن على نبيا كما كان هارون نبيا ، ولا كان هارون خليفة ، بعد موت موسى على بنى إسرائيل ، فصح أن كونه رضى الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو فى القرابة فقط ، وأيضا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك

(٥٧) الخبر من أبى عبيد بن مسعود الثقفى من رعماء النادرين على بنى أمية من أهل الطائف طالب بنأر الحسين وقتل شهر بن ذى الجوش الذى ناشر قتل الحسين - شاعت أخبار أنه ادعى النبوة قتله جيش مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ . (الاصابة ت ٨٥٤٧) .

(٥٨) لم نعث له على ترجمة .

(٥٩) محمد بن وهب الحميرى أبو جعفر شاعر مكث من شعراء الدولة العباسية ، أصله من البصرة ، عاش فى بغداد وكان ينكسب بالمديح وثبت وعهد إليه بتأديب الفتح بن حاقان واحتص بالحس ابن سهل ومدح المأمون والمعتمد توفى سنة ٢٢٥ هـ . (معاهد التنصيص ح ١ ص ٢٢٠) .

(٦٠) كثير عزة بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى أبو صحر شاعر ، من أهل المدينة ، أكثر إقامته فى مصر ، كان من غلاة الشيعة ، ويسون إليه القول بالناسخ ، أخباره مع عزة بنت جميل الضميرة كثيرة له ديوان شعر مطبوع . (الرفيات ح ١ ص ٤٣٣) .

(٦١) سقط من (أ) (برواياتهم) .

(٦٢) فى (أ) : يومئذ .

(٦٣) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ فى فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبى طالب ، والترمذى رقم ٣٧٢٦ فى المناقب ، باب مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولفظه عند الترمذى : أن النبى - ﷺ قال لعللى : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى .

فقال المنافقون : استقله فخلّفه فلحق على برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه فقال له رسول الله ﷺ حينئذ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى^(٦٤) يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختاراً لاستخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام أيضاً مختاراً لاستخلافه ، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة ، في أسفاره رجالا سوى على رضى الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعل فضل على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين .

قال أبو محمد : وعمدة ما احتجت به الإمامية^(٦٥) أن قالوا : لا بد من أن يكون إمام معصوم ، عنده جميع علم الشريعة ، يرجع الناس إليه في أحكام الدين ، ليكونوا مما تعبدوا به على يقين .

قال أبو محمد : هذا لا شك فيه ، وذلك معروف ببراهينه الواضحة ، وأعلامه المعجزة ، وآياته الباهرة ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ إلينا تبيان دينه الذى ألزمناه إياه ﷺ فإن كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة ، إلى من بحضرته وإلى من كان في حياته غائبا عن حضرته ، وإلى كل من يأتي بعد موته ﷺ ، إلى يوم القيامة من جن ، وإنس .

قال الله عز وجل : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء^(٦٦) » فهذا نص ما قلنا ، وإبطال اتباع أحد دون رسول الله ﷺ وإنما الحاجة إلى فرض الإمامة لينفذ الإمام عهود الله تعالى الواردة إلينا على من عبد^(٦٧) فقط لا لأن يأتي الناس بما لا يشاؤنه في معرفته من الدين الذى أتاهم به رسول الله ﷺ ، ووجدنا علياً رضى الله عنه إذ دعى إلى التحاكم إلى القرآن أجاب ، وأخبر بأن التحاكم إلى القرآن حق فإن كان على أصاب في ذلك فهو قولنا ، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رضى الله عنه ، ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن ، وأنا الإمام المبلغ عن رسول الله ﷺ ؟ فإن قالوا : إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من إمام يبلغ الدين . قلنا : هذا باطل ودعوى بلا برهان ، وقول لا دليل على صحته ، وإنما الذى يحتاج إليه أهل الأرض من رسول الله ﷺ بيانه وتبليغه فقط ، سواء في ذلك من كان بحضرته ، ومن غاب عنه ، ومن جاء بعده إذ ليس في شخصه ﷺ إذا لم يتكلم

(٦٤) سبق تخرج هذا الحديث .

(٦٥) في (خ) : (الأممانيان) .

(٦٦) سورة الأعراف آية رقم ٣

(٦٧) في النسختين عند وهو تحريف .

بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام^(٦٨) باق أبداً مبلغ إلى كل من في الأرض ، وأيضاً فلو كان ما قالوا من الحاجة إلى إمام موجود أبداً لا ننقض ذلك عليهم بمن كان غائباً عن حضرة الإمام في أقطار الأرض ، إذ لا سبيل إلى أن يشاهد الإمام جميع أهل الأرض الذين في المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذي يضيع ان اغفله ، فلا بد من التبليغ [فإذا لابد من التبليغ]^(٦٩) عن الإمام فالتبليغ عن رسول الله ﷺ أولى بالاتباع من التبليغ عن من هو دونه ، وهذا ما لا انفكك لهم منه .

قال أبو محمد : لاسيما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم ما أمروا قط في غير منازل سكناهم ، ولا حكموا على قرية فما فوقها بحكم ، فما الحاجة إليهم ..؟ لاسيما مذمئة عام وثمانين^(٧٠) عاما فإنهم يدعون إماماً ضاله لم يخلق كعقلاء مغرب^(٧١) ، وهم أولو فحش ، وقحة ، وبهتان ، ودعوى كاذبة لا يعجز عن مثلها أحد ، وأيضاً فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه ، أو بنص ينقله من يوجب نقله العلم^(٧٢) عن النبي ﷺ ، على كل إمام بعينه ، واسمه ، ونسبه ، وإلا فهي دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء ، ولقد يلزم كل ذى عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل ، الغث ، البارد ، السخيف ، الذي ترتفع عقول الصبيان عنه ، وما توفيقنا إلا بالله عز وجل .

وبرهان آخر ضروري وهو أن رسول الله ﷺ مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين ، فما منهم أحد أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه ، ولا ادعى ذلك على قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ، ولا ادعاه له أحد في ذلك الوقت ، ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق أكثر^(٧٣) من عشرين ألف إنسان متنازلي الهمم ، والنيات ، والأنساب ، أكثرهم موتور من صاحبه ، في الدماء من الجاهلية على طي عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم ، وما وجدنا قط رواية عن أحد في النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهولين ، إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا يعرف من هو في الخلق . ووجدنا علياً رضي الله عنه قد توقف عن^(٧٤) البيعة لأبي بكر رضي الله عنه^(٧٥) ستة أشهر ،

(٦٨) سقط من (خ) (كلام) .

(٦٩) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٧٠) هذا التاريخ مند حياة ابن حزم .

(٧١) هذا مثل يضرب للمستحيل من الأمر .

(٧٢) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٧٣) في (خ) : (أزيد) .

(٧٤) في (أ) : قد تأخر .

(٧٥) سقط من (أ) لأبي بكر رضي الله عنه .

فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتى بايع طائعا ، مراجعا ، غير مكره ، فكيف حل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكي أن يبايع طائعا رجلاً إما كافرا ، وإما فاسقا جاحدا ، لنص رسول الله ﷺ ويعينه على أمره ويجالسه في مجالسه^(٧٦) ويواليه إلى أن مات ..؟ ، ثم بايع بعده عمر بن الخطاب مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره ، بل طائعا وصحبه وأعانه على أمره وأنكحه من ابنته فاطمة^(٧٧) رضي الله عنها ، ثم أقبل ادخاله في الشورى أحد ستة رجال ، فكيف حل لعلي عند هؤلاء الجهال أن يشارك بنفسه في شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟ وهذا الأمر أدى أبا كامل إلى تكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأنه في^(٧٨) زعمه أعان الكفار على كفرهم ، وأيدهم على كتمان الديانة ، وعلى ما لا يتم الدين إلا به .

قال أبو محمد : ولا يجوز أن يظن بعلي رضي الله عنه أنه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت ، وهو الأسد شجاعة ، قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرات ثم يوم الجمل ، وصفين ، فما الذي جنبه بين هاتين الحالتين ؟ وما الذي ألف بين بصائر الناس على كتمان حق علي ، ومنعه ما هو أحق به مذ مات رسول الله ﷺ إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه ؟ ثم ما الذي جلى بصائرهم في عونه ، إذ دعا إلى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة ، وبذلوا دمائهم دونه ، ورأوه حينئذ صاحب الأمر ، والأولى بالحق ممن نازعه ؟ فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واطهار النص الذي يدعيه الكذابون إذ مات عمر رضي الله عنه ، وبقي الناس بلا رأس ثلاثة أيام أو يوم السقيفة ؟ وأظرف من هذا كله بقاءه ممسكا عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر ، فما سألها ولا أجبر عليها ولا كلفها ، وهو متصرف بينهم في أموره فلولا أنه رأى الحق فيها واستدرك أمره فبايع طالبا حظ نفسه في دينه ، راجعا إلى الحق لما بايع .

فإن قالت الروافض : إنه بعد ستة أشهر رأى الرجوع إلى الباطل فهذا هو الباطل حقا ، لا ما فعل علي رضي الله عنه ، ثم ولي علي رضي الله عنه فما غير حكما من أحكام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولا أبطل عهدا من عهودهم ، ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في سعة من أن يمضي الباطل وينفذه ، وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الأنصار رضي الله عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا إلى بيعة سعد بن عبادة^(٧٩) رضي الله عنه ، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبي بكر

(٧٦) في (خ) : مجلسه .

(٧٧) هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ، وزوج الإمام علي - رضي الله عنه . وام الحسن والحسين - رضي الله عنهما . (راجع

ترجمة وافية لها في طبقات ابن سعد ح ٨) .

(٧٨) في (خ) : عنده .

(٧٩) سعد بن عبادة : الخزرجي أبو ثابت صحابي من أهل المدينة ، كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام ، وكان

يلقب في الجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرماية والسباحة ، وشهد العقبة وأحد الخندق وغيرها وكان أحد النقباء الاثني عشر ولما توفى رسول الله طمع في الخلافة خرج إلى الشام مهاجرا فمات بجزيرة عام ١٤ هـ (الاصابة الترجمة ٣١٦٧) .

رضى الله عن جميعهم ، وقعد على رضى الله عنه في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ليس معه أحد غير الزبير ابن العوام^(٨٠) ثم استبان الحق للزبير رضى الله عنه فبايع سريعا ، وبقي على وحده لا يقرب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع أحد من لقائه ، فلا يخلو رجوع الأنصار كلهم إلى بيعة أبى بكر من أن يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه إليهم فأوجب ذلك الانقياد لبيعته ، أو فعلوا ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل إلى قسم رابع بوجه من الوجوه .

فإن قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لأنه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفع للوعيد ولا سلاح مأخوذ ، ومحال أن يترك أزيد من ألفى فارس أمجاد أبطال كلهم عشيرة واحدة ، قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه ، وهو أنهم بقوا ثمانية أعوام متصلة محاربين لجميع العرب في أقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك لحرب قيصر والروم بمؤته^(٨١) وغيرها ولكسرى والفرس تنصرهم من يخاطبهم يدعو لهم ويدعوه^(٨٢) إلى اتباعه وأن يكون كأحد من بين يديه ، هذه صفة الأنصار التي لا ينكرها إلا رقيق مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا أبى بكر ورجلين أتيا معه فقط ، لا يرجع إلى عشيرة كثيرة ، ولا إلى موال ، ولا إلى عصابة ولا مال ، فرجعوا إليه ، وهو عندهم مبطل ، وبايعوه بلا تردد ولا تطويل ، وكذلك يبطل أن يرجعوا عن قوتهم ، وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم ، وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق إليهم ، فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون أنه باطل دون خوف ، يضطربهم إلى ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال أو جاه ، بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك إلى رجل أجنبي^(٨٣) لا عشيرة له ولا منعة ، ولا حاجب ولا حرس ، على بابه . ولا قصر ممتنع فيه ، ولا موالى ولا مال ، فأين كان على وهو الذى لا نظير له في الشجاعة ..؟ ومعه جماعة بنى هاشم ، وبنى المطلب ، من قتل هذا الشيخ لا دافع دونه ، لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره ، بل قد علم والله على رضى الله عنه أن أبى بكر رضى الله عنه على الحق وأن من خالفه على الباطل ، فأذعن للحق بعد أن عرضت له فيه كبوة ذلك الأنصار رضى الله عنهم ، وإذا قد بطل كل هذا فلم يبق إلا أن عليا والأنصار رضى الله عنهم إنما رجعوا إلى بيعة أبى بكر رضى الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبي ﷺ ، لا لاجتهاد كاجتهادهم ، ولا لظن كظنونهم ، فإذا قد بطل أن يكون الأمر في الأنصار . وزالت الرياسة عنهم فما الذى حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على أن يتفقوا على جحد نص النبي ﷺ على إمامة على ؟ ومن

(٨٠) راجع ترجمته ص ٧٩ من هذا الجزء .

(٨١) غررة مؤته كانت باللقاء من أرض الشام وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة - رضى الله عنهم - وأخذ

القيادة خالد بن الوليد : ففتح الله عليهم وكان ذلك عام ٨ هـ .

(٨٢) سقط من (أ) (ويدعوه) .

(٨٣) في (أ) : سقط كلمة : (أجنبي) .

المحال أن تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم . إلا أن تدعى الروافض أنهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد ، فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعى فيما شاء من المحال أنه قد كان ، وأن الناس كلهم نسوه ، وفي هذا إبطال الحقائق كلها . وأيضا فإن كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ اتفقوا على جحد ذلك النص وكتابه أو اتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع إلى الروافض أمره ومن بلغه إليهم ؟.. وكل هذا هوس ومحال ، فبطل أمر النص على عليّ رضي الله عنه بيقين لا إشكال فيه ، والحمد لله رب العالمين .

فإن قال قائل : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الأقارب من (٨٤) بين يدي رسول الله ﷺ فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة فلذلك انحرفوا عنه .

قيل لهم : هذا تمويه ضعيف كاذب ، لأنه إن ساغ لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم ، وبني عبد الدار ، وبني عامر ، لأنه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلاً أو رجلاً ، فقتل من بني عامر ابن لؤي رجلاً واحداً وهو عمرو بن عبد ود (٨٥) ، وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجلاً ، وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عتبة (٨٦) والعاص بن سعيد بن العاص (٨٧) بلا شك وشارك في قتل عتبة بن ربيعة (٨٨) ، وقيل قتل عقبة بن أبي معيط (٨٩) وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الأنصاري (٩٠) ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالأخبار أنه لم يكن لهذه القبائل ولا لأحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ، ولا رأى ولا أمر ، اللهم إلا أن أبا سفيان

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (من) .

(٨٥) عمرو بن عبدود العامري ، من بني لؤي من قريش : فارس قريش وشجاعها في الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم ، وعاش إلى أن كانت واقعة الخندق فحضرها وقد تجاوز الثمانين فقتله علي بن أبي طالب . عام ٥ هـ . (الروض الأنف - ج ٢ ص ١٩١) .

(٨٦) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان والده كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، شهد هو وأبيه عتبه وعمه شيبه بن ربيعة غزوة بدر وطلبوا المبارزة فخرج لهم عبيدة بن الحرث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فبارز عبيدة بن ربيعة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل حمزة شيبه وقتل علي الوليد وكر حمزة وعلي مع عبيده علي عتبه فقتلوه . (راجع سيرة ابن هشام - ج ٢ ص ٢٦٥) .

(٨٧) العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام عندما خرج مع كفار قريش لحرب المسلمين في غزوة بدر فقتل في هذه الموقعة عام ٢ هـ . (راجع سيرة ابن هشام - ج ٢ ص ٣٥٦) .

(٨٨) عتبة بن ربيعة : بن عبد شمس ، أبو الوليد كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، توسط للصلح في حرب الصيغار بين هوزان وكثافة ، وقد رضي الفريقان حكمه وانقضت الحرب على يده ، أدرك الإسلام وطمع فيشهد بدرًا مع المشركين وكان ضخم الجثة ، وقاتل قتلاً شديداً فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه . (الروض الأنف - ج ١ ص ١٢١) .

(٨٩) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، من مقدمي قريش في الجاهلية كنيته أبو الوليد ، وكنية أبيه أبو معيط كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه ، وهو أول مصلوب في الإسلام عام ٢ هـ . (الروض الأنف - ج ٢ ص ٧٦) .

(٩٠) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوس أبو سليمان ، صحابي من السابقين الأولين من الأنصار ، شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله - واستشهد يوم الرجيع ، ورثاه حسان بن ثابت عام ٤ هـ . (الاصابة ت ٤٣٤٠) .

ابن حرب^(٩١) بن أمية كان مائلا إلى علي في ذلك الوقت عصيبا للقرابة لا تدينا ، وكان ابنه يزيد^(٩٢) وخالد بن سعيد بن العاص^(٩٣) والحارث بن هشام^(٩٤) بن المغيرة المخزومي ، مائلين إلى الأنصار تدينا والأنصار قتلوا أبا جهل بن هشام^(٩٥) أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة^(٩٦) بن عتبة بن ربيعة شديد الميل إلى علي حين قصة عثمان وبعدها حتى قتله معاوية على ذلك . فعرفونا من قتل علي من بنى تيم بن مرة أو من بنى عدى بن كعب ، حتى يظن أهل القحفة أنهما حقدا عليه ؟

ثم أخبرونا من قتل من^(٩٧) الأنصار ؟ أو من جرح منهم ؟ أو من أودى منهم ؟ ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوٍ له وبعضهم متأخر عنه ؟ فأى حقد كان له في قلوب الأنصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه ؟ وعلى ابطال حقه ؟ وعلى ترك ذكر اسمه جملة ؟ وإيثار سعد بن عبادة عليه ثم على إيثار أبي بكر وعمر عليه والمصارعة إلى بيعهم^(٩٨) بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لا يحول بينهم وبينه أحد ، ثم أخبرونا من قتل علي من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر ، وربيعه ، واليمن ، وقضاعة ، حتى يصفقوا كلهم على كراهية ولايته ، ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه .

إن هذه عجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا .

(٩١) أبو سفيان بن حرب : صحر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف صحابي من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية ، قاد قريشًا وكنانة يوم أحد والحندق ، أسلم يوم فتح مكة وشهد حنينًا والطائف ، توفى بالمدينة عام ٣١ هـ . (الاستيعاب ح ٤ ص ١٦٧٧) .

(٩٢) يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب الأموي أبو خالد أمير صحابي من رجال بني أمية شجاعا وحزما أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي - ﷺ على صدقات بني فراس ، ثم استعمله أبو بكر على جيش وسره إلى الشام ، وولاه عمر فلسطين ثم دمشق ، توفى في دمشق بالطاعون وهو على الولاية عام ١٨ هـ . (الأصابة : ت ٩٢٦٧) .

(٩٣) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، صحابي من الولاة الغراة قديم الإسلام ، هاجر إلى الحبشة فاقام بضعة عشرة سنة وعاد سنة ٧ هـ حضر فتح مكة ثم وقعه توك ، وكان يكتب للنبي - ﷺ - مكة والمدينة ، شهد فتح أجنادين وقتل في موقعة مرج الصفر (قرب دمشق) عام ١٤ هـ . (طبقات ابن سعد ح ٤ ص ٦٧) .

(٩٤) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو عبد الرحمن صحابي كان شريفاً في الجاهلية والإسلام بضرب المثل بيناته في الحسن والشرف وعلاء المهر ، مدحه كعب بن الأشرف ، وأسلم يوم فتح مكة وخرج في أيام عمر باهله وماله إلى الشام فلم يزل مجاهداً إلى أن مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . (الاستيعاب ح ١ ص ٣٠١) .

(٩٥) أبو جهل : عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أشد الناس عداوة للنبي - ﷺ - كان يقال له أبو الحكم فدعاه المسلمون أبا جهل . قتل في موقعه بدر ٢ هـ . راجع ترجمة وافية له في ابن الأثير ح ١ ص ٢٣ ، ٢٥ .

(٩٦) محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابي من الأمراء ، ولد بأرض الحبشة في عهد النبوة واستشهد أبوه يوم الإمامة فراه عثمان بن عفان ، أقره علي في إمارة مصر قبض عليه معاوية وسجنه في دمشق ثم قتل في السجن عام ٣٦ هـ . (الأصابة ت ٧٧٦٩) .

(٩٧) في (أ) : سقطت (من) .

(٩٨) في (أ) : (بيعته) .

ولقد كان لطلحة^(٩٩)، والزبير، وسعد بن أبي وقاص^(١٠٠) وقاص، من القتل في المشركين كالذى كان لعلی، فما الذى خصه باعتقاد الأحقاد له دونهم؟ لو كان للروافض حياء أو عقل.

ولقد كان لأبى بكر رحمه الله ورضى عنه في مضادة قريش في الدعاء إلى الإسلام ما لم يكن لعلی، فما منعهم ذلك من بيعته وهو أسوأ الناس أثرا عند كفارهم.

ولقد كان لعمر بن الخطاب، رضى الله عنه من مغالبة كفار قريش وإعلانه الإسلام على زعمهم ما لم يكن لعلی رضى الله عنه، فليت شعري ما الذى أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم، ويعادوا عليا من بينهم كلهم..؟ لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم، حتى بلغ الأمر بهم إلى أن عدوا على سعد ابن أبى وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد^(١٠١) مولى رسول الله ﷺ ورافع ابن خديج الأنصارى^(١٠٢) ومحمد بن مسلمة^(١٠٣) الأنصارى وزيد بن ثابت الأنصارى^(١٠٤) وأبى هريرة^(١٠٥) وأبى الدرداء^(١٠٦) وجماعة غير هؤلاء^(١٠٧) المهاجرين أنهم لم يبايعوا عليا إذ ولى الخلافة ثم بايعوا معاوية، ويزيد ابنه من أدركه منهم^(١٠٨) وادعوا أن تلك الأحقاد حملتهم على ذلك.

قال أبو محمد: حمق الرافضة، وشدة ظلمة جهلهم، وقلة حيائهم، هورهم في الدمار، والبوار، والعار، والنار، وقلة المبالاة بالفضائح، وليت شعري أى حماسة وأى كلمة حسنة كانت

(٩٩) راجع ترجمته ص ٢١١ من هذا الجزء. (طبقات ابن سعد ح ٣ ص ١٥٣).

(١٠٠) سعد بن أبى وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى أبو اسحاق، الصحابى فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد السبعة الذين عيهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سيل الله، وأحد العشرة المشركين نالحة، أسلم وهو ابن ١٧ سنة وشهد بدرًا وافتتح القادسية له في كتب الحديث ٢٧١ حديثًا. (طبقات ابن سعد ح ٦ ص ٦).

(١٠١) أسامة بن زيد حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد، صحابى جليل ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله ﷺ - يحبه حبًا جمًّا وهاجر معه إلى المدينة، ولما توفى رسول الله رحل إسامة إلى وادى القرى فسكته ثم انتقل إلى دمشق فسكن المرة وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ له في كتب الحديث ١٢٨ حديثًا. (طبقات ابن سعد ح ٤ ص ٤٢).

(١٠٢) رافع بن خديج الأنصارى الأوسى الحارثى، صحابى كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدًا والهندق توفى بالمدينة متأجرًا من جراحة عام ٧٤ هـ له ٧٨ حديثًا. (تهذيب التهذيب ح ٣ ص ٢٢٩).

(١٠٣) محمد بن مسلمة الأوسى الحارثى أبو عبد الرحمن، صحابى من الأمراء من أهل المدينة، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة توك واستخلفه النبي على المدينة في بعض غزواته وولاه عمر على صدقات جهينه واعتزل الفتنة في أيام على فلم يشهد الحمل ولا صفين، ومات بالمدينة عام ٤٣ هـ. (الاصناف ٧٨٠٨).

(١٠٤) زيد بن ثابت الأنصارى الخزرجى أبو خارحة صحابى من أكابرهم، كان كاتب الوحى، ولد في المدينة ونشأ بمكة وهاجر مع النبي وهو ابن ١١ سنة وتعلم وتفقه في الدين فكان رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والعراض وكان عمر يستحلفه على المدينة إذا سافر، أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي - ﷺ - له في كتب الحديث ٩٢ حديثًا توفى سنة ٤٥ هـ. (الاصناف ٢٨٨٠).

(١٠٥) أبو هريرة الدوسى صاحب رسول الله ﷺ - يقال اسمه عبد الله بن عامر ويقال سكين بن دومة وقال أحمد بن حنبل اسم أبى هريرة عبد الله بن عبد شمس وقال عن نفسه كان اسمى في الجاهلية عبد شمس فسميت في الإسلام عبد الرحمن أسلم عام فتح خيبر، توفى سنة ثمان وخمسين بالعقيق وصلى عليه الوليد بن عقبة. (الاستيعاب ح ٤ ص ١٧٦٨ - ١٧٧٣).

(١٠٦) أبو الدرداء: اسمه عويمر بن مالك بن زيد، تأخر إسلامه قليلًا وكان فقهياً عاقلاً حكيماً شهد ما بعد أحد من المشاهد وولى القضاء لمعاوية في خلافة عثمان وتوفى بالشام سنة ٣٣ هـ. (الاستيعاب ح ٤ ص ١٦٤٦ وما بعدها).

(١٠٧) في (أ): زيادة (س).

(١٠٨) سقط من (أ) كلمة (منهم).

بين علي وبين هؤلاء؟ أو أحد منهم؟ وإنما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة في فرقة فلما أصفق المسلمون على ما أصفقوا عليه كائنا من كان دخلوا في الجماعة، وهكذا فعل من أدرك من هؤلاء ابن الزبير^(١٠٩) رضي الله عنه ومروان^(١١٠) فإنهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك^(١١١) ابن مروان بايعه من أدركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير، ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا.

وهكذا كان أمرهم في علي ومعاوية ولا مزيد^(١١٢) فلاحت نوكة هؤلاء المجانين، والحمد لله رب العالمين.

قال أبو محمد: وهذا زيد بن حارثة^(١١٣) قتل يوم بدر حنظلة بن أبي سفيان^(١١٤) وهذا الزبير ابن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص^(١١٥) وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام^(١١٦) بن المغيرة فهلا عاداهم أهل هؤلاء المقتولين، وما الذي خص عليا بعداوة^(١١٧) أولياء من قتل دون سائر من ذكرنا^(١١٨) لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم. ثم لو كان ما ذكره حقا فما الذي كان دعا عمر إلى ادخاله في الشورى مع من أدخله فيها، ولو أخرجها منها كما أخرج سعيد بن زيد^(١١٩)، أو قصد إلى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه

(١٠٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر فارس قريش ورمه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح أفريقيا من عثمان وبوبع بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقب موت يزيد بن معاوية، قتل بمكة عام ٧٣ هـ. (راجع ترجمة له وافية في ابن الأثير ج ٤ ص ١٣٥).

(١١٠) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، خليعة أموى وإليه ينسب بنو مروان، ولد بمكة ونشأ بالطائف وسكن المدينة شهد صعين مع معاوية، توفي بالطاعون، وقيل قتلته زوجته أم خالد مدة حكمة تسعة أشهر و ١٨ يوماً وهو أول من ضرب الدناير الشامية وكتب عليها (قل هو الله أحد). (الاصابة ت ٨٣٢٠).

(١١١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً وشهد يوم الدار مع أمية واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أمية سنة ٦٥ هـ ونقش خاتمه (أمنت بالله محلاً) توفي في دمشق سنة ٨٦ هـ. (ابن الأثير ج ٤ ص ١٩٨).

(١١٢) سقط من (أ) كلمة (ولا مزيد).

(١١٣) راجع ترجمة زيد بن حارثة ص ٥٦ من هذا الجزء.

(١١٤) حنظلة بن أبي سفيان صحب من حرب الأموي القرشي: جاهل من التسجعان الأشداء القساة، أدرك الإسلام وكان شديد الأذى للمسلمين واشترك في عزوة بدر ضد المسلمين فقتل فيها عام ٢ هـ. (الروض الأنف: ٢: ٢٤١).

(١١٥) عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية أحد المشركين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية واشتركوا في غزوة بدر وقتل فيها عام ٢ هـ. (راجع سيرة بن هشام في عزوة بدر).

(١١٦) العاص (أبو العاص) بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبو جهل، كان يادمه في الجاهلية العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ويقال لهما (أحمقا قريش) وقتلا يوم بدر على الشرك قتل الأول عمر بن الخطاب والثاني علي بن أبي طالب عام ٢ هـ.

(١١٧) سقط من (أ) (بعداوة).

(١١٨) في (أ): من قلنا.

(١١٩) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أبو الأعور صحابي من حيارهم، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا وكان غائبًا في مهمة أرسله بها النبي - ﷺ - وهو أشد العشرة المشركين، وكان من ذوى الرأي والبسالة وشهد اليرموك وحصار دمشق توفي بالمدينة عام ٥١ هـ وله في كتب الحديث ٤٨ حديثًا.

أحد في ذلك بكلمة ، فصح ضرورة بكل ما ذكرنا أن القوم أنزلوه منزلته غير عالين ولا مقصرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأنهم قدموا الأحق ، فالأحق ، والأفضل ، فالأفضل وساووه بنظرائه منهم ، ثم أوضح برهان وأبين بيان في بطلان أكاذيب الرافضة أن عليا رضى الله عنه إذ^(١٢٠) دعى إلى نفسه بعد قتل عثمان رضى الله عنه سارعت طوائف من^(١٢١) المهاجرين والأنصار إلى بيعته ، فهل ذكر أحد من الناس أن أحدا منهم اعتذر إليه مما سلف من بيعتهم لأبى بكر وعمر وعثمان ، أو هل تاب أحد منهم من جحدهم للنص على إمامته ، أو قال أحد منهم : لقد ذكرت هذا النص الذى كنت انسيته في أمر هذا الرجل ان عقولا خفى عليها هذا الظاهر اللائح لعقول مخذولة لم يرد الله أن يهديها ثم مات عمر رضى الله عنه وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة ، على أحدهم ولم يكن في تلك الأيام الثلاثة سلطان يُخاف ولا رئيس يتوق ولا مخافة من أحد ، ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلى رضى الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله ﷺ أو من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم أما كان الواجب على على أن يقول أيها الناس كم هذا الظلم لى وكم هذا الكتمان بحقى ؟ وكم هذا الجحد لنص رسول الله ﷺ ..؟ وكم هذا الإعراض عن فضلى البائن على هؤلاء المقرونين لى ؟ فإذا لم يفعل لا ندرى لماذا ..؟

أما كان فى بنى هاشم أحد له دين يقول هذا الكلام ..؟ أما العباس عمه وجميع العاملين على توقيره وتعظيمه حتى إن عمر توسل به إلى الله تعالى بحضرة الناس فى الاستسقاء .

وأما أحد بنيه ، وأما عقيل أخوه ، وأما أحد بنى جعفر أخيه ، أو غيرهم ، فإذا لم يكن فى بنى هاشم أحد يتقى الله عز وجل ، ولا يأخذه فى قول الحق مدهنة .

أما كان فى جميع أهل الإسلام من المهاجرين ، والأنصار وغيرهم واحد يقول : يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا على له حق واجب بالنص وله بائن ظاهر لا يمتري فيه فبايعوه فأمره بين ان اصفاق جميع الأمة أولها عن آخرها من بركة^(١٢٢) إلى أول^(١٢٣) خراسان ، ومن الجزيرة إلى أقصى اليمن ، إذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل ، واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه ، وليس هناك شىء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع ، وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك ، إذ صار الحق حقه ، وقتلوا أنفسهم دونه ، فأين كانوا عن إظهار ما تنبته له الروافض الإنذال ؟ ثم العجب إذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ ، واتفاقهم على جحد حقه هذا الاتفاق ، كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ؟ أم كيف اكرموا وبروه وأدخلوه فى الشورى .؟

(١٢٠) فى (أ) : لا .

(١٢١) سقط من (أ) (م) .

(١٢٢) إقليم من أقاليم ليبيا الآن وعاصمتها (بنغازى) .

(١٢٣) سقط من (أ) أول .

وقال هشام بن الحكم : كيف يحسن الظن بالصحابة أن لا يكتموا النص على عليّ وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن في هذا .

قال أبو محمد : لو علم الفاسق أن هذا القول منه^(١٢٤) أعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف ، لأن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول من قاتل حيث^(١٢٥) افترق الناس ، فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم أو من سوء الظن بهم فهو لاحق بعلي في قتاله ، ولا فرق بينه وبين سائر الصحابة في ذلك كله - وبالله تعالى التوفيق .

فإن خصه متحكماً كان كمن خص غيره منهم متحكماً ولا فرق .

وأيضاً فإن قتالهم^(١٢٦) رضى الله عنهم وأكد برهان على أنهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا ، بل قاتل كل فريق منهم على ما رآه حقا ، ورضى بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده ، وطائفة منهم قعدت إذا لم تر الحق في القتال فدل ذلك^(١٢٧) على أنه لو كان عندهم نص على عليّ أو عند واحد منهم لأظهروه ، أو لأظهره كما أظهروا ما رأوا أن يبذلوا أنفسهم للقتال والموت دونه .

فإن قالوا : قد أقررت أنه لا بد من إمام فبأى شيء يعرف الإمام ؟.. لاسيما وأنتم خاصة معشر أهل الظاهر [الذين لا يقولون]^(١٢٨) الا بنص قرآن ، أو خبر صحيح ، وهذا أيضا مما سألتنا عنه أصحاب القياس والرأى .

قال أبو محمد : فجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن رسول الله ﷺ نص على وجوب الإمامة ، وأنه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة ، وافترض علينا بنص قوله : « الطَّاعَةُ لِلْقُرْشِيِّ إِمَامًا وَاحِدًا لَا يُتَارَعُ إِذَا قَادَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(١٢٩) .

فصح من هذه النصوص النص على صفة الإمام الواجب طاعته ، كما صح النص على صفة الشهود في الأحكام ، وصفة المساكين والفقراء ، الواجب لهم الزكاة ، وصفة من يؤم في الصلاة ، وصفة من يجوز نكاحها من النساء ، وكذلك سائر الشريعة كلها ، ولا يحتاج إلى ذكر الأسماء ، إذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشي بالغ عاقل بادر إثر موت الإمام الذى لم يعهد إلى أحد فبايعه واحد فصاعدا فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى ويسنة رسول الله ﷺ ،

(١٢٤) سقط من (أ) (منه) .

(١٢٥) في (أ) : حين .

(١٢٦) في (خ) : قتالهم .

(١٢٧) سقط من (أ) كلمة ذلك .

(١٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(١٢٩) يراجع مسلم في الأمانة ٣٦ والنسائي في البيعة ، وأحمد بن حنبل في المسند ج ٤ ص ٦٩ ، ج ٥ ، ٢٨١ ، ج ٦ ، ٤٠٢ ،

ولفظه عند مسلم : ولو استعمل عليكم عبد يقرؤكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا . ولا يوجد ذكر للقرشي .

الذى أمر الكتاب باتباعها فإن زاع عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد ، والحق فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولى غيره منهم .

فإن قالوا : قد اختلف الناس في تأويل القرآن والسنة [قلنا نعم وقد أمرنا الله تعالى بالرجوع عند التنازع إلى ظاهر القرآن والسنة]^(١٣٠) ومنع من تأويلهما بغير نص آخر .

قلنا : إن التأويل الذى لم يقع عليه برهان تحريف للكلم عن مواضعه ، وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة ، وإنما الحجة في نص القرآن والسنة ، وما اقتضاه لفظهما العربى الذى خوطبنا به ، وبه ألزمتنا الشريعة .

قال أبو محمد : ثم نسألهم فنقول لهم : إن عمدة احتجاجكم في إيجاب امامتكم التى تدعيها جميع فرقكم إنما هى وجهان فقط ، أحدهما : النص عليه بإسمه والثانى : شدة الفاقة إليه في بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد ، فأخبروني بأى شيء صار محمد بن على ابن الحسين أولى بالإمامة من اخوته زيد وعمرو وعبد الله وعلى والحسين ؟ فإن ادعوا نصا من أبيهم عليه أو من النبي ﷺ أنه الباقر^(١٣١) لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ، ولم يكونوا أولى بتلك الدعوى من الكيسانية . في دعواهم النص على ابن الحنفية^(١٣٢) ، وإن ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان ، فقد يكون باطنه بخلاف ظاهره ، وكذلك يسألون أيضا ما الذى جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد أو إسحاق أو على ؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سبيلا ، وكذلك أيضا يسألون ما الذى خص على بن موسى بالإمامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرا ! فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسألون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى أولى بالإمامة من أخيه على ابن على ؟ وما الذى جعل على بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد ؟ وما الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن على ؟ فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى^(١٣٣) لا حياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أو لعبد الله بن الحسن ، أو لأخيه الحسن بن الحسن ، أو لابن أخيه على بن الحسن أو لمحمد

(١٣٠) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٣١) محمد بن على زين العابدين بن الحسين الطالبي القرشي ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال . ولد بالمدينة وتوفى بالحميمة عام ١١٤ هـ حلية الأولياء ح ٣ ص ١٨٠

(١٣٢) محمد بن على بن أبى طالب أبو القاسم المعروف بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين ، أمه خولة بنت جعفر الحنفية كانت الكيسانية تزعم أنه لم يميت وأنه مقيم برضوى مولده بالمدينة توفى سنة ٨١ هـ (طبقات ابن سعد ح ٣ ص ٥٧ - ٦٦) .

(١٣٣) في (أ) : الذى .

ابن عبد الله القائم بالمدينة ، أو لأخيه إبراهيم أو لرجل من ولد العباس ، أو من بنى أميه ، أو من أى قوم من الناس كان ، لساواهم فى حماقة ، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل ، أو منحة من دين ، ولو قلت : أو رقعة من الحياء ، فبطل وجه النص ، وأما وجه الحاجة إليه فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس ، وما بأيديهم من ذلك شيء ، الا دعاوى مفتعلة قد اختلفوا أيضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء سواء ، إلا أنهم أسوأ حالا من غيرهم لأن كل من قلد انسانا كأصحاب أبى حنيفة لأبى حنيفة ، وأصحاب مالك^(١٣٤) لمالك ، وأصحاب الشافعى للشافعى ، وأصحاب أحمد لأحمد . فإن هؤلاء المذكورين أصحابا مشاهير نقلت عنهم أقوال أصحابهم ، ونقلوها هم عنه ، ولا سبيل إلى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلى أن هذا قول موسى بن جعفر ، ولا أنه قول على ابن موسى ، ولا أنه قول محمد بن على بن محمد ولا أنه قول الحسن ابن على ، وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة ، وأما من قبل موسى ابن جعفر ، فلو جمع كل ما روى فى الفقه عن الحسن ، والحسين رضى الله عنهما [وعن على ابن الحسين وعن محمد بن على وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهم]^(١٣٥) لما بلغ عشر أوراق .

فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل ، ولا عندهم ولا عند غيرهم ، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحداً ولا أمر منهم أحد قط بمعروف معلى ، وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذيل المنتمين إلى الإمامية القائلين بأن الدين عند أئمتهم ، فما رأينا إلا دعاوى باردة ، وآراء فاسدة ، كأسخف ما يكون من الأقوال ، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من أن يكونوا مأمورين بالسكوت ، أو مفسوحاً لهم فيه ، فإن يكونوا مأمورين بالسكوت فقد أبيع للناس البقاء فى الضلال ، وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس ، وبطل الدين ، ولم يلزم فرض الإسلام ، وهذا كفر مجرد .

وهم لا يقولون بهذا .

أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان ، فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم .

وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الأئمة إلى أن ادعوا الالهام فى ذلك ، فإذا قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن أن يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم .

(١٣٤) مالك بن أنس بن مالك الأصبهى الحميرى ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، وإليه تنسب المالكية مولده سنة ٩٣ هـ ووفاته بالمدينة ١٧٩ هـ من مصنفاته الموطأ ، ورسالة فى الرد على القدرية . (راجع الوفيات ج ١ ص ٤٣٩) .
(١٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

قال هشام بن الحكم : لا بد أن يكون في إخوة الإمام آفات يبين بها أنهم لا يستحقون الإمامة .

قال أبو محمد : وهذه دعوى مردودة تزيد في الحماقة ، ولا ندرى في زيد ، وعمرو ، وعبد الله ، والحسن ، وعلى بن علي بن الحسين ، آفات تمنع إلا أن الحسن أخا زيد ومحمد كان أعرج وما علمنا أن العرج عيب يمنع من الإمامة ، إنما هو عيب في العبيد المتخذين للمشي ، وما يعجز خصومهم أن يدعوا في محمد بن علي وفي جعفر بن محمد وفي سائر أئمتهم تلك الآفات التي ادعاها هشام لآخوتهم ، ثم إن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين . ففسألمهم من أين علم هذا الصغير جميع علوم^(١٣٦) الشريعة ؟ وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره ؟ فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحي فهذه نبوة ، وكفر صريح ، وهم لا يبلغون إلى أن يدعوا له النبوة وأن يدعوا له معجزة تصحح قوله .

فهذه دعوى باطلة ، ما ظهر منها قط شيء ، أو يدعوا له الإلهام فما يعجز أحد عن هذه الدعوى .

قال أبو محمد : ولو لم يكن من الحججة على أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويزين لكل أمة عملها إلا وجود من يعتقد هذه الأقوال السخيفة لكان أقوى حجة وأوضح برهان ، وإلا فما خلق الله عز وجل^(١٣٧) عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات ، والحمد لله على عظيم منته علينا ، وهو المسئول منه دوامها بمنه آمين .

قال أبو محمد : وأيضا فلو كان الأمر في الإمامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضي الله عنه في سعة من أن يسلمها إلى^(١٣٨) معاوية رضي الله عنه فيعينه على الضلال ، وعلى ابطال الحق ، وهدم الدين ، فيكون شريكه في كل مظلمة ، ويبطل عهد رسول الله ﷺ ويوافق على ذلك الحسين أخوه رضي الله عنهما ، فما نقض قط بيعة معاوية إلى أن مات ، فكيف استحل الحسن والحسين رضي الله عنهما ابطال عهد رسول الله ﷺ اليهما طائعين غير مكرهين ؟ فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه إذ رأى أنها بيعة ضلالة ، فلولا أنه رأى بيعة معاوية حقاً لما سلمها له ، ولفعل كما فعل يزيد ، إذ ولي يزيد هذا ما لا يمتري فيه ذو إنصاف هذا ومع الحسن يزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه ، فتالله لولا أن الحسن رضي الله عنه علم أنه في سعة من

(١٣٦) في (أ) : علم .

(١٣٧) سقط من (أ) عز وجل .

(١٣٨) سقط من (أ) (إلى) .

اسلامها إلى معاوية ، وفي سعة من أن لا يسلمها لما جمع بين الأمرين فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهي حقه ، وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح ، بل هو الأفضل بلا شك ، لأن جده رسول الله ﷺ قد خطب بذلك على المنبر [بحضرة المسلمين وأراهم الحسن معه على المنبر]^(١٣٩) وقال : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » رويناه من طريق البخارى^(١٤٠).

حدثنا صدقة ، أنبأنا ابن عيينه ، أنا الحسن ، سمع أبا بكر يقول إنه سمع ذلك وشهده من رسول الله ﷺ وهذا من إعلامه ﷺ وإنذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة إلا بالوحى .
وقد امتنع زياد^(١٤١) وهو فقعة القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما أطافه معاوية إلا بالمدارة وحتى أرضاه وولاه .

فإن ادعوا أنه قد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لأن رسول الله ﷺ لا يأمر أحدًا بالعون على إطفاء نور الإسلام بالكفر ، وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه ، وهذه صفة الحسن والحسين رضی الله عنهما ، عند الروافض .

واحتج بعض الإمامية وجميع الزيدية بأن عليا كان أحق الناس بالإمامة لبينونة فضله على جميعهم ، ولكثرة فضائله دونهم .

قال أبو محمد : وهذا يقع الكلام فيه إن شاء الله تعالى في الكلام في المفاضلة بين أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما الكلام هاهنا في الإمامة فقط ، فنقول : وبالله تعالى التوفيق .

هبكم أنكم وجدتم لعلی رضی الله عنه فضائل معلومة ، كالسبق إلى الإسلام والجهاد مع رسول الله ﷺ ، وسعة العلم ، والزهد ، فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضی الله عنهما ؟ حتى أوجبتم لهما بذلك فضلا في شيء مما ذكرنا على سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن العباس ؟ هذا ما لا يقدر أحد على أن يدعى لهما فيه كلمة فما فوقها يعنى مما يكونان به فوق من قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل ، فلم يبق إلا دعوى النص عليهما ، وهذا ما لا يعجز عن مثله أحد ، ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب في

(١٣٩) في (أ) : سقط ما بين القوسين .

(١٤٠) الحديث رواه البخارى في الصلح ٩ وفي فضائل أصحاب النبي - ٢٣ والفتن ٣٠ والمناقب ٣٥ وأبو داود في السنة ١٢ والمهedy ٨ والترمذى في المناقب ٣٠ والنسائى ٢٧ ولفظه عند أبى داود : إن ابني هذا سيدي وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين من امتي .
(١٤١) زياد بن أبيه أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة ، من أهل الطائف اختلفوا في اسم أبيه ، فقيل عبید الثقفى وقيل أبو سفين ولدته اسمة سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى . أسلم في عهد أبى بكر الصديق وكان كاتبًا للمغيرة بن شعبة ولاة على بن أبى طالب امرة فارس ولما مات على استرضاه معاوية وألحقه بأبيه سنة ٤٤ هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق مات سنة ٥٣ هـ . (تاريخ الطبرى - ج ٦ ص ١٦٢) .

دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبي^(١٤٢)، لما كانوا إلا مثل الرافضة في ذلك سواء بسواء ، ولو استحلت الأموية أن تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان أمرهم في ذلك أقوى من أمر الرافضة ، لقوله تعالى : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا^(١٤٣) ولكن كل أمة ما عدا الرافضة والنصارى فإنها تستحى وتصون أنفسها عما لا تصون النصارى والروافض أنفسهم عنه من الكذب الفاضح^(١٤٤) البارد وقلة الحياء ، فيما يأتون به . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : وكذلك لا يجدون لعلى بن الحسين بسوقا في علم ، ولا في عمل على سعيد ابن المسيب^(١٤٥) ، والقاسم بن محمد^(١٤٦) ، وسالم بن عبد الله بن عمر^(١٤٧) ، وعروة بن الزبير^(١٤٨) ، ولا على أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(١٤٩) ، ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن ، وكذلك لا يجدون لمحمد بن على بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد^(١٥٠) ، ولا على محمد بن عمرو بن أبى بكر بن المنكدر^(١٥١) ، ولا على أبى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف^(١٥٢) ، ولا على أخيه زيد بن على ، ولا على عبد الله الحسن بن الحسن ابن على ولا على عمر بن عبد العزيز ، وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين

(١٤٢) عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد من أئمة الأباضية ، كان ذا علم وارى فصاحة وشجاعة ، أدرك النسي - عليه السلام - وشهد فتح العراق مع سعد بن أبى وقاص ثم كان مع على في حروبه ، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة منهم الراسبي ، قتل في موقعة النهروان عام ٣٨ هـ . (الكامل للمبرد ح ٢ ص ١٩) .

(١٤٣) سورة الإسراء آية رقم ٣٣

(١٤٤) سقط من (خ) (الفاضح) .

(١٤٥) سعيد بن المسيب راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ح ٥ ص ٨٨ .

(١٤٦) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أبو محمد أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ولد فيها وتوفى بقديد (بين مكة والمدينة) عام ١٠٧ هـ حاججا أو معتمرا وكان صالحا ثقة من سادات التابعين عمى في أواخر أيامه ، قال ابن عيينه : كان القاسم أفضل أهل زمانه . (حلية الأولياء ح ٢ ص ١٨٣) .

(١٤٧) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم دخل على سليمان بن عبد الملك فمازال سليمان يرحب به ويرفعه حتى أقعده معه على سريريه توفى بالمدينة سنة ١٠٦ هـ . (تهذيب التهذيب ح ٣ ص ٤٣٦) .

(١٤٨) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى أبو عبد الله أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالما بالدين ، صالحا كريما لم يدخل في شيء من الفتن وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفى بها عام ٩٣ هـ . (وفیات الأعيان ح ١ ص ٣١٦) .

(١٤٩) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الخزومى القرشى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان من سادات التابعين ويلقب براهب قريش توفى بالمدينة وكان مكفوفاً ، ولد في خلافة عمر وتوفى ٩٤ هـ . (وفیات الأعيان ح ١ ص ٩٢) .

(١٥٠) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق التيمي القرشى أبو محمد من سادات أهل المدينة فقها وحلما وأدنا وحفظا للحديث توفى بالشام عام ١٢٦ هـ . (تهذيب التهذيب ح ٦ ص ٢٥٥) .

(١٥١) هو محمد بن عمر بن أبى بكر بن المنكدر بن عبد الله من تيم بن مرة .

(١٥٢) أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف ، أمه تماضر بنت الأصم بن عمرو روى عن أبيه ، وعن زيد بن ثابت وإلى قتاده وجابر بن عبد الله وعائشة وأم سلمة ، وكان ثقة فقيها كثير الحديث وتوفى بالمدينة سنة ٩٤ هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك وهو ابن ٧٢ سنة . (طبقات ابن سعد ح ٥ ص ١٥٥) .

ولا في عمل علي محمد بن مسلم الزهري^(١٥٣)، ولا علي ابن أبي ذؤيب^(١٥٤)، ولا علي عبد الله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم ابن عمر^(١٥٦)، ولا علي ابني عمه محمد بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسن، وعلي بن الحسن ابن الحسن بل كل من ذكرنا فوجه في العلم والزهد، وكلهم أرفع محلا في الفتيا والحديث لا يمنع أحد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس رضي الله عنه قد جمع فقهه في عشرين كتابا، ويبلغ حديثه نحو ذلك إذا تقصى ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين، ويبلغ حديثهما ورقة أو ورقتين، وكذلك علي بن الحسين إلا أن محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جزءا صغيرا، وكذلك جعفر ابن محمد وهم يقولون إن الإمام عنده جميع علم الشريعة، فما بال من ذكرنا أظهرنا بعض ذلك وهو الأقل الأنقص^(١٥٧)، وكنتموا سائرته وهو الأكثر الأعظم، فإن كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق إذا أعلنوا ما أعلنوا، وإن كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق إذ كنتموا ما كنتموا، وأما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما أصلا لا من رواية ولا من فتيا علي قرب عهدهم منا، ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة، التي هي من خرافات السمر، ومضاحك السخفاء، فإن رجعوا إلى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم: إن المعجزات لا تثبت إلا بنقل التواتر لا بنقل الآحاد الثقات فكيف بتولد الوقحاء الكذابين الذين لا يُدرى من هم، وقد وجدنا من يروى لبشر الحافي^(١٥٨) وشيبان الراعي^(١٥٩) ورابعة العدوية^(١٦٠) أضعاف ما يدعونهم من الكذب لأئمتهم وأظهر وأفشى، وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها ونحمد الله على السلامة، فإذا قد بطل كل ما يدعونهم والله تعالى الحمد فلنقل على الإمامة بعد رسول الله ﷺ بالبرهان وباللغة تعالى نتأيد.

(١٥٣) محمد بن مسلم الزهري من بنى زهرة بن كلاب من قريش أول من دون الحديث وأحد كبار الحفاظ والفقهاء تابعي من أهل المدينة قال عمر بن عبد العزيز عليكم بان شهاب فانكم لا تجلدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه مات بشغب آخر حد للحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٢).

(١٥٤) هو ابن أبي ذؤيب الشاعر المحضض الذي أسلم، وخرج مع عبد الله بن أبي سرح لفتح أفريقية سنة ٦٤٧ م، في زمن عثمان.

(١٥٥) هو عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن الخطاب روى عن النبي - ﷺ - مرسلًا قال النسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٨٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٣٠٢/٥ وما بعدها بتصريف).

(١٥٦) عبيد الله بن عمرو بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي المدني، أبو عثمان أحد الفقهاء السبعة والعلماء الأئمة بالمدينة، كان من ساداتها ومن أشرف قريش توفي بالمدينة سنة ١٤٧ هـ. (تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥١).

(١٥٧) في (خ): الأتفه.

(١٥٨) بشر الحافي بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي أبو نصر من كبار الصالحين له في الزهد والورع أخبار من أهل مرو سكن بغداد وتوفي بها سنة ٢٢٧ هـ. (وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٠).

(١٥٩) شيبان الراعي.

(١٦٠) رابعة العدوية: رابعة بنت إسماعيل، أم الخير مولاة آل عتيك البصرية، سالحة مشهورة من أهل البصرة لها أخبار في العبادة والسلوك ولها شعر وفاتها سنة ١٣٥ هـ. (وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٢).

« الإمامة بعد الرسول »

قال أبو محمد : قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة إن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً ، ثم اختلفوا . فقال بعضهم : لكن لما استخلف أبا بكر رضى الله عنه على الصلاة كان ذلك دليلاً على أنه أولاهم بالإمامة ، والخلافة على الأمور ، وقال بعضهم : لا . ولكن كان أئنيهم فضلاً فقدموه لذلك ، وقالت طائفة : بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصاً جلياً .

قال أبو محمد : وبهذا نقول لبراهين أحدها : إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون^(١٦١) فقد أصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضى الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ ومعنى الخليفة في اللغة هو الذى يستخلفه المرء^(١٦٢) لا الذى يخلفه دون أن يستخلفه هو ، لا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف .

تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفه ، ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه هو لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ، ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين أحدهما : أنه لم يستحق أبو بكر [رضى الله عنه قط]^(١٦٣) هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول الله ﷺ ، وهو حينئذ خليفته على الصلاة ، فصح يقينا أن خلافته المسمى هو بها هي غير خلافته على الصلاة .

والثانى : أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ في حياته كعلى في غزوة تبوك ، وابن أم مكتوم^(١٦٤) في غزوة الخندق ، وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع^(١٦٥) ، وسائر من استخلفه على

(١٦١) سورة الحشر آية رقم ٨

(١٦٢) سقط من (أ) كلمة : المرء .

(١٦٣) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٦٤) ابن أم مكتوم : اسمه عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ، واهم عاتكة وهي ام مكتوم بنت عبد الله بن عنكشة ، اسلم بمكة قديماً وكان ضريب البصر ، وقدم المدينة مهاجراً بعد بدر ييسر وكان يؤذن للنبي ﷺ - بالمدينة مع بلال ، اشترك في معركة القادسية ومات بالمدينة . (طبقات بن سعد ج ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٢) .

(١٦٥) غزوة ذات الرقاع ، كانت على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجرة وكان من خبرها أن قدم إلى المدينة قادم وأخبر أصحاب رسول الله ﷺ أن أنصاراً وثعلبه قد جمعوا لهم الجموع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ - فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان وخرج في أربعمئة أصحابه فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع فهربوا إلى ربوس الجبال وفيها صلى المسلمون صلاة الخوف ، ورجع الرسول إلى المدينة . (راجع التفاصيل لهذه الغزوة كاملة في طبقات بن سعد ج ٢ ص ٦١) .

البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها ، لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف من أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ على الإطلاق .

فصح يقينا بالضرورة التي لا محيد عنها أنها للخلافة بعده على أمته ومن الممتنع أن يجمعوا على ذلك ، وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا إلا استخلافه إياه على الصلاة ما كان أبو بكر أولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا ، وهذا برهان ضروري يعارض به جميع الخصوم ، و أيضا فإن الرواية قد صحت بأن امرأة قالت : يا رسول الله أرأيت إن رجعت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال فأت أبا بكر^(١٦٦) وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر .

وأیضا فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضی الله عنها في مرضه الذي توفي فيه عليه السلام : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فاكتب كتابا وأعهد عهدا لكى لا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمنى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . وروى أيضا . ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر^(١٦٧) .

فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده . قال أبو محمد : ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا ، أو أبلسوا أسفا لاحتججنا في ذلك^(١٦٨) بما روى : اقتدوا بالذين من بعدى أبا بكر وعمر . قال أبو محمد : ولكنه لم يصح ويعيدنا الله من الاحتجاج بما لا يصح .

قال أبو محمد : واحتج من قال لم يستخلف رسول الله ﷺ بالخبر المأثور عن عبد الله ابن عمر عن أبيه أنه قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر - وإن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى - يعنى رسول الله ﷺ - وبما روى عن عائشة رضی الله عنها : إذ سئلت^(١٦٩) من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف . فمن المحال أن يعارض اجماع الصحابة الذي ذكرنا ، والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضی الله عنهما مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر

(١٦٦) الحديث ذكره ابن سعد في طبقاته ح ٣ ص ١٧٨ قال : أخبرنا يزيد بن هارون قال أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن جبير ابن مطعم عن أبيه وذكر الحديث وقال : أخبرنا سليمان أبو داود الطيالسي وعبد العزيز بن عبد الله قالوا أخبرنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد ابن جبير بن مطعم عن أبيه أن امرأة أتت النبي - ﷺ - في شيء فقال لها رسول الله ﷺ ارجعي إلىي قالت يا رسول الله فإن لم أرك ، تعنى الموت فإلى من ؟ قال إلى أبي بكر .

(١٦٧) الحديث رواه الإمام مسلم في فضائل الصحابة ١١ ، وأبو داود في السنة ١١ وأحمد بن حنبل ح ٤ ص ٥٣ ، ٢٨٢ : ولفظه عند مسلم : ادعى لي أبا بكر ، وأخاك ، حتى اكتب كتابات ، فإن أخاف أن يتمنى مُتمنى ، ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . (١٦٨) في (أ) : سقط (في ذلك) . (١٦٩) في (أ) : سقط (إذ سئلت) .

من أن هذا الأثر خفى على عمر رضى الله عنه كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره ، أو أنه اراد استخلافاً بعهد مكتوب ونحن نقر أن استخلاف أبي بكر لم يكن بكتاب مكتوب ، وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصاً ، وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وإنما الحجة في روايتها لا في قولها ، وأما من ادعى انه انما قدم قياساً على تقديمه إلى الصلاة فباطل بيقين ، لأنه ليس كل من استحق الإمامة في الصلاة يستحق إمامة الخلافة^(١٧٠) ، إذ قد يستحق الإمامة في الصلاة أقرأ القوم ، وإن كان أعجمياً أو عربياً ، ولا يستحق الخلافة إلا قرشى فكيف والقياس كله باطل ؟

قال أبو محمد : في نص القرآن دليل على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وعلى وجوب الطاعة لهم ، وهو أن الله تعالى قال مخاطباً لنبيه ﷺ في الأعراب .
« فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا^(١٧١) » .

وكان نزول سورة براءة التى فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التى تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم ، فى سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك إلى أن مات ﷺ وقال تعالى أيضا: « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل^(١٧٢) » .

فبين أن العرب لا يغزون مع رسول الله ﷺ بعد تبوك ابداً^(١٧٣) ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم إثر منعه إياهم من الغزو مع رسول الله ﷺ وغلق لهم^(١٧٤) باب التوبة فقال تعالى : « قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ، فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً^(١٧٥) » .

فأخبر تعالى أنه سيدعوهم غير النبي ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون ، ووعدهم على طاعة من دعاهم إلى ذلك بجزيل الأجر العظيم ، وتوعدهم على عصيان الداعى لهم إلى ذلك العذاب الأليم .

قال أبو محمد : وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم

(١٧٠) فى (أ) : الإمامة فى الخلافة .

(١٧١) سورة التوبة آية رقم ٨٣

(١٧٢) سورة الفتح آية رقم ١٥

(١٧٣) فى (أ) : لهذا .

(١٧٤) سقط من (أ) لهم .

(١٧٥) سورة الفتح آية رقم ١٦

أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدى العرب بنى حنيفة^(١٧٦) وأصحاب الأسود^(١٧٧) وسجاح^(١٧٨) وطليحة^(١٧٩) والروم والفرس وغيرهم ، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك فوجبت طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً ، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صبحت إمامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم ، وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لأن الله تعالى لم يأمر بذلك إلا في دعائهم إلى قتال هؤلاء القوم ، وفيما يجب الطاعة فيه للأئمة جملة ، وبالله تعالى التوفيق .

وأما ما أفتوا به باجتهادهم فما أوجبوا هم قط اتباع أقوالهم فيه ، فكيف أن يوجب ذلك غيرهم ؟ وبالله تعالى التوفيق .

وأيضاً فإن هذا اجماع الأمة^(١٨٠) كلها إذ ليس أحد من أهل العلم إلا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم ، فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

« فصل »

عدم جواز إمامة امرأة أو صبي

قال أبو محمد : وجميع فرق أهل القبلة ليس منهم أحد يجيز امامه امرأة ، ولا إمامه صبي لم يبلغ ، إلا الرفضية فإنها تجيز إمامه الصغير الذي لم يبلغ ، والحمل في بطن أمه ، وهذا خطأ لأن من لم يبلغ فهو غير مخاطب ، والإمام مخاطب بإقامة الدين ، وبالله تعالى التوفيق .

قال الباقلاني : واجب أن يكون الإمام أفضل الأمة .

قال أبو محمد : وهذا خطأ متيقن لبرهانين ، أحدهما : أنه لا يمكن أن يعرف الأفضل إلا بالظن في ظاهر أمره ، وقد قال تعالى إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً^(١٨١) ، والثاني : أن قریشاً

(١٧٦) بنو حنيفة : الذين تنبأ فيهم مسليمة الكذاب ، وارتد بعضهم عن الإسلام وتابع مسليمة فيما دعا إليه ، وانصر المسلمون عليهم في معركة الجمامة .

(١٧٧) الأسود العنسي : عبلة بن كعب راجع ترجمته في الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٢١٤ .

(١٧٨) سجاح بنت الحارث راجع ترجمتها في الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٢١٥ .

(١٧٩) طليحة بن خويلد الأسدي من أسد خزيمية يقال له : طليحة الكذاب ، قدم على النبي - ﷺ - في وفد بني أسد سنة ٩ هـ وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة ، وادعى النبوة وكثر أتباعه ، وطمع في امتلاك المدينة فأرسل إليه أبو بكر خالد بن الوليد فهزمه ففر إلى الشام ، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وخطفان ووفد على عمر فباعه في المدينة واستشهد بنهاوند سنة ٢١ هـ . (الإصابات ت ٤٢٨٣) .

(١٨٠) في (أ) : الأئمة .

(١٨١) سورة يونس آية رقم ٣٦

قد كثرت وطبقت الأرض من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، ولا سبيل أن يعرف الأفضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ، ولا يمكن ذلك أصلاً ثم يكفى من بطلان هذا القول اجماع الأمة على بطلانه ، فإن جميع من أدرك من الصحابة رضى الله عنهم من جميع المسلمين في ذلك العصر قد أجمعوا على صحة^(١٨٢) امامة الحسن ، أو معاوية ، وقد كان في الناس أفضل منهم بلا شك كسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وابن عمر وغيرهم .

فلو كان ما قاله الباقلانى حقا لكانت إمامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك .

وأيضاً فإن هذا القول الذى قاله هذا المذكور دعوى فاسدة لا دليل على صحتها . لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ، ولا سقيمة ، ولا من قول صاحب ، ولا من قياس ، والعجب كله أن يقول إنه جائز أن يكون في هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث إلى أن مات ، ثم لا يميز أن يكون أحد أفضل من الإمام .

قال أبو محمد : وهذا القول منه في النبى ﷺ كفر مجرد لا خفاء به ، وفيه خلاف لأهل الإسلام وإنما يجب أن يكون الإمام قرشياً بالغاً ذكراً مميزاً بريئاً من المعاصى الظاهرة ، حاكماً بالقرآن والسنة فقط . ولا يجوز خلعه مادام يمكن منعه من الظلم فإن لم يمكن ذلك^(١٨٣) الا بازالته ففرض أن يقام كل ما يوصل به إلى دفع الظلم ، لقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان^(١٨٤) » وباللّٰه تعالى التوفيق .

(١٨٢) سقط من (أ) (صحة) .

(١٨٣) سقط من (أ) (ذلك) .

(١٨٤) سورة المائدة آية رقم ٢

الكلام فى وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

قال أبو محمد : اختلف المسلمون فىمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام . فذهب بعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، وجميع الشيعة ، إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين ، والفقهاء .

وذهبت الخوارج كلها ، وبعض أهل السنة ، وبعض المعتزلة ، وبعض المرجئة ، إلى أن أفضل الصحابة بعد رسول الله - ﷺ - أبو بكر ، ثم عمر . وروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ جعفر بن أبى طالب ، وبهذا قال أبو عاصم النبيل ، وهو الضحاك ابن مخلد^(١)، وعيسى بن حاضر^(٢) . قال عيسى : وبعد جعفر حمزة ، رضى الله عنه .

وروينا عن نحو عشرين من الصحابة أن أكرم الناس على رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام .

وروينا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ وثلاثة رجال لا يعد أحد^(٣) عليهم بفضل سعد بن معاذ^(٤) وأسيّد بن حُضَيْر^(٥) وعَبَّاد بن بَشْر^(٦) .

(١) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني البصرى المعروف بالبيل ، شيخ حفاظ الحديث فى عصره ، ولد بمكة ١٢٢ هـ ونحو إلى البصرة فسكنها وتوفى بها عام ٢١٢ هـ . (تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٥٠) .
(٢) لم نثر له على ترجمة .

(٣) سقط من (أ) كلمة (أحد) .

(٤) سعد بن معاذ : بن النعمان بن امرئ القيس ، الأوسى الأنصارى ، صحابى من الأبطال من أهل المدينة ، كانت له سيادة الأوس ، وحمل لواءهم يوم بدر ، وشهد أحدًا ، فكان ممن ثبت فيها ، ورعى بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه ودعن بالبيع عام ٩ هـ وحزن النبى - ﷺ - وفى الحديث : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . (طبقات بن سعد ج ٣ ص ٢) .

(٥) أسيّد بن حضير بن سماك بن عتيل الأوسى ، أبو يحيى ، صحابى ، كان شريفًا فى الجاهلية والإسلام ، مقدّمًا فى قبيلته الأوس ، من أهل المدينة يعد من عقلاء العرب وذوى رأى فىهم وكان يسمى الكامل ، شهد العقبة الثانية ، وكان أحد النقباء الاثنى عشر وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها وفى الحديث نعم الرجل أسيّد بن الحضير ، توفى بالمدينة عام ٢٠ وله ١٨ حديثًا . (طبقات بن سعد ج ٣ ص ١٣٥) .

(٦) عباد بن بشر بن وقش الأشهل الخزرجى الأنصارى : صحابى ، من أبطالهم أسلم فى المدينة ، وشهد المشاهد كلها ، وكان رسول الله - ﷺ - يعينه إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات) واستعمله على حرسه بنبوك استشهد يوم الجمامة عام ١٢ هـ . (طبقات بن سعد ج ٣ ص ١٧) .

وروينا عن أم سلمة^(٧) أم المؤمنين رضی الله عنها أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت :
ومن هو خير من أبي سلمة^(٨) أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ .

وروينا عن مسروق بن الأجدع^(٩) وتميم بن حزم^(١٠) وإبراهيم النخعي^(١١) وغيرهم أن أفضل
الناس بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود ، قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت أبا بكر
وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود .

وروينا عن بعض من أدرك النبي ﷺ : إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ عمر
بن الخطاب وأنه أفضل من أبي بكر رضی الله عنهما وبلغني عن محمد بن عبد الله الحاكم
النيسابوري^(١٢) أنه كان يذهب إلى هذا القول . قال داود بن علي الفقيه^(١٣) رضی الله عنه أفضل
الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ، ثم الأولون من
الأنصار ، ثم من بعدهم منهم ولا تقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من آخر من طبقته ، ولقد
رأينا من متقدمي أهل العلم ممن يذهب إلى هذا القول .

وقال لي يوسف بن عبد الله بن عبد البر التميمي^(١٤) غير ما مرّة إن هذا هو قوله ومعتقده .

(٧) أم سلمة : هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية من زوجات النبي ﷺ - تزوجها في السنة الرابعة للهجرة ، وكانت من أكمل النساء
عقلًا وخلقا وهي قديمة الإسلام هاجرت مع زوجها الأول أبي سلمة بن عبد الأسد إلى الحبشة وولدت له ابنه سلمة - تزوجها الرسول ﷺ -
بعد وفاة زوجها لما ٣٧٨ حديثًا وتوفيت عام ٦٢ هـ . (طبقات ابن سعد - ج ٨ ص ٦٧) .

(٨) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم المخزومي أحد السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة مع زوجته أم سلمة وعاد
إلى المدينة فاصيب بجراح ومات رحمه الله . (الإصابة ت ٥٥٩ ج ٤ ص ٩٣) .

(٩) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة ، تابعي ثقة من أهل اليمن قدم المدينة في أيام أبي بكر وسكن الكوفة ، وشهد
حروب على وكان أعلم بالفتيا من شريح ، وشريح أبصر منه بالقضاء توفي سنة ٦٣ هـ . (الإصابة ت ٨٤٠٨) .

(١٠) تميم بن حذلم الصبي أبو سلمة الكوفي من أصحاب ابن مسعود وادرك أبا بكر وعمر رضی الله عنهما ، روى عنه إبراهيم النخعي وسماك
ابن سلمة الصبي وغيرهم قال تميم بن حذلم قرأت القرآن على عبد الله بن مسعود وأنا غلام فمررت بسجدة فقال عبد الله انت امامنا فيها قال
ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وذكره ابن حبان في الثقات . (تهذيب التهذيب ج ١ ص ٥١٢) .

(١١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي من مذبح من أكابر التابعين صلاحًا وصدق رواية وحفظًا للحديث من أهل
الكوفة مات مختفيًا من الحجاج . قال فيه الصلاح الصفدي . فقيه العراق : كان إمامًا مجتهدًا له مذهب مات سنة ٩٦ هـ . (طبقات ابن سعد
ج ٦ ص ١٨٨ - ١٩٩) .

(١٢) داود بن علي الفقيه بن خلف الأصبهاني الملقب بالظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية وهو أصبهاني
الأصل من أهل قاشان ، ولد في الكوفة عام ٢٠١ هـ وسكن بغداد وله تصانيف كثيرة توفي في بغداد عام ٢٧٠ هـ . (وفیات الأعيان ج ١
ص ١٧٥) .

(١٣) وهذا الرأي الذي ارتآه داود بن علي هو ما عليه الجمهور ، ولعله قد نظر في هذا إلى قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين
والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضی الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم) (التوبة :
١٠٠) .

(١٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أبو عمر من كبار حفاظ الحديث ، يقال له حافظ المغرب ، ولد بقرطبة عام ٣٦٨ هـ وروى
قضاء لشبونة وتوفى بشاطبه عام ٤٦٣ هـ .

قال الفقيه^(١٥) أبو محمد رحمه الله : والذي نقول به وندين الله تعالى عليه ، ونقطع على أنه الحق عند الله عز وجل أن أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام نساء رسول الله ﷺ ثم أبو بكر رضي الله عنه ، ولا خلاف بين أحد من المسلمين في أن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، لقول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس^(١٦) » ..

وأن هذه قاضية على قوله تعالى لبنى إسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين^(١٧) وأنها مبينة لأن مراد الله تعالى من ذلك عالم الأمم حاشا هذه الأمة .

قال أبو محمد : ثم نقول وبالله تعالى التوفيق : إن الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فإنه طمس للمعاني ، وصد عن ادراك الصواب ، وتعرج عن الحق ، وإبعاد عن الفهم [وتخليط وعمى]^(١٨) فلنبداً بعون الله تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التي بها يستحق التفاضل وتفسيرها^(١٩) فإذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة ، فبالضرورة نعلم حينئذ أن من وجدت فيه هذه الصفات أكثر فهو أفضل بلا شك ، فنقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن الفضل ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما : فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل ، وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل .

فأما فضل الاختصاص دون عمل فإنه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان^(٢٠) غير الناطق والجمادات والأعراض كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الأنبياء في ابتداء خلقهم على سائر الجن والإنس ، وكفضل إبراهيم ابن النبي ﷺ على سائر الأطفال ، وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق .

وكفضل ذبيحة^(٢١) إبراهيم عليه السلام على سائر الذبائح .

(وكفضل مكة على سائر البلاد ، وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع ، وكفضل الحجر الأسود على سائر الحجارة ، وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور ، وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الأيام

(١٥) في (أ) : سقطت كلمة (الفقيه) .

(١٦) سورة آل عمران آية رقم ١١٠ .

(١٧) سورة البقرة آية رقم ٤٧ ، و ١٢٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث ذكر « فضلناكم » .

(١٨) سقط من (خ) (وتخليط وعمى) .

(١٩) سقط من (أ) (وتفسيرها) .

(٢٠) سقط من (أ) (والحيوان) .

(٢١) في (خ) : ابن رسول الله .

(٢٢) في (خ) : ذبح .

وكفضل ليلة القدر على سائر الليالي ، وكفضل صلاة الفرض على النافلة ، وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات ، وكفضل السجود على القعود ، وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرى بلا عمل .

فأما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة إلا للحي الناطق من الملائكة ، والإنس ، والجن فقط ، وهذا هو القسم الذي تنازع الناس فيه في هذا الباب الذي نتكلم فيه الآن من أحق به فوجب أن ننظر أيضا في أقسام هذا القسم التي بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله تعالى وقوته ، ثم ننظر حيثئذ من هو أحق به وأسعد^(٢٣) بالبسوق فيه ، فيكون بلا شك أفضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك . وبالله تعالى التوفيق .

فنقول وبالله تعالى نستعين :

إن العامل يفضل العامل في عملهما بسبعة أوجه لا ثامن لها :

وهي المائة : وهي عين العمل وذاته ، والكمية : وهي العرض في العمل والكيفية^(٢٤) ، والكم ، والزمان ، والمكان ، والإضافة ، فأما المائة فهي أن تكون الفروض من أعمال أحدهما موفاة كلها ويكون الآخر يضيع بعض فروضه^(٢٥) وله نوافل ، أو يكون كلاهما يوفى جميع فرضه ، ويعملان نوافل زائدة إلا أن نوافل أحدهما أفضل من نوافل الآخر ، كأن يكون أحدهما يكثر الذكر في الصلاة ، والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه ، وما أشبه هذا ، وكإنسانين قاتل أحدهما في المعركة ، والموضع المخوف ، وقاتل الآخر في الرد . أو جاهد أحدهما واشتغل الآخر بصيام ، وصلاة تطوع . أو يجتهدان فيصادف أحدهما الحق^(٢٦) ويجرمه الآخر فيفضل أحدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله ، أو بأن ذات عمله أفضل من ذات عمل الآخر ، فهذا هو التفاضل في المائة من العمل^(٢٧) .

وأما الكمية : وهي العرض فأن يكون أحدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ، ويكون الآخر يساويه في جميع عمله ، إلا أنه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر في الدنيا ، وأن يستدفع بذلك الأذى عن نفسه ، وربما مزجه بشيء من الرياء ففضله الأول بعرضه في عمله ، وأما الكيفية فأن يكون أحدهما يوفى عمله جميع حقوقه . ورتبه لا منتقصا ولا متزايدا ويكون الآخر

(٢٣) في (ح) : (من هو احظى به) .

(٢٤) في (خ) : (الكيف) .

(٢٥) في (ح) : (الفرض) .

(٢٦) سقط من (أ) (الحق) .

(٢٧) في (خ) : (في العمل) .

ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه ، وإن لم يعطل منه فرضاً أو يكون أحدهما يصفى عمله من الكبائر ، وربما أتى الآخر ببعض الكبائر ففضله الآخر بكيفية عمله .

وأما الكم : فأن يستويا في أداء الفرض ، ويكون أحدهما أكثر نوافل فضله هذا بكثرة عدد نوافله ، كما روى في رجلين أسلما وهاجرا أيام رسول الله ﷺ ثم استشهد أحدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبي ﷺ أحدهما في النوم وهو آخرهما موتاً في أفضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال عليه السلام « كلاما معناه فأين صلاته وصيامه بعده »^(٢٨) .

ففضل أحدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد أعماله . وأما الزمان فكمن عمل في صدر الإسلام أو في عام الجماعة ، أو في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الإسلام ، وفي زمن رخاء وأمن ، فإن الكلمة في أول الإسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الأزمان الطوال ، وجهادها ، وبذل الأموال الجسام بعد ذلك ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « دَعُوا لِي أَصْحَابِي فَلَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ، فَأَنْفَقَهُ مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ »^(٢٩) .

فكان نصف مد شعير أو تمر في ذلك الوقت أفضل من جبل أحد ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك ، قال الله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى »^(٣٠) .

قال أبو محمد : هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضى الله عنهم أجمعين .

قال أبو محمد : وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي ، وقول محمد بن الطيب الباقلاني ، فإن الجبائي قال : جائز إن طال عمر امرئ أن يعمل ما يوازي عمل نبي من الأنبياء . وقال الباقلاني : جائز أن يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حين^(٣١) بعث بالنبوة إلى أن مات .

(٢٨) لم نعثر على هذا الحديث .

(٢٩) الحديث رواه البخارى ٧ ، ٢٧ ، ٢٨ في فضائل الصحابة ، ومسلم رقم ٢٥٤١ في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة - رضى الله عنهم ، وأبو داود رقم ٤٦٥٨ ، في السنة باب النهي عن سب أصحاب النبي - ﷺ - والترمذى رقم ٣٨٦٠ في المآقب ، ولفظه عند مسلم : لا تسبوا أصحابي ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .

(٣٠) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٣١) في (أ) : (حيث) .

قال أبو محمد : وهذا كفر مجرد وردة صحيحة^(٣٢) وخروج عن دين الإسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله ﷺ في إخباره ، إنا لا ندرك أحدًا من أصحابه وفي إخباره عليه السلام عن أصحابه رضی الله عنهم بأنه ليس مثلهم ، وأنه أتقاهم الله وأعلمهم بما يأتي وما يذر ، وكذلك أيضًا^(٣٣) قالت الخوارج والشيعة فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وجميع الصحابة رضی الله عنهم حاشا عليًا ، والحسن ، والحسين ، وعمار بن ياسر^(٣٤) ، والخوارج يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل وكلاب النار على عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وكذلك القليل من الجهاد والصدقة في زمان الشدائد أفضل من كثيرهما في وقت القوة والسعة ، وكذلك صدقة المرء بدرهم في زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكبير يتصدق به في عرض غناه ، وفي وصيته بعد موته ، وقد صح عن رسول الله ﷺ سبق درهم مائة ألف ، وهو إنسان كان له درهمان تصدق بأحدهما ، والآخر عمد إلى عرض ماله فتصدق منه بمائة ألف ، وكذلك صبر المرء على أداء الفرائض في حال خوفه ، ومرضه ، وقليل تنفله في زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله في زمان صحته وأمنه ، ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير في زمان آخر أجله هو أفضل ممن خلط في زمان آخر أجله ، وأما المكان فكصلاة في المسجد الحرام [ومسجد المدينة فهما أفضل من ألف صلاة فيما عداهما ، وتفضل الصلاة في المسجد الحرام]^(٣٥) على صلاة في مسجد رسول الله ﷺ بمائة درجة ، وكصيام في بلد العدو ، وفي الجهاد على صيام في غير الجهاد ففضل من عمل في المكان الفاضل غيره ممن عمل في غير ذلك المكان بمكان عمله ، وإن تساوى العملان .

وأما الإضافة فركعة من نبي أو ركعة مع نبي أو صدقة من نبي أو صدقة معه أو ذكر منه أو ذكر معه وسائر أعمال البر منه أو معه فقليل ذلك معه^(٣٦) أفضل من كثير الأعمال بعده ، ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل^(٣٧) » .

(٣٢) سقط من (أ) كلمة : (صحيحه) .

(٣٣) في (أ) : سقطت كلمة (أيضا) .

(٣٤) عمار بن ياسر بن عامر الكنانى صحابى وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهير به ، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والحنديق ، وبيعه الرضوان ولاء عمر الكوفة ، وشهد الجمل وصفين مع على وقتل في الثانية سنة ٣٧ هـ له ٦٢ حديثًا . (الاصابة ت ٥٧٠٦) .

(٣٥) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٦) سقط من (أ) كلمة (معه) .

(٣٧) سورة الحديد آية رقم ١٠

وأخباره عليه السلام أن أحدنا لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ نصف مد من أحد من الصحابة رضى الله عنهم [فهذا فضل الصحابة]^(٣٨) رضى الله عنهم من جاء بعدهم

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على أن كل عمل عمله الصحابة^(٣٩) أنفسهم بعد موت النبي ﷺ لا يوازي شيئاً من البر عمله ذلك الصحاب بنفسه مع النبي ﷺ ، ولا ما عمله غير ذلك الصحاب بعد النبي ﷺ ، ولو كان غير ما نقول لجاز أن يكون أنس ، وأبو أمامة الباهلي^(٤٠) ، وعبد الله بن أبي أوفى^(٤١) ، وعبد الله بن بسر^(٤٢) ، وعبد الله بن الحارث بن جزء^(٤٣) ، وسهل بن سعد الساعدي^(٤٤) ، رضى الله عنهم أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي^(٤٥) وأبى عبيدة وزيد ابن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون ، وسائر السابقين ، من المهاجرين ، والأنصار المتقدمين ، رضى الله عنهم أجمعين ، لأن بعض أولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت أولئك ، بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فما بين ذلك إلى خمسين عاما وهذا ما لا يقوله أحد يعتد به .

قال أبو محمد : وبهذا قطعنا على^(٤٦) أن من كان من الصحابة حين موت رسول الله ﷺ أفضل من آخر منهم فإن ذلك المفضل لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ أبداً .

وإن طال عمر المفضل وتعجل موت الفاضل .

وبهذا أيضاً لم نقطع على فضل أحد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبي ﷺ على^(٤٧) من مات منهم في حياة النبي ﷺ بل نقف في هؤلاء على ما نبينه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(٣٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٣٩) سقط من (أ) كلمة (الصحابة) .

(٤٠) أبو أمامة الباهلي : هو : صدى بن عجلان بن وهب الباهلي صحابي كان مع علي في معركة « صفين » وسكن الشام فتوفى في حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً . (تهذيب التهذيب ح ٤ ص ٤٢٠) .

(٤١) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي اسيد بن رفاعة بن ثعلبة ، شهد بيعة الرضوان ، وروى عن النبي ﷺ - وعنه إبراهيم بن عبد الرحمن ، وإبراهيم بن مسلم الهجري وإسماعيل بن أبي خالد وغيرهم ، قال يحيى بن بكير وغيره مات سنة ٨٦ هـ . (تهذيب التهذيب ح ٥ ص ١٥٢) .

(٤٢) عبد الله بن بسر المازني ، أبو صفوان ويقال أبو بسر ، من بني مازن بن منصور ، صحابي ، كان ممن صلى القبلتين ، توفى بحمص عن ٩٥ عاماً وهو آخر الصحابة موتاً بالشام له ٥٠ حديثاً . (الاصابة ت ٤٥٥٥) .

(٤٣) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدى كرب بن عمرو أبو الحارث نزيل مصر له صحبة ، روى عن النبي ﷺ - وعنه عبيد الله بن المغيرة ، وسليمان بن زياد الحضرمي وغيرهم قال ابن يونس توفى سنة ٨٦ هـ وكان قد عمى وقال غيره سنة خمس وثمانين . وهو آخر من مات بمصر من الصحابة . (تهذيب التهذيب ح ٥ ص ١٧٨) .

(٤٤) سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري من بني ساعدة ، صحابي من مشاهيرهم ، من أهل المدينة ، عاش نحو مائة سنة له في كتب الأحاديث ١٨٨ حديثاً توفى سنة ٩١ هـ . (الاصابة ت ٣٥٢٦) .

(٤٥) سقط من (أ) كلمة (وعلى) .

(٤٦) سقط من (أ) (على) .

(٤٧) في (أ) : سقط (على) .

قال أبو محمد : فهذه وجوه الفضائل بالأعمال^(٤٨) التي لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ، ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل أيضا لا ثالث لهما البتة .

أحدهما : إيجاب الله تعالى تعظيم الفاضل في الدنيا على المفضول ، فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل أو باختصاص مجرد بلا عمل من عرض أو جماد ، أو حتى ناطق أو غير ناطق ، قد أمرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ، ويوم الجمعة والأشهر الحرم^(٤٩) ، وشهر رمضان ، وناقاة صالح ، وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ وذكر الله تعالى والملائكة والنبين على جميعهم صلوات الله وسلامه ، والصحابة أكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ما ذكرنا ، ومن ذكرنا من المواضع والأيام والنوق والأطفال والكلام والناس ، هذا ما لا شك فيه وهذه خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل أصلا ولا يكون البتة إلا الفاضل .

والوجه الثاني هو إيجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول ، إذ لا يجوز عند أحد من خلق الله تعالى كلهم أن يأمر بإجلال المفضول أكثر من اجلال الفاضل ، ولا أن يكون المفضول أعلى درجة في^(٥٠) الجنة من الفاضل ، ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ، ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته ، وهذا الوجه الثاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة كل فاضل بعمل فقط من الملائكة ، والإنس ، والجن . وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : فكل مأمور بتعظيمه فاضل ، وكل فاضل فمأمور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض في الأبوين الكافرين من التعظيم في شيء ، فقد يحسن المرء إلى من لا يعظم ولا يهين كاحسان المرء إلى جاره ، وغلامه ، وأجيريه ، ولا يكون ذلك تعظيما ، وقد يبر الإنسان جاره والشيخ من أسرته ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يوقر الإنسان من يخاف ضره ، ولا يسمى ذلك تعظيما ، وقد يتذلل المرء^(٥١) للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما ، وفرض على كل مسلم البراءة من أبويه الكافرين ، وعداوتهما في الله عز وجل . قال الله عز وجل : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه^(٥٢) .

وقال عز وجل : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء

(٤٨) في (أ) : سقطت كلمة (الأعمال) .

(٤٩) في (أ) : (الشهر الحرام) .

(٥٠) في (خ) : سقطت (في) .

(٥١) في (أ) : الإنسان .

(٥٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده^(٥٣) .

وقال عز وجل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم^(٥٤) » .

فقد صح بيقين^(٥٥) أن ما وجب للأبوين الكافرين من بر وإحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل [لأن التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل]^(٥٦) هو مودة في الله ومحبة فيه وولاية له ، وأما البر الواجب للأبوين الكافرين ، والتذلل لهما ، والاحسان إليهما ، فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه ، واسقاط المودة كما قال الله تعالى في نص القرآن وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وقد يكون دخول الجنة اختصاصاً مجرداً دون عمل وذلك للأطفال كما ذكرنا قبل فإذا قد صح ما ذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من أحد في شيء منه فبيقين ندرى أنه لا تعظيم يستحقه أحد من الناس في الدنيا بإيجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للأنبياء عليهم السلام أوجب ولاؤكد مما أزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبي ﷺ بقول الله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم^(٥٧) » فأوجب الله لمن حكم الأمومة على كل مسلم هذا سوى حق إعظامهن بالصحبة لرسول^(٥٨) الله ﷺ فلهن رضى الله تعالى عنهن مع ذلك^(٥٩) حق الصحبة له كسائر الصحابة ، إلا أن هن من الاختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ، ولطيف المنزلة عنده عليه السلام ، والقرب منه والحظوة لديه ، ما ليس لأحد من الصحابة رضى الله عنهم ، فهن أعلى درجة في الصحبة من جميع الصحابة ، ثم فضل سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومة الواجبة لمن كلهن بنص القرآن ، فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركهم فيه وفضلهم فيه أيضا ، ثم فضلهم بحق زائد وهو حق الأمومية ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة رضى الله عنهم إلا [ولهن في ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة]^(٦٠) فقد

(٥٣) سورة المتحنة آية رقم ٤

(٥٤) سورة التوبة آية رقم ١١٤

(٥٥) في (خ) : (يقينا) .

(٥٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٥٧) سورة الأحزاب آية رقم ٦

(٥٨) في (أ) : مع رسول الله .

(٥٩) في (خ) : سقطت (مع ذلك) .

(٦٠) سقط من (أ) [ولهن في ذلك مثل ما لغيرهم من الصحابة] .

كن يجهدن أنفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ، ويشهدن الجهاد معه عليه السلام ، وفي هذا كفاية بينة في أنهن أفضل من كل صاحب ، ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن إذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الآخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، فهن أزواجه في الآخرة بيقين فاذا^(٦١) هن كذلك فهن معه ﷺ بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره ، إذ لا يمكن البتة أن يحال بينه وبينهن في الجنة ولا أن ينحط عليه السلام إلى درجة يسفل فيها عن أحد من الصحابة ، هذا ما لا يظنه مسلم ، فاذا لا شك في حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والإجماع علمنا أنهن لم يؤتَيْن ذلك اختصاصا مجردا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، إذ أمره الله عز وجل أن يخيرهن [فقد حصل لهن أفضل الاختصاص أولا بأن يخيرهن]^(٦٢) الله عز وجل لنبية ﷺ وهو أفضل الناس ثم قد حصل لهن أفضل الأعمال من جميع الوجوه السبعة التي قدمنا آنفا والتي^(٦٣) لا يكون التفاضل إلا بها في الأعمال خاصة ، ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصل لهن أرفع الدرجات في الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل إلا ولهن فيه أعلى^(٦٤) الحظوظ كلها بلا شك ، ومارية أم إبراهيم داخلة معهن في ذلك لأنها معه عليه السلام في الجنة ، ومع ابنها منه بلا شك ، فاذا قد ثبت كل ذلك على رغم الآبي فقد وجب ضرورة أن يشهد لهن كلهن بأنهن أفضل من جميع الخلق كله بعد الملائكة ، والنبين عليهم السلام .

فكيف ومعنا نص من النبي ﷺ كما حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ، ثنا محمد بن أحمد بن مفرح ، ثنا محمد بن أيوب الرق الصموت ، ثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البراز ، ثنا أحمد بن عمر ، وحدثنا المعتمر بن سليمان اليتمي ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس ابن مالك قال : قيل يا رسول الله : مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ . قَالَ مِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : فَأَبُوهَا إِذْنٌ^(٦٥) .

حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامي ، قال : حدثنا أحمد بن فتح ، حدثنا عبد الوهاب ابن قيس ، حدثنا أحمد بن محمد الأشقر ، حدثنا أحمد بن علي القلانسي ، ثنا مسلم ابن الحجاج ، ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان ، عن خالد الحذاء ، عن

(٦١) في (خ) : فما ومن ذلك .

(٦٢) في (أ) : سقط ما بين القوسين .

(٦٣) في (أ) : (أنه) .

(٦٤) في (أ) : (أول) .

(٦٥) الحديث أخرجه الترمذی فی المناقب ، باب مناقب عائشة - رضی الله عنها - وهو حديث صحيح ولفظه عند الترمذی : قيل

يا رسول الله من أحب الناس إليك ؟ قال عائشة ، قيل من الرجال ؟ قال : أبوها .

أبى عُمَآنَ التَّهْدِيَّ ، قال أخبرني عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه إلى جيش ذاتِ السَّلَاسِلِ قال فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ فقال : عائشة قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : عمر . فعد رجالا .

فهذان عدلان أنس ، وعمرو ، يشهدان أن رسول الله ﷺ أخبر بأن عائشة أحب الناس إليه ثم أبوها ، وقد قال الله عز وجل عنه عليه السلام « وما ينطق عن الهوى » إن هو إلا وحى يوحى^(٦٦) .

فصح أن كلامه عليه السلام بأنها أحب الناس إليه وحى أوحاه الله تعالى إليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ، ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقدم فيه على جميع الناس الموجب لأن يحبها رسول الله ﷺ أكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله ﷺ على أبيها ، وعلى عمر ، وعلى علي وفاطمة ، رضى الله عن جميعهم تفضيلا ظاهرا بلا شك .

فإن قال قائل : نقل أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم أجمعين لكونه مع أبيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة ، قلنا له : وبالله تعالى التوفيق

إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، لم يستحق تلك المنزلة بعمل كان منه ، وإنما هو اختصاص مجرد ، وإنما تقع المفاضلة بين الفاضلين إذا كان فضلها واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه ، وأما إذا كان الفضل من وجهين إثنين فلا سبيل إلى المفاضلة بينهما لأن معنى قول القائل : أى هذين أفضل ؟ إنما هو أى هذين أكثر أوصافا في الباب الذى اشتركا فيه ؟ ألا ترى أنه لا يقال : أيهما أفضل : رمضان ، أو ناقة صالح ؟ ولا أيهما أفضل : الكعبة أو الصلاة ؟ بل نقول أيهما أفضل مكة أو المدينة ؟ وأيهما أفضل رمضان أو ذو الحجة ؟ وأيهما أفضل الزكاة أم الصلاة ؟ وأيهما أفضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الأنبياء ؟ فقد صح أن التفاضل إنما يكون في وجه اشترك فيه المستول عنهما فسبق أحدهما فيه ، فاستحق أن يكون أفضل ، وفضل إبراهيم ليس على عمل أصلا ، وإنما هو اختصاص مجرد وإكرام لأبيه ﷺ ، وأما نساؤه عليه السلام [فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام]^(٦٧) في الجنة إنما هو جزاء هن ولهن على أعمالهن وأعمالهم ، قال الله تعالى : « جزاء بما كانوا يعملون »^(٦٨) .

(٦٦) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٦٧) سقط من (خ) ما بين القوسين .

(٦٨) سورة الأحقاف آية رقم ١٤

وقال بعد ذكر الصحابة : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما^(٦٩) » .

وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجراها مرتين^(٧٠) » وهذا نص قولنا والله الحمد .

وقال تعالى : « وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون^(٧١) » .

وقال تعالى : « غرف من فوقها غرف مبنية^(٧٢) » .

وقال تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى^(٧٣) » .

فإن قال قائل : فكيف تقولون في قوله عليه السلام : ؟ « لَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ قِيلَ : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ^(٧٤) » قلنا : نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة .

وهكذا نقول إنه لو عمل الإنسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لأنه لا يجب على الله تعالى شيء إذ لا موجب للأشياء الواجبة غيره تعالى لأنه المبتدى لكل ما في العالم والخالق له فلولا أن الله تعالى رحم عباده فحكم بأن طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله مجردا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي أطاعوه بها ، فاتفقت الآيات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فإذا لا شك في هذا كله فقد امتنع يقيناً أن يجازى بالأفضل من كان أنقصَ فضلاً ، وأن يجازى بالأنقص من كان أتم فضلاً ، وصح ضرورة أنه لا يجزى أحد من أهل الأعمال في الجنة إلا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على أعماله [وأما من لم تكن الجنة له جزاء

(٦٩) سورة الفتح آية رقم ٢٩

(٧٠) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

(٧١) سورة الزخرف آية رقم ٧٢ وقد جاءت هذه الآية محرفة في (أ) : وفي (خ) : في لم يذكر (الواو) وفي (أ) : لم يذكر (التي) .

(٧٢) سورة الزمر آية رقم ٢٠

(٧٣) سورة النجم آية رقم ٤١

(٧٤) الحديث رواه البخاري في الرقاق ١٨ ، والمرض ١٩ ، ورواه مسلم في المناقير ٧١ - ٧٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٨ وابن ماجه في الزهد ٢٠ وأحمد بن حنبل في المسند ح ٢ ص ٢٣٥ ولفظه عند ابن ماجه : قال رسول الله - ﷺ - قاربوا وسددوا ، فإنه ليس أحد منكم بمنجيته عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل .

على عمله [٧٥] فله تعالى أن يتفضل على من شاء بما شاء وجائز أن يقدم على ذوى الأعمال الرفيعة .

قال تعالى : « يختص برحمته من يشاء » (٧٦) .

وقال تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » (٧٧) .

فلا يجوز خلاف هذه النصوص لأحد ، من خالفها كذب القرآن ، ولولا هذه النصوص لما أبعدنا أن يعذب الله تعالى على الطاعة له ، وأن ينعم على معصيته ، وأن يجازى الأفاضل بالأنقص ، والأنقص بالأفضل ، لأن كل شيء ملكه وخلقه ، لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ، ولا حق لأحد عليه ، لكن قد أمتنا ذلك كله بأخبار الله تعالى أنه لا يجازى ذا عمل إلا بعمله ، وأنه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

فلو قال قائل أيما أفضل في الجنة وأعلى قدرًا مكان إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أو مكان أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ؟ قلنا : مكان إبراهيم أعلى بلا شك ، ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لإبراهيم المذكور ، لم يستحقه بعمل ولا استحق أيضا أن يقصر به عنه ، ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه ﷺ مكانهن جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن ، فلا يقال إن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أفضل من أبى بكر أو عمر ، ولا يقال أيضا إن أبى بكر وعمر أفضل من إبراهيم ، والمفاضلة واقعة بين الصحابة ، وبين نساء رسول الله ﷺ لأن أعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلا شك .

فإن قال قائل : إنهم لولا رسول الله ﷺ ما حصلن تلك الدرجة ، وإنما تلك الدرجة له عليه السلام .

قلنا : وبالله تعالى التوفيق .

نعم ولا شك أيضا في أن جميع الصحابة لولا رسول الله ﷺ ما حصلوا أيضا على الدرج التى لهم فيها ، فإنما هى إذا على قولكم لرسول الله ﷺ كما قلتم ولا فرق ، وبقي الفضل والتقدم لمن كما كان فى كل ذلك ولا فرق .

قال أبو محمد : وأما فضلهن على بنات النبی ﷺ فبين بنص القرآن لا شك (٧٨) فيه . قال الله عز وجل : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول (٧٩) فهذا بيان

(٧٥) فى (أ) : سقط ما بين القوسين .

(٧٦) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ وآل عمران آية رقم ٧٤

(٧٧) سورة الحديد آية رقم ٢١

(٧٨) فى (خ) : (لا إشكال) .

(٧٩) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢

قاطع لا يسع أحدا جهله فإن عارضنا معارض بقول رسول الله ﷺ : « خَيْرُ نِسَائِهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ^(٨٠) » .

قلنا له وبالله تعالى التوفيق : في هذا الحديث بيان جلي لما قلنا وهو أنه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة ، وإنما قال : خير نسائها فخص ولم يعم ، وتفضيل الله عز وجل لنساء النبي ﷺ على النساء عموم لا خصوص ، لا يجوز أن يستثنى منه أحد إلا من استثناه نص آخر ، فصح أنه عليه السلام إنما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه ﷺ فاتفتت الآية مع الحديث .

وقال رسول الله ﷺ : « فَضَّلْتُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضَّلْتُ الشَّرِيدَ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ ^(٨١) » فهذا أيضا عموم موافق الآية ، ووجب أن يستثنى ما خصه ﷺ بقوله : نسائها من هذا العموم فصح أن نساءه عليه السلام أفضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كأما اسحاق ، وأم موسى ، وأم عيسى ، عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ^(٨٢) » ولا خلاف بين المسلمين في أن جميع الأنبياء كل نبي منهم أفضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ، ومن خالف هذا فقد كفر كذلك أخبر عليه السلام فاطمة أنها سيدة نساء المؤمنين ، ولم يدخل نفسه ﷺ في هذه الجملة بل أخبر عن سواه ، وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطبا لمن : « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ^(٨٣) » .

قال أبو محمد : فهذا فضل ظاهر وبيان لائح في إنهن أفضل من جميع الصحابة رضي الله عنهم ، وصح ^(٨٤) بهذه الآية صحة متيقنة لا يمتري فيها مسلم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وفاطمة ، وسائر الصحابة رضي الله عنهم إذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارا ما من الأجر ، وعملت امرأة من نساء النبي ﷺ مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الأجر ، فإذا كان نصيب ^(٨٥) الصحابي وفاطمة رضي الله عنهم يفى بأكثر من مثل جبل أحد

(٨٠) الحديث رواه الترمذى رقم ٣٨٨٨ في المناقب باب مناقب خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها ورواه أيضا أحمد في المسند وابن حبان رقم ٢٢٢٢ والحاكم ١٥٧/٣ وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب ولفظه عند الترمذى : حسك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد - ﷺ ، وآسية امرأة فرعون .

(٨١) الحديث أخرجه البخارى ٧٣/٧ في فضائل أصحاب النبي - ﷺ : باب فضل عائشة ، ومسلم رقم ٢٤٤٦ في فضائل الصحابة باب فضل عائشة ، والترمذى رقم ٣٨٨١ في المناقب باب مناقب عائشة رضي الله عنها ولفظه عند البخارى : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

(٨٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٢ ، ٤٣

(٨٣) سورة الأحراب آية رقم ٣١

(٨٤) سقط من (أ) كلمة (وصح) .

(٨٥) في (أ) : و (ح) نصيف وهو تحريف .

ذهبا ممن بعدهم كان للمرأة من نسائه عليه السلام في نصيفها أكثر من مثلي جبلين إثنين ، مثل جبل أحد ذهبًا ، وهذه فضيلة ليست لأحد بعد الأنبياء عليهم السلام إلا هن ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه يُوعَكُ كَوَعَكِ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ لِأَنَّ لَهُ عَلَى ذَلِكَ كِفْلَيْنِ مِنَ الْأَجْرِ^(٨٦) .

[قال أبو محمد : وليس بعد هذا في بيان فضلهن على كل أحد من الصحابة ، منكر^(٨٧) إلا من أعمى الله قلبه عن الحق ، ونعوذ بالله من الخذلان]^(٨٨) .

قال أبو محمد : وقد اعترض علينا بعض أصحابنا في هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب إذ آمنوا : أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا^(٨٩) قال فيلزم أنهم أفضل منا فقلت له إن هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . فذكر مؤمن أهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق أمته^(٩٠) ثم يتزوجها .

فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الإيمان بالنبي ﷺ وبالنبي الأول المبعوث بالكتاب الأول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم في ذينك الإيمانين ، وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده أجرًا ولطاعة الله أجرًا ثانيًا^(٩١) ، وكذلك معتق أمته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه أجرًا ثم على نكاحه إذا أراد به وجه الله تعالى أجرًا ثانيًا ، فصح بالنص يقينا أن هؤلاء إنما يؤتون أجرهم مرتين في خاص من أعمالهم لا في جميع أعمالهم وليس في هذا ما يمنع من أن يؤجر غيرهم في غير هذه الأعمال أكثر من أجور هؤلاء ، وأيضا فإنما يضاعف هؤلاء على ما عمله أهل طبقتهم وليست المضاعفة لأجور نساء النبي ﷺ مرتين من هذا في ورد ولا صدر لأن المضاعفة لمن إنما هي في كل عمل عملته بنص القرآن إذ يقول تعالى « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين^(٩٢) » فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه أجر ، فلكل امرأة منهن في مثل ذلك العمل أجران ، والمضاعفة لمن إنما تكون على ما عمله طبقتهم من الصحابة ، وقد علمنا أن بين عمل صاحب وعمل غيره أعظم مما بين أحد ذهباً ونصف مد شعير فيقع لكل واحدة منهن مثل ذلك مرتين ، وهذا لا يخفى على ذى حس سليم ، فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين .

(٨٦) الحديث رواه البخارى في المرض ٣ ، ١٣ ، ١٦ ورواه مسلم في البر ٤٥ والدارمي في الرقاق ٥٧ وأحمد بن حنبل ح ١ ص ٣٨١ ولفظه عند مسلم عن عبد الله قال : دخلت على رسول الله - ﷺ وهو يوعك فمستته يدي فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً فقال رسول الله - ﷺ أجل إلى أوعك كما يوعك رجلا منكم .

(٨٧) في (خ) : مؤمن ولا يستقيم المعنى بوحودها ولعل الأنسب « منكر » .

(٨٨) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٨٩) سورة القصص آية رقم ٥٤

(٩٠) في (خ) : (أمة) .

(٩١) سقط من (أ) (ثانيًا) .

(٩٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣١

قال أبو محمد : واعترض علينا أيضا بعض الناس في الحديث الذى فيه أن عائشة أحب الناس إليه ، ومن الرجال أبوها بأن قال قد صح عن النبي ﷺ أنه قال لأسماء بن زيد : « إِنَّ أَبَاكَ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ »^(٩٣) و صح أنه عليه السلام قال للأَنْصار إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ^(٩٤) .

قال أبو محمد : وأما هذا اللفظ الذى في حديث أسامة بن زيد إنه أحب الناس إليه عليه السلام ، فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة ، عن سالم عن أبيه ، وأما الذى فيه ذكر أسامة وزيد رضى الله عنهما فإنما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن أبيه وعمر ابن حمزة هذا ضعيف ، والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ ، عن ابْنِ عُمَرَ عن النبي ﷺ باسناد لا مغزى فيه فذكر فيه أنه عليه السلام قال يعنى زيد بن حارثة وأبى الله إن كَانَ لَخَلِيقًا لِلْأُمِّرَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ^(٩٥) . وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه لأنه مختصر من حديث عبد الله ابن دينار ، وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن أنس ، وعمرو ، وإلا فليس أحدهما أولى من الآخر .

وأما حديث الأنصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد ، عن أنس ورواه عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ^(٩٦) .

وهو حديث واحد ، وزيادة العدل مقبولة ، فصح بزيادة من في الحديث من طريق العدول أن الأنصار وزيدا وأسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ، وهذا حق لا يشك فيه ، لأنهم من أصحابه ، وأصحابه أحب الناس إليه بلا شك ، وليس هكذا جوابه في عائشة رضى الله عنها إذ سئل من أحب الناس إليك ؟ فقال : عائشة . فقليل من الرجال ؟ قال : أبوها ، لأن هذا قطع على بيان ما سأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام .

واعترض أيضا علينا بعض الأشعرية بأن قال : إن الله تعالى يقول : « إِنَّكَ لَا تَهْدَى مِنْ

(٩٣) حديث أسامة رواه البخارى ومسلم .

(٩٤) الحديث رواه البخارى ٨٧/٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب قول النبي ﷺ - للأَنْصار : أنتم أحب الناس إلى ، وفي النكاح ورواه مسلم رقم ٢٥٠٨ في فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار - رضى الله عنهم ولفظه عند البخارى : والذى نفسى بيده : إنكم لأحب الناس إلى مرتين وفي رواية ثلاث مرات .

(٩٥) الحديث رواه البخارى ٦٩/٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب مناقب زيد بن حارثة ، وفي المغازى باب غزوة زيد بن حارثة ومسلم رقم ٢٤٢٦ في فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد - رضى الله عنهما والترمذى رقم ٢٨١٩ في المناقب باب مناقب أسامة بن زيد ولفظه عند البخارى إن تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في اماره أبيه من قبل ، وأبى الله إن كان لَخَلِيقًا لِلْأُمِّرَةِ وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده .
(٩٦) سبق تخرىج هذا الحديث ص ٣٣٠ .

أحببت ولكن الله يهدي من يشاء^(٩٧)» فصحح أن محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا ، لأنه قد أحب عمه وهو كافر !

قال أبو محمد : فقلنا إن هذه الآية ليست على ما ظن وإنما مراد الله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت أى أحببت هداه .

برهان ذلك قوله تعالى : « ولكن الله يهدي من يشاء » .

أى من يشاء هداه وفرض على النبي ﷺ وعلينا أن نحج الهدى لكل كافر ، لا أن نحج الكافر ، وأيضا : فلو صح أن معنى الآية من أحببته كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لأن هذه آية مكية نزلت في أبى طالب ثم أنزل الله تعالى في المدينة : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم^(٩٨)» وأنزل الله تعالى في المدينة « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده^(٩٩)» .

وإن كان رسول الله ﷺ أحب أبا طالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته ، وافترض عليه عداوته ، وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم أن العداوة والمحبة لا يجتمعان أصلا .

والمودة : هى المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن ، بلا خلاف من أحد من أهل اللغة . فقد بطل أن يحب النبي ﷺ أحدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على أن محبة الرسول ﷺ لمن أحب فضيلة وكذلك كقوله عليه السلام لعلى : « لأَعْطِينَ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١٠٠)» فإذا لا شك ولا خلاف فى أن محبة رسول الله ﷺ بخلاف ما قال أهل الجهل والكذب . فقد صح يقينا أن كل من كان أتم حظا فى الفضيلة فهو أفضل ممن هو أقل فى تلك الفضيلة هذا شىء يعلم ضرورة .

فإذا كانت عائشة أتم حظا فى المحبة التى هى أتم فضيلة فهى أفضل ممن حظه فى ذلك أقل من حظها ، وكذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال أبوها ، ثم عمر ، فكان ذلك موجبا

(٩٧) سورة القصص آية رقم ٥٦

(٩٨) سورة المجادلة آية رقم ٢٢

(٩٩) سورة الممتحنة آية رقم ٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة فى (خ) حيث قال (كان) وفى (أ) محرفة بزيادة (ل) فى قد وفى (ح)

أيضا . (١٠٠) الحديث رواه البخارى ٥٧/٧ و ٥٨ فى فضائل أصحاب النبي - ﷺ باب مناقب على من أبى طالب - رضى الله عنه ، وفى الجهاد باب دعاء السى - ﷺ إلى الإسلام والنبوة ومسلم رقم ٢٤٠٦ فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب - رضى الله عنه .

لفضل أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضي الله عنهم ، فالحكم بالباطل لا يجوز في أن يكون يقدم أبو بكر ، ثم عمر في الفضل من أجل تقدمهما في المحبة عليهما ، وما نعلم نصا في وجوب القول بتقديم أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة إلا هذا الخبر وحده .

قال أبو محمد : وقد نص النبي ﷺ على ما ينكح له النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين^(١٠١) ونهى ﷺ عن كل ذلك بقوله « فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ^(١٠٢) » .

فمن المحال الممتنع أن يكون عليه السلام يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام^(١٠٣) .

لا يحل لمسلم أن يظن في ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى في الدين ، فوصف الرجل امرأته للرجال^(١٠٤) لا يرضى به إلا خسيس نذل ساقط ولا يحل لمن له أدنى مسكة من عقل أن يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس ، المطهر ، البائن فضله على جميع الناس ، ﷺ .

قال أبو محمد : ولولا أنه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من أهل^(١٠٥) زماننا وهو المهلب بن أبي صفرة^(١٠٦) التميمي ، صاحب عبد الله بن إبراهيم الأصيل ، أنه أشار إلى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالائمان إليه لسان ، ولكن المنكر إذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضا على حسب طاقتهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال أبو محمد : وكذلك عَرَضُ الملك لها رضي الله عنها على رسول الله ﷺ قبل ولادتها في سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام : إن يكن من عند الله يمضه^(١٠٧) فهل بعد هذا في الفضل غاية .

(١٠١) سقط من (خ) (الدين) .

(١٠٢) الحديث رواه البخاري في النكاح ١٥ ، ومسلم في الرضاع ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٥٣ ، ٥٤ والفتن ٨٦ ، ورواه أبو داود في النكاح ٣

والترمذي في النكاح ٤ وابن ماجه في النكاح ٦ ، ٣٨

(١٠٣) سبق تخرج هذا الحديث .

(١٠٤) سقط من (أ) كلمة (الرجال) .

(١٠٥) سقط من (أ) كلمة (أهل) .

(١٠٦) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدى ، أمير بطاش قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق ، نشأ بالبصرة وقدم

المدينة مع أبيه في أيام عمر ، وولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ، وولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ، ومات فيها سنة ٨٣ هـ . (الاصابة :

ت ٨٦٣٥) .

(١٠٧) الحديث رواه الترمذي في أبواب المواقف من فضل عائشة - رضي الله عنها رقم ٩٦٧ ورواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة

- باب في فضل عائشة - رضي الله عنها ولفظه عند مسلم : قال رسول الله ﷺ - أرايتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة

« الشقق البيضاء من الحرير » من حرير فيقول هذه امرأتك ، فاكشف عن وجهك فإذا أنت هي ، فأقول : إن بك هذا من عند الله يمضه .

قال أبو محمد : واعترض علينا مكى بن أنى طالب المقرئ^(١٠٨) ، بأن قال : يلزم على هذا أن تكون امرأة أبى بكر أفضل من على ، لأن امرأة أبى بكر مع أبى بكر فى الجنة فى درجة واحدة ، وهى أعلى من درجة على ، فمنزلة امرأة أبى بكر أعلى من منزلة على ، فهى أفضل من على .

قال أبو محمد : فأجيبناه بأن قلنا له وبالله تعالى نتأيد ان هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه : أحدها : أن ما بين درجة أبى بكر ودرجة على فى الفضل الموجب لعلو درجته فى الجنة على درجة على ، ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبى ﷺ وبين درجة أبى بكر فى الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضى الله عنهم ، بل قد أيقنا أن درجة أقل منا فى الفضل أقرب نسبة من أعلى درجة لأعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة أفضل الصحابة إلى درجة النبى ﷺ ، وأيضا فليس بين أبى بكر وعلى فى المباشرة فى الفضل ما يوجب أن تكون امرأة أبى بكر التابعة له أفضل من على بل منازل المهاجرين الأولين الذين أودوا فى سبيل الله عز وجل متقاربة وإن تفاضلت ، ثم كذلك أهل السوابق مشهدا مشهدا ، درجهم فى الفضل متقاربة ، وإن تفاضلت ثم منازل الأنصار الأولين متقاربة وإن تفاضلت ثم كذلك أهل السوابق^(١٠٩) بعد الهجرة مشهدا مشهدا درجهم متقاربة فى الفضل ثم كذلك من أسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الأفضل فالأفضل من المشركين فى المشاهد جزاء على ذلك فنقول : إن امرأة أبى بكر المستحقة بعملها الكون معه فى درجته مثل أم رومان ، لسنا ندرى أهى أفضل أم على ..؟ لأنه لا نص معنا فى ذلك والتفضيل لا يعرف إلا بنص .

وقد قال عليه السلام : « خَيْرُكُمْ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَتْ فِيهِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - أو كما قال عليه السلام^(١١٠) فجعلهم طبقات فى الخير والفضل فلا شك هم كذلك فى الجزاء فى الجنة وإلا فكان يكون الفضل لا معنى له .

وقال عز وجل : هل تجزون إلا ما كنتم تعملون^(١١١) .

وأیضا فلسنا نشك أن المهاجرات الأوليات من نساء الصحابة رضى الله عنهم يشاركن الصحابة فى الفضل ، ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ، ففيهن من يفضل كثيرا من الرجال ،

(١٠٨) مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلس القيسى أبو محمد مقرئ عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان ولد فيها ، وطاف فى بعض بلاد المشرق وسكن قرطبة ٣٩٣ هـ وتوفى فيها سنة ٤٢٧ هـ من كتبه « الهداية إلى بلوغ النهاية » و « التبصرة فى القرات السبع » . (وفيات الأعيان - ج ٢ ص ١٢٠) .

(١٠٩) فى (أ) : السابق .

(١١٠) الحديث رواه البخارى فى الشهادات ٩ ، وفصائل أصحاب النبى ١ ورواه الترمذى فى الفتن ٤٥ والشهادات ٤ ومناقب ٥٦ ورواه ابن ماجه فى الأحكام ٢٧ واحمد بن حنبل فى المسند - ج ١ ص ٣٧٨ ، ٤١٧ ، ٤٣٤ ولفظه عند ابن ماجه : سئل رسول الله - ﷺ - أى الناس حير : قال قرئ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحىء قوم تندر شهادة أحدهم بمسه ، ويمينه شهادته . (١١١) سورة الملل آية رقم ٩٠

وفي الرجال من يفضل كثيرا منهم ، وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى « إن المسلمين والمسلمات^(١١٢) » الآية حاشا الجهاد فإنه فرض على الرجال دون النساء ، ولسنا ننكر أن يكون لأبى بكر رضى الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ، ثم يكون لمن لم تستأهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو أفضل منهم من الصحابة ، فقد نكح الصحابة رضى الله عنهم التابعيات ، بعد الصحابيات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة في فضل أزواجهن من الصحابة فينزلون إليهن ثم ينصرفون إلى منازلهن العالية .

بل قد صح هذا عن النبي ﷺ وأنه قال كلاما معناه وأكثر نصه أنه عليه السلام : « زَعِيمٌ بَيْتٌ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ وَفِي وَسْطِ الْجَنَّةِ وَفِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ فَعَلَ كَذَا^(١١٣) » أمراً وصفه رسول الله ﷺ .

فصح نص ما قلنا من أن لمن دونه عليه السلام منازل عالية وأخر سفلة عن تلك المنازل ينزلون إليها ثم يصعدون إلى الأعلى وهذا مبعث عن النبي ﷺ لوجهين أحدهما : أن جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التي شركن^(١١٤) فيها جميع الصحابة وتفضيلهم فيها بقرب الخاصة فليس في نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التي هي فضيلتهم التي بها بانوا عمن سواهم فقط وقد كفيينا هذا^(١١٥) الباب .

والوجه الثاني : أن تأخر بعض الصحابة عن بعضهم في بعض الأماكن^(١١٦) موجود وإن كان ذلك المتأخر^(١١٧) في بعض الأماكن متقدما في مكان آخر فقد علمنا أن بلالا عذب في الله عز وجل ما لم يعذب على ، وأن عليا قاتل ما لم يقاتل بلال ، وأن عثمان أنفق ما لم ينفق بلال ، ولا على فيكون المفضلون منهم في الجملة متقدما للذى فضله في بعض فضائله ، ولا سبيل إلى^(١١٨) أن يوجد هذا فيما بينهم وبين النبي ﷺ ، ولا يجوز أن يتقدمه أحد من ولد آدم في شيء من الفضائل أولها عن آخرها ، ولا إلى أن يلحقه لا حق في شيء من الفضائل من بنى آدم فلا سبيل إلى أن ينزل^(١١٩) النبي ﷺ إلى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف أن يعلو عليه

(١١٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٥

(١١٣) الحديث رواه أبو داود في الأدب ٧ ، والترمذى في البر ٥٨ والنسائى في الجهاد ١٩ وابن ماجه في المقدمة ٧ ولفظه عبد ابن ماجه : قال رسول الله - ﷺ : « من ترك الكذب وهو باطل : بنى له قصر في ربص الجنة ، ومن ترك الجراء وهو محق بنى له في وسطها . ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها .

(١١٤) في (أ) : يشتركن .

(١١٥) سقط من (أ) (هذا) .

(١١٦) سقط من (خ) الأماكن .

(١١٧) في (خ) : التأخر .

(١١٨) سقط من (أ) إلى .

(١١٩) في النسخين (أ) (و خ) ينسعل .

الصاحب ..؟ هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين ، وقد استعظم أبو أيوب الأنصاري^(١٢٠) رضى الله عنه أن يسكن في غرفة على بيت يسكنه النبي ﷺ فكيف يظن بأن هذا يكون في دار الجزاء فإذا كان العالى من الصحابة في أكثر منازل ينسفل أيضا في بعضها عن صاحب آخر قد علاه في منازل آخر على قدر تفاضلهم في أعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد أخبر النبي ﷺ : « أَنْ الصَّائِمِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ ، وَأَنَّ الْمُجَاهِدِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَأَنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ يَرْجُو لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُدْعَى مِنْ جَمِيعِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ^(١٢١) » وقد يجوز أن يفضل أبا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة في بعض تلك الوجوه من انفراد بياب منها ولا يجوز أن يفضل أحد رسول الله ﷺ في شيء من أبواب البر ، فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين .

واعترض أيضا علينا مكى بن أبى طالب بأن قال إذا كان رسول الله ﷺ أفضل من موسى عليه السلام ، ومن كل واحد من الأنبياء عليهم السلام ، وكان عليه السلام أعلى درجة في الجنة من جميع الأنبياء عليهم السلام ، وكان نساؤه عليه السلام معه في درجته في الجنة فدرجتهن فيها أعلى من درجة موسى عليه السلام ، ومن درج سائر الأنبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم أفضل من موسى وسائر الأنبياء . عليهم السلام .

قال أبو محمد : فأجبناه بأن هذا الاعتراض أيضا لا يلزمنا والله الحمد لأن الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع ، كما قال عز وجل . « وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا^(١٢٢) » .

وقال تعالى عن موسى عليه السلام : « وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً^(١٢٣) » .

وأخبر عز وجل عن جبريل ﷺ فقال : « ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ^(١٢٤) » .

فقد علمنا أن ملك الدنيا غرور ، وأن ملك الآخرة هو الحقيقة ، وقد أخبر عليه السلام أنه

(١٢٠) أبو أيوب الأنصاري : هو خالد بن زيد بن كليب بن بنى البخار ، صحابى شهد العقبة وهدرا وأحدًا وسائر المشاهد ، وكان شجاعًا وصابراً تقيًا محبًا للغزو والجهاد ، عاش إلى أيام بى أمية ، وكان يسكن المدينة فرحل إلى الشام ، وسار مع يزيد إلى غزو القسطنطينية فقتل عام ٥٢ هـ ودفن في أصل حصن القسطنطينية كوصيته ، له ١٥٥ حديثًا . (طبقات ابن سعد ح ٣ ص ٤٩) .

(١٢١) الحديث رواه البخارى في الصوم ٤ ورواه الترمذى في الصوم ٥٥ وفي المناقب ٦٠ والنسائى في الزكاة (١) والصيام ٤٣ والموطأ في الجهاد ٤٩ ولفظه عند الترمذى : « من أنفق روجين في سبيل الله نودى في الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان فقال أبو بكر : بأى أنت وأمى ما على من دُعي من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجوا أن تكون مهم .

(١٢٢) سورة الإنسان آية رقم ٢٠

(١٢٣) سورة الأحزاب آية رقم ٦٩

(١٢٤) سورة التكويد آية رقم ٢١

رأى الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم ، فالنبي معه الواحد والإثنان^(١٢٥) والثلاثة ، والنفر والجماعة فأخبر عز وجل أن هنالك الملك الكبير ، والطاعة والوجاهة ، والأتباع والاستعمار ، وإنما عرض الله تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذي في دار الجزاء ، كما عرض علينا من اللذات ، والحريز ، والديباح ، والخمر والذهب والفضة والمسك ، والجواري ، والحلى ، وأعلمنا أن هذه كلها نخالصة لنا هنالك ، وكما صح عن النبي ﷺ : أن آخر من يدخل الجنة يزكو على أعظم ملك عرفه في الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات^(١٢٦) .

قال أبو محمد : فلما صح ما ذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة إلا إنهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة ومنازلهم في درجات متقاربة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها ، وهم كلهم طبقة واحدة^(١٢٧) والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة إلا أنهم أيضا يتفاضلون فيها وكل^(١٢٨) الصحابة طبقة واحدة إلا أنهم يتفاضلون فيها ، فوجب بلا شك أن لا يكون أتباع الرسل من النساء والأصحاب كالمتابعين الذين هم الرسل لأن بالضرورة نعلم أن تابع الأعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف أن يكون أعلى منه . كما أن التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء أزواجهن من الصحابة إذ لسن معهم في طبقة ، وإنما ننظر بين أهل كل طبقة ومن هو في طبقته ، ونساء النبي - ﷺ طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الأنبياء في طبقة فلم يجوز أن ينظر بينهم وقد أخبر عليه السلام أنه رأى ليلة الإسراء الأنبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء .

وبالضرورة نعلم أن منزلة النبي الذي هو متبوع في سماء الدنيا أمره هناك مطاع أعلى من منزلة التابع في السماء السابعة للنبي الذي هناك وإذ قد صح عن النبي ﷺ : أن كل نبي يأتي مع أمته فنحن مع نبينا ﷺ .

فإن كان ما أزمناه مكى لازما لنا ، فيلزمه مثل ذلك فينا أيضا أن نكون أفضل من الأنبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من أنه لا ينظر في الفضل إلا بين من كان من أهل طبقة واحدة فمن كان منهم أعلى منزلة من الآخر كان أفضل منه بلا شك ، وليس ذلك في الطباق المختلفة ألا ترى أن كون مالك خازن النار في مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من في الجنة من الناس الذين الملائكة جملة أفضل منهم لأن مالكا متبوع في النار^(١٢٩) ومقدم

(١٢٥) سقط من (خ) الإثنان .

(١٢٦) لم نعر على تخرج هذا الحديث .

(١٢٧) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٢٨) في (خ) : (وكانت) .

(١٢٩) و (أ) : (للنار) .

مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة في الجنة بلا شك فبطل هذا الشغب ، ويجمع هذا الجواب باختصار وهو أن الرؤساء والمتبوعين من (١٣٠) كل طبقة في الجنة أعلى من التابعين لهم ، ونساء النبي ﷺ وأصحابه كلهم أتباع له عليه السلام ، وجميع الأنبياء متبوعون ، فإنما ينظر بين المتبوعين أيهم أفضل وينظر بين الأتباع أيهم أفضل ، ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه في الفضل ، ولا يجوز أن ينظر بين الأتباع والمتبوعين لأن المتبوعين لا يكونون البتة أحط درجة من التابعين ، وبالله تعالى التوفيق .

فإن قال قائل فكيف يقولون في الحور العين هن أفضل من الناس ومن الأنبياء كما قلتم في الملائكة ؟ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق . إن الفضل لا يعرف إلا ببرهان مسموع من الله تعالى في القرآن ، أو من كلام الرسول ﷺ ، ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة ، وإنما نص على أنهن مطهرات حسان عرب أتراب ، يجامعن ويشاركن أزواجهن في اللذات كلها ، وأنهن خلقن ليلتذبن المؤمنين فإذا الأمر هكذا فإنما محل الحور العين محل من هن له فقط إن ذلك اختصاص لهن بلا عمل (١٣١) ، وتكليف فهن خلاف الملائكة في ذلك وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى : إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظللال على الأرائك متكئون (١٣٢) .

وهذا نص إذ قد صح فقد وجب الإقرار به ، فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما لزمنا في ذلك نقصا إذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص ، وكلما صح بيقين فلا يجوز أن يعارض بيقين آخر ، والبرهان لا يبطله برهان ، وقد أوضحنا أن الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فأعلاهم درجة أعلاهم فضلا ، ونساء النبي ﷺ أعلا درجة في الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن ، فمن أرى هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده ؟ إذ لابد أن يكون لهذه الكلمة معنى ، فإن قال : لا معنى لها فقد كفانا مؤنته ، وإن قال : إن لها معنى سألتناه ما هو ؟ فإنه لا يجد غير ما قلناه ، وبالله تعالى التوفيق .

فكيف وقد أبنا بتأييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به في هذا الباب ؟ ولاح الوجه في ذلك بينا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : واستدركنا بيانا زائدا في قول النبي ﷺ في أن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو

(١٣٠) و (أ) : في .

(١٣١) في (خ) : (لا يعمل) .

(١٣٢) سورة يس آية رقم ٥٥

نساء هذه الأمة فنقول وبالله تعالى التوفيق إن الواجب مراعاة ألفاظ الحديث وإنما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديثه عائشة الفضل نصاً بقول عليه السلام : « وَفَضْلٌ عَائِشَةُ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ »^(١٣٣) .

قال أبو محمد : والسيادة غير الفضل ، ولا شك أن فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي ﷺ لها فالسيادة من باب الشرف ، لا من باب الفضل ، فلا تعارض بين الحديثين البتة ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو حجة في اللغة العربية ، كان أبو بكر خيراً وأفضل من معاوية ، وكان معاوية أسود من أبي بكر ، ففرق ابن عمر كما ترى بين السيادة والفضل والخير . وقد علمنا أن الفضل هو الخير نفسه لأن الشيء إذا كان خيراً من شيء آخر فهو أفضل منه بلا شك .

قال أبو محمد : وقد قال قائل من يخالفنا في هذا . قال الله عز وجل : « وليس الذكر كالأنثى »^(١٣٤) .

فقلنا وبالله تعالى التوفيق : فأنت إذا عند نفسك أفضل من مريم ، وعائشة ، وفاطمة ، لأنك ذكر وهؤلاء إناث .

فإن قال هذا الحق بالنوكى وكفر فإن سأل عن معنى الآية قيل له الآية على ظاهرها ولا شك في أن الذكر ليس كالأنثى ، لأنه لو كان كالأنثى لكان أنثى ، والأنثى أيضاً ليست كالذكر ، لأن هذه أنثى ، وهذا ذكر وليس هذا من الفضل في شيء البتة ، وكذلك الحمرة غير الخضرة ، والخضرة ليست كالحمرة ، وليس هذا من باب الفضل ، فإن اعترض معترض بقول الله تعالى « وللرجال عليهن درجة »^(١٣٥) قيل له إنما هذا في حقوق الأزواج على الزوجات ، ومن أراد حمل هذه الآية على ظاهرها لزمه أن يكون كل يهودى وكل مجوسى ، وكل فاسق ، من الرجال أفضل من أم موسى ، وأم عيسى ، وأم اسحاق ، عليهم السلام ، ومن نساء النبي ﷺ وبناته ، وهذا كفر ممن قاله باجماع الأمة ، وكذلك قوله تعالى « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين »^(١٣٦) إنما ذلك في تقصيرهن في الأغلب عن المحاجة لقله دُرَيْتِهِنَّ وليس في هذا ما يحيط^(١٣٧) الفضل عن

(١٣٣) راجع تخرىج هذا الحديث في ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(١٣٤) سورة آل عمران آية رقم ٣٦

(١٣٥) سورة البقرة آية رقم ٢٢٨

(١٣٦) سورة الزخرف آية رقم ١٨

(١٣٧) في (أ) : زيادة (من) .

ذوات الفضل منهن ، فإن اعترض معترض فقال الذى أمرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضى الله عنهم ، أفضل من نساء النبي ﷺ بقوله تعالى : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »^(١٣٨) فالجواب وبالله تعالى التوفيق : أن هذا خطأ من جهات .

إحداها : أن نساء النبي ﷺ من جملة أولى الأمر منا الذين أمرنا بطاعتهم فيما بلغن إلينا عن النبي ﷺ كالأئمة من الصحابة سواء سواء ولا فرق^(١٣٩) .

والوجه الثانى : أن الخلافة ليست من قبل فضل الواحد فى دينه ، فقط ، وجبت لمن وجبت له ، وكذلك الإمارة لأن الإمارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأموراً بطاعة عمرو بن العاص إذ أمره رسول الله ﷺ فى غزوة ذات السلاسل^(١٤٠) ، فبطل أن تكون الطاعة إنما تجب للأفضل فالأفضل ، وقد أمر النبي ﷺ عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد^(١٤١) كثيرا ولم يأمر أباً ذر ، وأبو ذر^(١٤٢) أفضل خير^(١٤٣) منهما بلا شك وأيضا : فإنما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم فى أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ، ولا خلاف فى أن الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه ، وإنما زادهم فضلا عدلهم فى الولاية لا الولاية نفسها ، وعدلهم داخل فى جملة أعمالهم التى يستحقون الفضل بها ، ألا ترى أن معاوية والحسن إذ وليا كانت طاعتها واجبة على سعد بن أبى وقاص ، وسعد أفضل منهما بيون بعيد جدا ، وهو حى معهما مأمور بطاعتها وكذلك القول فى جابر وأنس بن مالك ، وابن عمر رضى الله عنهم ، فى وجوب طاعة [ابن الزبير ثم فى وجوب طاعة]^(١٤٤) عبد الملك بن مروان والذى بين جابر وأنس ، وابن عمر وبين عبد الملك فى الفضل كالذى بين النور ، والظلمة ، فليس فى وجوب طاعة الولاية ما يوجب لهم فضلا فى الجنة .

(١٣٨) سورة النساء آية رقم ٥٩

(١٣٩) سقط من (أ) كلمة : (سواء) الثانية .

(١٤٠) ذات السلاسل : وهى وراء وادى القرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت الغزوة فى جمادى الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله - ﷺ ، وكان من خبرها أن جماعة من قضاة قريظة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله فدعا رسول الله - عمرو بن العاص فعقد له لواء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار . راجع تفاصيلها فى طبقات ابن سعد ح ٢ ص ١٣١ وما بعدها .

(١٤١) خالد بن الوليد : بن المغيرة المخزومى القرشى ، سيف الله الفاتح الكبير ، الصحابى ، شهد مع المشركين غزوة أحد ، وأسلم قبل فتح مكة هو وعمرو بن العاص سنة ٧ هـ ، وجهه أبو بكر لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد ثم سيروا إلى العراق سنة ١٢ هـ ففتح الحيرة ثم اتجه إلى الشام واشترك فى معركة اليموك وانتصر المسلمون بقيادته . توفى سنة ٢١ هـ . الإصابة ح ١ ص ١٤٣ .

(١٤٢) أبو ذر الغفارى : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن بنى غفار أبو ذر صحابى من كبارهم قديم الإسلام أول من حيا رسول الله بتحية الإسلام هاجر بعد وفاة الرسول - ﷺ إلى بادية الشام ، فشكاه معاوية فاستقدمه معاوية إلى المدينة ثم أمره بالرحلة إلى الرينة له فى البخارى ومسلم ٢٨١ حديثا توفى عام ٣٢ هـ . (طبقات ابن سعد ح ٤ ص ١٦١) .

(١٤٣) فى (خ) : سقطت (وخير) .

(١٤٤) ما بين القوسين سقط من (أ) .

فإن اعترض معترض بقول الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل أمرىء بما كسب رهين^(١٤٥) » .

فبيان اعتراضه ظاهر في آخر الآية وهو أن إلحاق الذرية بالآباء لا يقتضى كونهم معهم في درجة ، ولا هذا مفهوم من نص الآية ، بل إنما فيها إلحاقهم بهم فيما ساووههم فيه بنص الآية ، ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا في شك بقوله « كل امرىء بما كسب رهين » .

فصح أن كل واحد من الآباء والأبناء يجازى حسب ما كسب فقط ، وليس حكم الأزواج كذلك ، بل أزواج النبي ﷺ معه في قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جزاء لمن بما عملن من الخير ، وبصبرهن ، واختيارهن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة ، وهذه منزلة لا يحلها أحد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، فمن أفضل من كل واحد دون الأنبياء عليهم السلام ، فإن شغب مشغب بقول رسول الله ﷺ : « وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أُسْلِبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ^(١٤٦) » .

قلنا وبالله تعالى التوفيق : إن حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك أن تقول إنك أتم عقلاً ودينًا من مريم ، وأم موسى ، وأم إسحاق ومن عائشة ، وفاطمة ، فإن تهادى على ذلك سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر .

وإن قال : لا . سقط اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أنقص دينًا وعقلًا ، من كثير من النساء .

فإن سأل عن معنى هذا الحديث . قيل له قد بين رسول الله ﷺ وجه ذلك النقص ، وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وكونها إذا حاضت لا تصلى ولا تصوم ، وليس هذا بموجب نقصان الفضل ، ولا نقصان الدين ، والعقل في غير هذين الوجهين فقط إذ بالضرورة ندرى^(١٤٨) أن في النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم دينًا وعقلًا غير الوجوه التي ذكر النبي ﷺ وهو عليه السلام لا يقول إلا حقا ، فصح يقينا أنه إنما عنى^(١٤٩) عليه السلام

(١٤٥) سورة الطور آية رقم ٢١

(١٤٦) الحديث رواه البخارى في الحيض ١٦ ، والزكاة ٤٤ ورواه الإمام مسلم في الإيمان ١٣٢ ، وأبو داود في السنة ١٥ ، والترمذى في الإيمان ٦ وابن ماجه في الفتن ولفظه عند مسلم : وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكر قالت : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين قال : أما نقصان العقل فشهادة إمرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلى وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين .

(١٤٧) في (أ) : (هذا) .

(١٤٨) في (ح) : سقطت كلمة (ندرى) .

(١٤٩) في (أ) : (عبر) .

ما قد بينه في الحديث نفسه من الشهادة والحيز فقط ، وليس ذلك مما ينقص الفضل . فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعلياً لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم ، ولو شهد به أربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم ، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين ، وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل ، في ورد ولا صدر ، لكن يوقف فيها عند ما حده النص فقط ، ولا شك عند كل مسلم في أن صواحيبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة^(١٥٠)، وعائشة^(١٥١)، وفاطمة^(١٥٢)، وأم سلمة^(١٥٣) أفضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعهدهن ومن كل رجل يأتي في هذه الأمة إلى يوم القيامة ، فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح أنه على ما فسرناه يقيناً^(١٥٤) والحمد لله رب العالمين وأيضاً فقول الله تعالى « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء^(١٥٥) » مخرج لهن عن سائر النساء في كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه .

قال أبو محمد : فإن اعترض معترض بقول النبي ﷺ « كَمَلَّ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ^(١٥٦) » .

فإن هذا الكمال إنما هو الرسالة ، والنبوة ، التي انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة ، وقد يتفاضلون أيضاً فيها فيكون بعض الأنبياء أكمل من بعض ، ويكون بعض الرسل أكمل من بعض .

قال الله عز وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات^(١٥٧) » .

فإنما ذكر في هذا الخير من بلغ غاية الكمال في طبقتهم ولم يتقدمه منهم أحد ، وبالله تعالى التوفيق .

(١٥٠) راجع ترجمة خديجة في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ح ٤

(١٥١) راجع ترجمة عائشة في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ح ٤ .

(١٥٢) راجع ترجمة أم سلمة في طبقات ابن سعد ح ٨ .

(١٥٣) راجع ترجمة فاطمة الزهراء في هذا الجزء ص ١٦٢ .

(١٥٤) في (أ) : (وبيناه) .

(١٥٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢

(١٥٦) هذه الرواية هي من حديث أبي موسى الأشعري ، وهي عند البخاري ٣٤٠/٦ في الأنبياء باب قول الله تعالى : وإذا قالت الملائكة

يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك « ومسلم رقم ٢٤٣١ في فضائل الصحابة ، باب فضل خديجة أم المؤمنين ، والترمذي رقم ١٨٣٥ في الأطعمة باب

ما حاء في فضل الزيد . ولفظة . كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وأسيدة امرأة فرعون ، وخديجة بنت حويلد ،

وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الزيد على سائر الطعام .

(١٥٧) سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

فإن اعترض معترض بقوله عليه السلام : « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ اسْتَدُوا أُمَّرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ^(١٥٨) » .

فلا حجة له في هذا^(١٥٩) لأنه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل ، فقد علمنا أن ابن مسعود ، وبلالا^(١٦٠) ، وزيد بن الحارثة ، رضى الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن ، وابن الزبير ، ومعاوية ، أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لأولئك وبينهم في الفضل ما لا يجمله مسلم .

قال أبو محمد : وأما أفضل نسائه عليه السلام فعائشة ، وخديجة ، رضى الله عنهما لعظيم فضلها واخباره عليه السلام أن عائشة أحب الناس إليه ، وأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد ، فقال : أفضل نسائها مريم بنت عمران ، وأفضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الإسلام ، وثباتها رضى الله عنها ولأم سلمة وسودة^(١٦١) وزينب بنت جحش ، وزينب بنت خزيمة^(١٦٢) ، وحفصة^(١٦٣) سوابق في الإسلام عظيمة ، واحتمال للمشقات في الله عز وجل ورسوله ﷺ والهجرة ، والغربة عن الوطن ، والدعاء إلى الإسلام والبلاء في الله عز وجل ورسوله ﷺ ولكلهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين .

قال أبو محمد : وهذه مسألة تقطع فيها على أننا المحقون^(١٦٤) عند الله عز وجل ، وأن من خالفنا فيها مخطيء عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا .

(١٥٨) الحديث رواه البخارى في المعارى ٨٢ والفتن ١٨ والترمذى في الفتن ٧٥ والنسائى في القضاء ٨ ، وأحمد بن حنبل في المسند ح ٥ ص ٤٣ ، ٥١ .

(١٥٩) في (أ) : (ذلك) .

(١٦٠) بلال بن رباح الحبشى ، أبو عبد الله مؤذن رسول الله ﷺ ونخازنه على بيت ماله ، أحد السابقين إلى الإسلام ، وفي الحديث بلال سابق الحبشة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، ولما توفى رسول الله أدن بلال ولم يؤذن بعدها توفى في دمشق سنة ٢٠ هـ . (طبقات ابن سعد ح ٣ ص ١٦٩) .

(١٦١) سودة بنت زمعة : بن قيس بن عبد شمس ، من لؤى من قريش إحدى أرواح النبى ﷺ - كانت في الجاهلية زوجة السكران ابن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها وهاجرا إلى الحبشة ثم عادا إلى مكة فتوفى السكران فتزوجها النبى ﷺ - بعد خديجة - وتوفيت بالمدينة ٥٤ هـ . (طبقات ابن سعد ح ٥ ص ٢٥) .

(١٦٢) زينب بنت خديجة بن الحارث الهلالية من أرواح النبى ﷺ ، كانت تدعى في الجاهلية أم المساكين ، تزوجها عبيدة بن الحارث وقتل عنها بيدتر فتزوجها النبى ﷺ - سنة ٣ هـ ولبثت عنده ثمانية أشهر وماتت بالمدينة ٤ هـ وعمرها نحو ثلاثين سنة . (طبقات ابن سعد ح ٨ ص ٨٢) .

(١٦٣) حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما صحابية جليمة من أرواح رسول الله ﷺ - ولدت بمكة وتزوجها خنيس ابن حذافة السهمي فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة ، توفيت بالمدينة سنة ٤٥ هـ روى لها البخارى ومسلم ٦٠ حديثا . (طبقات ابن سعد ح ٨ ص ٥٦) .

(١٦٤) في (أ) : المحقون .

قال أبو محمد : فإن قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم ..؟ قلنا له ، وبالله تعالى التوفيق .
 وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن ؟ وقد علمنا ضرورة أن لنساء النبي ﷺ منزلة
 من الفضل بلا شك فلا بد من البحث عنها فليقل مخالفنا في أى منزلة نضعهن أبعد جميع الصحابة
 كلهم ؟ فهذا ما لا يقوله أحد .

أم بعد طائفة منهم ؟ فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له إلى وجوده ، وإذا قد بطل هذان
 القولان أحدهما بالإجماع على أنه باطل ، والثاني لأنه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق
 إلا قولنا .

والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين : قد صحح أن
 أبا بكر الصديق رضی الله عنه خطب الناس حين ولى بعد موت رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس
 إني وليتكم ولست بخيركم « فقد صح عنه^(١٦٥) رضی الله عنه أنه أعلن بحضرة جميع الصحابة رضی الله
 عنهم أنه ليس بخيرهم ، ولم ينكر هذا القول منهم أحد ، فدل على متابعتهم له ولا خلاف في^(١٦٦)
 أنه ليس في أحد من الحاضرين لخطبة إنسان يقول فيه أحد من الناس إنه خير من أبي بكر ،
 إلا على ، وابن مسعود ، وعمر ، وأما جمهور الحاضرين من مخالفينا في هذه المسألة من أهل
 السنة ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والخوارج ، فإنهم لا يختلفون في أن أبا بكر أفضل من على ، وعمر ،
 وابن مسعود ، وخير منهم فصح أنه لم يبق إلا أزواج النبي ﷺ فإن قال قائل إنما قال أبو بكر هذا
 تواضعا قلنا : له هذا هو الباطل المتيقن لأن الصديق الذي سماه رسول الله ﷺ بهذا الاسم
 لا يجوز أن يكذب ، وحاشا له من ذلك ، ولا يقول إلا الحق والصدق ، فصح أن الصحابة
 متفقون في الأغلب على تصديقه في ذلك ، فإذا ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح أن يكون
 أحد من الصحابة رضی الله عنهم خيرا من أبي بكر إلا أزواج النبي ﷺ ونساؤه ووضح أننا
 لو قلنا : إنه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق .

قال أبو محمد : وأيضا فإن يوسف بن عبد الله الثمري حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ،
 ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي ، حدثنا محمد بن العباس البغدادي ، ثنا إبراهيم
 ابن محمد البصري ، ثنا أبو أيوب سليمان بن داود الشاذكوني ، قال : كان عمار بن ياسر والحسن
 ابن علي يفضلان على بن أبي طالب على أبي بكر الصديق وعمر .

حدثنا أحمد بن محمد الخوزي ، ثنا أحمد بن الفضل الدينوري ، ثنا محمد بن جرير
 الطبري ، أن علي بن أبي طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن علي إلى الكوفة إذ خرجت

(١٦٥) سقط من (ح) عه .

(١٦٦) سقط من (أ) (ج)

أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمعا إليهما الناس في المسجد ، فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : إني أقول لكم ووالله إني لأعلم أنها زوجة رسول الله ﷺ في الجنة ، كما هي زوجته في الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه ، فقال له مسروق ابن الأسود^(١٦٧) يا أبا اليقظان فحنن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له ، فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا . فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ، والكوفة يومئذ مملوءة منهم ، يسمعون تفضيل عائشة على علي ، وهو عند عمار والحسن أفضل من أبي بكر ، وعمر ، فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه وهم أحوج ما كانوا إلى إنكاره فصح أنهم متفقون على أنها وأزواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، ومما تبين أن أبا بكر رضى الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم إلا محقا ، صادقا ، لا تواضعا يقول فيه الباطل ، وحاشا له من ذلك ما حدثناه أحمد بن محمد الطلمنكى^(١٦٨).

قال حدثنا أحمد بن محمد بن مفرح ، ثنا محمد بن أيوب الصموت الرقى ، أنا أحمد ابن عمر بن عبد الخالق البران ، ثنا عبد الملك بن سعد ، ثنا عقبة بن خالد ، ثنا شعبة ابن الحجاج ، ثنا الحريري عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أأست أحق الناس بها أو لست أول من أسلم ؟ أأست صاحب كذا ..؟

قال أبو محمد : فهذا أبو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه ، إذ كان صادقا فيها ، فلو كان أفضلهم لصرح بذلك^(١٦٩) وما كتبه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب ، فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : ثم وجب القول فيمن هو أفضل الصحابة بعد نساء النبي ﷺ فلم نجد لمن فضل ابن مسعود ، أو عمر ، أو جعفر ابن أبي طالب ، أو أبا سلمة ، أو الثلاثة الأسهلين^(١٧٠) على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ، ووجدنا من يوقف لم يزد على أنه لم يلح له بالبرهان أنهم أفضل ولو لاح له لقال به ، ووجدنا العدد والمعارضة في القائلين بأن عليا أفضل أكثر^(١٧١) ، فوجب أن يأتي بما شغبوا به ليلوح الحق في ذلك وبالله تعالى التوفيق .

(١٦٧) لم نثر له على ترجمة .

(١٦٨) راجع ترجمته ص ١٣٥ .

(١٦٩) في (أ) : (ب) .

(١٧٠) الأسهلون الثلاثة : سهل بن عمرو بن عدى الأنصاري ، كان ممن بايع تحت الشجرة ، وسهل بن حنيف بن واهب يكنى

أبا سعيد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد وحمل ينصح بالنبل فقال عليه السلام : نبلوا سهلاً فإنه سهل وسهل ابن أبي حنيفة ، كان ممن بايع تحت الشجرة وكان دليل النبي ﷺ ليلة أحد وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا .

(١٧١) سقط من (خ) (أكثر) .

قال أبو محمد : وجدناهم يحتجون بأن عليا كان أكثر الصحابة جهاداً ، وطعناً . في الكفار ، وضرباً ، والجهاد أفضل الأعمال .

قال أبو محمد : وهذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقساماً ثلاثة :

أحدها : الدعاء إلى الله عز وجل باللسان .

والثاني : الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير .

والثالث : الجهاد بانيد في الطعن والضرب .

فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر ، أما أبو بكر فإن أكابر الصحابة رضى الله عنهم أسلموا على يديه ، فهذا أفضل عمل وليس لعلى من هذا كبير حظ ، وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد الله تعالى بمكة جهراً وجاهد المشركين بمكة بيديه ، فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية ، وهذا أعظم الجهاد ، فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلى في هذا أصلاً وبقي القسم الثاني : وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصاً لأبى بكر ثم لعمر ، وبقي القسم الثالث : وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه أقل مراتب الجهاد يبرهان ضرورى وهو أن رسول الله ﷺ لا شك عند كل مسلم أنه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام إنما كان في أكثر أعماله وأحواله القسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإدارة .

وكان أقل عمله ﷺ الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام أشجع أهل الأرض قاطبة نفساً ويدا وأتمهم نجدة ، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأفعال ، قدمه عليه السلام ويشغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان أبو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثاراً من رسول الله ﷺ له بذلك واستظهاراً برأيه في الحرب ، وأنساً بمكانة ، ثم كان عمر ربما شورك في ذلك أيضاً ، وقد انفرد بهذا المحل دون على ودون سائر الصحابة إلا في الندرة ، ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن ، والضرب ، والمبارزة ، فوجدنا علياً رضى الله عنه لم ينفرد بالسوق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنان ، كطلحة ، والزبير ، وسعد ، وممن قتل في صدر الإسلام كحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب^(١٧٢) ، ومصعب بن عمير ، ومن الأنصار سعد بن معاذ ، وسماك بن خرشنة^(١٧٣) وغيرهما ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه في

(١٧٢) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف أبو الحارث من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام ، ولد بمكة وأسلم مبكراً وبعثه النبي في ستين راكباً من المهاجرين فالتقى بالمشركين وعليهم أبو سفيان بن حرب في موضع يقال له « ثنية المرة » شهد بدرًا وقتل فيها ٢ هـ . (الأصابة ت ٥٣٧٧) .

(١٧٣) سيمال بن خرشنة الخزرجى المعروف بأبى دجانه ، صحابى كان شجاعاً بطلاً شهد بدرًا وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة واستشهد بالجمامة ١١ هـ . (الأصابة - باب الكلبي ت ٣٧١) .

ذلك بحظ حسن وإن لم يلحقاً^(١٧٤) بمحظوظ هؤلاء ، وإنما ذلك لشغلها بالأفضل من ملازمة رسول الله ﷺ ، وموازرتة في حين الحرب وقد بعثها رسول الله ﷺ على البعوث ، أكثر مما بعث علياً وقد بعث أبا بكر إلى بنى فزارة وغيرهم ، وبعث عمر إلى بنى فلان ، وما نعلم لعلى بعثاً إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحها ، وقد بعث إليه^(١٧٥) قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه ، فحصل أرفع^(١٧٦) أنواع الجهاد خالصاً^(١٧٧) لأبي بكر ، وعمر ، وقد شارك علياً في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم .

قال أبو محمد : واحتج أيضاً بأن قال : إن علياً كان أكثرهم علماً .

قال أبو محمد : كذب هذا القائل ، وإنما يعرف علم الصحابي لأحد وجهين لا ثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفتاويه والثاني : كثرة استعمال النبي ﷺ له ، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي ﷺ من لا علم له ، وهذه أكبر الشهادات على العلم وسعته ، فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي ﷺ قد ولي أبا بكر الصلاة بحضورته طول علته ، وجميع أكابر الصحابة حضور ، كعلی ، وعمر ، وابن مسعود وأبي^(١٧٨) ، وغيرهم فأثرو بذلك على جميعهم ، وهذا خلاف استخلافه عليه السلام إذا غزا لأن المستخلف في الغزوة لم يستخلف إلا على النساء ، وذو الأعذار فقط ، فوجب ضرورة أن نعلم أن أبا بكر أعلم الناس بالصلاة ، وشرايعها ، وأعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ، ووجدناه ﷺ قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة أن عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة ، لا أقل وربما كان^(١٧٩) أكثر ، أو لا أكثر^(١٨٠) إذ قد استعمل عليه السلام أيضاً عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل إلا عالماً بما استعمله عليه ، والزكاة ركن من أركان الدين بعد الصلاة .

وبرهان ما قلنا من تمام علم أبي بكر رضي الله عنه بالصدقات أن الأخبار الواردة في الزكاة أصحها ، والذي يلزم العمل به ولا يجوز خلافه فهو حديث أبي بكر الذي من طريق عمر ، وأما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة ، وهو أن في خمس وعشرين من الإبل خمس

(١٧٤) في (أ) : يلحقنا وهو تحريف .

(١٧٥) سقط من (أ) (إليه) .

(١٧٦) في (أ) : أربع وهو تحريف .

(١٧٧) سقط من (أ) (خالصاً) .

(١٧٨) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد من بنى النجار من الخرزج أبو المنذر صحابي أنصاري ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، مطلقاً على الكتب القديمة يكتب ويقرأ ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، وشهدنا بدرًا واحدًا والخندق وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية ، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس له في الصحيحين ١٦٤ حديثًا توفي سنة ٢١ هـ .

(١٧٩) سقط من (خ) (كان) .

(١٨٠) سقط من (أ) (أو لا أكثر) .

شياه ، فوجدناه عليه السلام قد استعمل أبا بكر على الحج ، فصح ضرورة أنه أعلم من جميع الصحابة بالحج ، وهذه دعائم الإسلام ، ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح أن عنده من أحكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله ﷺ على البعوث في الجهاد ، إذ لا يستعمل عليه السلام على العمل إلا عالمًا به ، فعند أبي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي ، وسائر أمراء البعوث ، لا أكثر ولا أقل ، فإذا قد صح التقدم لأبي بكر على علي وغيره في علم الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وساواه في علم الجهاد ، فهذه عمدة العلم ، ثم وجدناه عليه السلام قد ألزم نفسه في جلوسه ، ومسامرته ، ووطنه ، وإقامته أبا بكر فشاهد أحكامه عليه السلام ، وفتاويه أكثر من مشاهدة علي لها ، فصح ضرورة أنه أعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا وأبو بكر هو^(١٨١) المتقدم فيها الذي لا يلحق ؟ أو المشارك الذي لا يسبق ؟ فبطلت دعواهم في العلم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما الرواية ، والفتوى ، فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يعيش بعد رسول الله ﷺ إلا سنتين ، وستة أشهر ، ولم يفارق المدينة إلا حاجا أو معتمرا ولم يحتج الناس إلى ما عنده من الرواية عن رسول الله ﷺ ، لأن كل من حوالبه أدركوا النبي ﷺ ، وعلى ذلك كله فقد روى عنه عن النبي ﷺ مائة حديث وإثنان وأربعون حديثا مسندة ، ولم يرد عن علي إلا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة ، يصح منها نحو خمسين ، وقد عاش بعد رسول الله ﷺ أزيد من ثلاثين سنة ، فكثير لقاء الناس إياه ، وحاجتهم إلى ما عنده ، لذهاب جمهور الصحابة رضى الله عنهم ، وكثير سماع أهل الأفق منه مرة بصفين وأعواما بالكوفة ومرة بالبصرة ، والمدينة ، فإذا نسبنا مدة أبي بكر من حياته وأضفنا تقرى على البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه إلى لزوم أبي بكر موطنه وأنه لم تكثر حاجة من حوالبه إلى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث ، وفتاوى من فتاوى ، علم كل ذى حظ من العلم أن الذى كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند علي منه ، وبرهان ذلك أن من عمر من أصحاب رسول الله ﷺ عمرا قليل قل النقل عنهم ، ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم ، إلا اليسير من اكتفى بنبابة غيره عنه في تعليم الناس ، وقد عاش على بعد عمر ابن الخطاب سبعة عشر عاما غير شهر ، ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا ، يصح منها نحو خمسين كالذى عن علي سواء بسواء ، فكلما زاد حديث علي حديث عمر تسعة وأربعين حديثا في هذه المدة الطويلة ، ولم يزد عليه في الصحيح الا حديثا أو حديثين .

وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي في أبواب الفقه ، فإذا نسبنا مدة من مدة وضرينا في البلاد من ضرب فيها وأضفنا حديثا إلى حديث ، وفتاوى إلى فتاوى ، علم كل ذى حس علما ضروريا أن

(١٨١) سقط من (أ) (هو) .

الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند علي من العلم ، ثم وجدنا الأمر كل ما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضی الله عنها ألقى مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد ، وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلاثمائة مسند وأربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وأنس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ، ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله ، وعبد الله ابن عباس ، لكل واحد منهما أزيد من ألف وخمسمائة ، ووجدنا لأبن مسعود ثمان مائة مسند ونيف ، ولكل من ذكرنا حاشا أبا هريرة وأنس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى علي أو نحوها ، فبطل هذه الوقاح الجهال ، فإن عاندنا معاند في هذا الباب جاهل أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله ، فإننا غير متهمين^(١٨٢) على حط أحد من الصحابة رضی الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته ، لأننا لو انحرفنا عن علي رضی الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج ، وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال في التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة ، وقد أعادنا الله تعالى من هذا الإفك في التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه أو الغالين فيه هم المتهمون فيه إما له وإما عليه ، وبعد هذا كله فليس يقدر من ينتمى إلى الإسلام أن يعاند في الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبي ﷺ بمن استعمله منهم على ما استعمله وعليه من أمور الدين .

فإن قالوا : إن رسول الله ﷺ قد استعمل عليا على الأخماس وعلى القضاء باليمن ؟ قلنا لهم : نعم ولكن مشاهدة أبي بكر لأقضية رسول الله ﷺ أقوى في العلم وأثبت مما عند علي وهو باليمن ، وقد استعمل رسول الله ﷺ أبا بكر على بعوث فيها الأخماس ، فقد ساوى علمه علم علي في حكمها بلا شك ، إذ لا يستعمل عليه السلام إلا عالما بما يستعمله عليه ، وقد صح أن أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله ﷺ وهو عليه السلام يعلم ذلك ، ومحال أن يبيح لهما ذلك إلا وهما أعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمن مع علي معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري^(١٨٣) فلعل في هذا شركاء كثير ، منهم أبو بكر ، وعمر ، ثم قد انفرد أبو بكر بالجمهور الأغلب من العلم على ما ذكرنا . وقال هذا القائل : إن عليا كان اقرأ الصحابة .

قال أبو محمد : وهذه القحة المجردة والبهتان لوجوه أولها إنه رد على رسول الله ﷺ لأنه عليه

(١٨٢) في (خ) : فاما غير المتهمين .

(١٨٣) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، من بني الأشعر من قحطان صحابي من الشجعان الولاة الفائقين وأحد الحكيمين بعد حرب صفين ولد في ريد باليمن وقدم مكة عند ظهور الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة استعمله رسول الله ﷺ على زيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧ هـ له ٣٥٥ حديثا مات سنة ٤٤ هـ . (طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٩) .

السلام قال : يؤم^(١٨٤) القوم أقرؤهم ، فإن استوتوا فأفقههم ، فإن استوتوا فأقدمهم هجرة ، ثم وجدناه عليه السلام قد قدم أبا بكر على الصلاة مدة الأيام التي مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبي ﷺ غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام أحدا أحق من أبي بكر بها ، فصح أنه كان أقرؤهم وأفقههم واقدمهم هجرة ، وقد يكون من لم يجمع حفظ القرآن كله على ظهر قلب أقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به وأحسنهم ترتيبا .

هذا على أن أبا بكر وعمر وعلى لم يستكمل أحد منهم حفظ سواد^(١٨٥) القرآن كله ظاهرا إلا أنه قد وجب يقينا بتقديم النبي ﷺ لأبي بكر على الصلاة وعلى حاضر أن أبا بكر أقرأ من على ، وما كان النبي ﷺ ليقدم إلى الإمامة الأقل علما بالقراءة على الأقرأ أو الأقل فقها على الأفقه فبطل أيضا شغبهم في هذا الباب - والحمد لله رب العالمين .

[وقال هذا الجاهل كان على أتقاهم لله]^(١٨٦).

قال أبو محمد : كذب هذا الأفاك ، ولقد كان على رضى الله عنه تقيا إلا أن الفضائل يتفاضل فيها أهلها وما كان أتقاهم لله إلا أبا بكر . والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط أبو بكر رسول الله ﷺ في كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام في شيء قط ، ولا تأخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية إذ تردد من تردد وقد تكلم رسول الله ﷺ على المنبر إذا أراد على نكاح ابنه أبي جهل بما قد عرف^(١٨٧) وما وجدنا قط لأبي بكر توقفا عن شيء أمره به رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة عذرة فيها رسول الله ﷺ وأجاز له فعله ، وهى إذ أتى رسول الله ﷺ من قباء فوجده يصلى بالناس فلما رآه أبو بكر تأخر فأشار إليه النبي ﷺ أن أقم مكانك فحمد الله تعالى أبو بكر على ذلك ثم تأخر فصار في الصف ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس فلما سلم قال له رسول الله ﷺ ما منعك أن تثبت حين أمرتك ، فقال أبو بكر ، ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ^(١٨٨).

قال أبو محمد : فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله ﷺ وما أنكر عليه السلام ذلك عليه ، وإذ قد صح بالبرهان الضرورى الذى ذكرنا أن أبا بكر أعلم أصحاب رسول

(١٨٤) فى (أ) : (يوم) وهو تحريف .

(١٨٥) فى (أ) : سور .

(١٨٦) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(١٨٧) قال رسول الله - ﷺ : فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقى ، وإذ فاطمة بصعة مى وأنا أكره أن يتبونها ، والله

لا تجمع ست رسول الله و بنت عبد الله عند رجل واحد أبدا . رواه البخارى فى فضائل أصحاب النبى باب أصهار النبى ومسلم رقم ٢٤٤٩ باب فضائل فاطمة بنت النبى - ﷺ .

(١٨٨) ونحن نوافق ابن حزم فى أن هذا التوقف من أبى بكر كان أدبا عاليا مع رسول الله ﷺ

الله ﷺ فقد وجب أنه أحشاهم لله عز وجل ، قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء^(١٨٩) » والتقى هو الخشية لله عز وجل .

وقال قائلون على كان أزهدهم .

قال أبو محمد : كذب هذا الجاهل ، وبرهان ذلك أن الزهد إنما هو غروب النفس عن حب الصوت ، وعن المال ، وعن اللذات ، وعن الميل إلى الولد والحاشية ليس الزهد معنى يقع عليه اسم الزهد إلا هذا المعنى ، فأما غروب النفس عن المال فقد علم كل من له أدنى بصر بشيء من الأخبار الخالية أن أبا بكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين ألف درهم ، فأنفقها كلها في ذات الله تعالى ، وعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ، ولم يعتق عبيدا جلودا يمنونه لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل .

حتى هاجر مع رسول الله ﷺ ولم يبق لأبي بكر من جميع ماله إلا ستة آلاف درهم حملها كلها مع رسول الله ﷺ ولم يبق لنيه منها درهماً ، ثم أنفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق^(١٩٠) له شيء إلا عباءة له قد خللها بعود إذا نزل افترشها وإذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضی الله عن جميعهم واقتنوا الرباع الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحققها ، إلا أن من أثر بذلك سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ، ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال ، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي والمقاسم مع رسول الله ﷺ فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه أحد من الصحابة لا على ولا غيره ، إلا أن يكون أبا ذر وأبا عبيدة من المهاجرين الأولين فإنهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله ﷺ وتوسع من سواهم من الصحابة رضی الله عنهم في المباح الذي أحله الله عز وجل لهم ، إلا أن من أثر على نفسه أفضل ، ولولا أن أبا ذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه إلا من كان مثله ، فهذا هو الزهد في المال واللذات ، ولقد تلا أبا بكر عمر رضی الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق على في ذلك يعنى في اعراضه عن المال واللذات ، وأما على رضی الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن أربع زوجات وتسع عشرة أم ولد ، سوى الخدم والعبيد وتوفى عن أربعة وعشرين ولداً من ذكر وأنثى ، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم هذا أمر مشهور لا يقدر على إنكاره من له أقل علم بالأخبار والآثار ، ومن جملة عقاره التي تصدق بها كانت تغل ألف وسقٍ تمرًا سوى زرعها فأين هذا من هذا ؟؟؟؟

(١٨٩) سورة فاطر آية رقم ٢٨

(١٩٠) في (خ) : حتى بقي لا شيء له .

وأما حب الولد والميل إليهم وإلى الحاشية فالأمر في هذا أبين من أن يخفى على أحد له أقل علم بالأخبار ، فقد كان لأبي بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الأولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة فى كل باب من أبواب الفضل^(١٩١)

فى الإسلام ، ومثل ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر^(١٩٢) وله مع النبى ﷺ صحبة قديمة وهجرة سابقة ، وفضل ظاهر ، فما استعمل أبو بكر رضى الله عنه منهم أحدا على شىء من الجهات ، وهى بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة أعمالها ، وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة ونخبير ، وسائر أعمال الحجاز ، ولو استعملهم لكانوا لذلك أهلا . ولكن خشى المحابة وتوقع أن يميله إليهم شىء من الهوى ، ثم جرى عمر على مجراه فى ذلك فلم يستعمل من بنى عدى بن كعب أحدا على سعة البلاد وكثرتها ، وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس إلى خراسان ، إلا النعمان ابن عدى^(١٩٣) وحده على ميسان^(١٩٤) ، ثم أسرع عزله وفيهم من الهجرة ما ليس فى شىء من اخذ قریش لأن بنى عدى لم يبق منهم أحد بمكة إلا هاجر ، وكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد المهاجرين الأولين ذوى السوابق وأبى الجهم بن حذيفة^(١٩٥) وخارجه بن حذافة^(١٩٦) ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ، ثم لم يستخلف أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ، ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك أهلا ، ولو استخلفه لما اختلف عليه أحد فما فعل ، ووجدنا عليا رضى الله عنه إذ ولى قد استعمل أقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن العباس على اليمن ، وخنعم ومعبد بنى العباس على مكة والمدينة وجعدة بن نمير وهو ابن اخته أم هانى بنت أبى طالب على خراسان ، ومحمد بن أبى بكر وهو ابن امرأته وأخو ولده على مصر ، ورضى ببيعة الناس للحسن

(١٩١) فى (ح) : (الفضائل) .

(١٩٢) عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، يكنى أبا عبد الله ، أمه أم رمان بنت الحارث بن غنم ، فهو شقيق عائشة رضى الله عنها . وشهد عبد الرحمن بدرًا وأحدًا مع قومه كافرين ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهو الذى قتل محكم اليمامة وشهد الجمل مع اخته عائشة ، توفى سنة ٥٣ هـ بمكة . (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٨٢٥ وما بعدها) .

(١٩٣) النعمان بن عدى بن نضلة العدوى ، شاعر ، صحابى من الولاة ، هاجر مع أبيه إلى الحبشة ، ومات أبوه فيها ، وولاه عمر ابن الخطاب على ميسان وهى كورة واسعة بين البصرة وواسط ، ولم يول عمر أحدًا من قومه بنى عدى غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحة ثم عزله لشعره قاله . فرحل إلى البصرة ولم يغزو مع المسلمين حتى مات سنة ٣٠ هـ . (الاصابة ت ٨٧٤٠) .

(١٩٤) ميسان بالفتح ثم السكون ، وسين مهملة وآخرون اسم كورة كثيرة واسعة القرى بين البصرة وواسط ويقال فيها قرية بها قبر عزيمة النبى عليه السلام ، ولما فتحت ميسان فى عهد عمر وولاه النعمان بن عدى بن فضله وكان بميسان مسكين الدارمى . (معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٢) .

(١٩٥) أبو جهم : هو عامر بن حذيفة بن غانم من قریش من بنى عدى بن كعب ، أحد المعمرين ، أسلم يوم فتح مكة ، واشترك فى بناء الكعبة مرتين الأولى فى الجاهلية ، والثانية حين بناها ابن الزبير سنة ٦٤ هـ وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان توفى سنة ٧ هـ . (الاصابة فى الكنى ت ٢٠٦) .

(١٩٦) خارجه بن حذافة بن عامر من بنى كعب ابن لؤى . صحابى من الشجعان كان يعد بألف فارس ، شهد فتح مصر وولى شرطته لعمر بن العاص استخلفه عمرو ليصل بالناس فقتله عمرو بن بكر الذى انتدب لقتل عمرو بن العاص ، وقال قاتله لم علم خطاه - أردت عمرًا ، وأراد الله خارجه - وكان ذلك سنة ٤٠ هـ . (الاصابة ج ١ ص ٣٩٩) .

ابنه بالخلافة ، ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة ، فكيف امارة البصرة لكننا نقول إن من زهد في الخلافة لولد مثل عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن ابن أبي بكر والناس متفقون عليه ، وفي تأمير مثل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، فلا شك في أنه أتم زهداً أو أعزب عن جميع معاني الدنيا يقينا ممن أخذ منها [مما] أبيح له أخذه ، فصح بالبرهان الضروري أن أبا بكر رضی الله عنه أزهدهم من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده ، وقال هذا القائل وكان على أكثرهم صدقة .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل لأنه لم يحفظ لعل مشاركة ظاهرة بالمال وأما أمر أبي بكر رضی الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فأشهر من أن يخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ؟ ثم لعثمان بن عفان رضی الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره ، فصح أن أبا بكر أعظم صدقه وأكثر مشاركة وغنى في الإسلام ، بماله من على رضی الله عنه .

وقالوا على هو السابق إلى الإسلام ولم يعبد قط وثنا .

قال أبو محمد : أما السابقة فلم يقل قط أحد يعتد به أن علياً مات وله أكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلا شك سنة أربعين من الهجرة ، فصح أنه كان حين هاجر^(١٩٧) النبي ﷺ ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت مدة النبي ﷺ بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليه السلام ولعلی عشرة أعوام ، فإسلام ابن عشرة أعوام ودعاؤه إليه إنما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا أن عنده غناء ، ولا أن عليه إنما إن أبي ، فإن أخذ الأمر على قول من قال إن عليا مات وله ثمان وخمسون سنة ، فإنه كان إذ بعث النبي ﷺ ابن خمسة أعوام ، وكان إسلام أبي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة ، وهو الإسلام المأمور به من عند الله عز وجل ، وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة أبي بكر وعمر رضی الله عنهما بلا شك أسبق من سابقة علي ، وأما عمر فإن كان إسلامه تأخر بعد البعث بستة أعوام فإن غناؤه كان أكثر من غناء أكثر من أسلم قبله ولم يبلغ على حد التكليف إلا بعد أعوام من مبعث النبي ﷺ ، وبعد أن أسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد أن عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الألاق وأما كونه لم يعبد قط^(١٩٨) وثنا فنحن وكل مولود في الإسلام لم نعبد قط وثنا ، وعمار والمقداد^(١٩٩) وسلمان^(٢٠٠) وأبو ذر ، وحزمة ،

(١٩٧) في (خ) : (هجرة) .

(١٩٨) سقط من (أ) (قط) .

(١٩٩) المقداد بن عمرو ، يعرف بابن الأسود ، الكندي الحضرمي أبو معبد ، صحابي من الأبطال . أول من قاتل على فارس في سبيل الله ،

وكان في الجاهلية من سكان حضرموت ، شهد بدرًا وغيرها وسكن المدينة وتوفى على مقربة منها سنة ٣٣ هـ . (الاصابة ت ٨١٨٥) .

(٢٠٠) سلمان الفارسي ، صحابي ، كان يسمى نفسه سليمان الإسلام ، أصله من مجوس أصهبان ، عاش عمراً طويلاً ، قرأ كتب الفرس —

وجعفر ، رضى الله عنهم قد عبدوا الأوثان أفترانا أفضل منهم من أجل ذلك ؟ معاذ الله من هذا ، فإنه لا يقوله مسلم ، فبطل أن يكون هذا يوجب لعلی فضلا [على أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، ولو كان ذلك يوجب له فضلا]^(٢٠١) زائدا لكانت عائشة سابقة لعلی رضى الله عنهما فى هذا الفضل ، لأنها كانت إذ هاجر النبى ﷺ بنت ثمانى سنين وأشهر ، ولم تولد إلا بعد إسلام أبيها^(٢٠٢) بسنين ، وعلى ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبى ﷺ بسنين ، وعبد الله بن عمر أيضا أسلم أبوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا ، فهو شريك لعلی فى هذه الفضيلة .

وقال بعضهم على كان أسوسهم .

قال أبو محمد : وهذا باطل لا خفاء به على مؤمن ولا كافر ، فقد درى البعيد والقريب والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من ساس^(٢٠٣) الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبى وأذعن الجميع للتقية^(٢٠٤) وقبول ما دعت إليه العرب حاشا أبا بكر ، فهل ثبت أحد ثبات أبى بكر على كلب العدو وشدة الخوف .. ؟ حتى دخلوا فى الإسلام أفواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جمعهم ولا تضافرهم ولا قله أهل الإسلام حتى أنار الله الإسلام وأظهره ، ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكهما حتى أخضع حدود فارس والروم ، وصرع جلودهم^(٢٠٥) ونكس راياتهم وأظهر الإسلام فى أقطار الأرض وذلل الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم ، واستغنى فقيرهم ، وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرأوا القرآن ، وتفقهوا فى الدين إلا أبو بكر^(٢٠٦) .. ؟ ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قد رأى الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين ، وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف ، وشك بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الألوف ، وشغلهم بذلك عن أن يفتح من بلاد الكفر قرية أو يدعروهم سرب ، أو يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بأيدي المسلمين من بلادهم ، فلم يجتمع المسلمون إلى اليوم^(٢٠٧) فأين سياسة من سياسة ؟

قال أبو محمد : فإذا قد بطل كلما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا إلا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شيء منها وضح بالبرهان كما أوردنا أن أبا بكر هو الذى فاز بالقدح

والجهود ، وقصد بلاد العرب وقابل الرسول ﷺ وأسلم ، وجعل أميراً على المدائن فاقام بها إلى أن توفى عام ٣٦ هـ له فى كتب الحديث ٦٠

حديثاً . (طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٣) .

(٢٠١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٠٢) فى (خ) : أبيها .

(٢٠٣) فى (أ) : (سائر) وهو تحريف .

(٢٠٤) فى (أ) : (للبقية) .

(٢٠٥) جلودهم : جمع جلد وهو القوى - وفى الأصل : جدودهم بدالين .

(٢٠٦) كان ينبغى أن يأتي بالاستثناء (إلا أبو بكر) بعد قوله : واستغنى فقيرهم حتى يستقيم الأسلوب .

(٢٠٧) فى (أ) : (القيامة) وهو تحريف .

المعلی ، والسبق المبرز ، والحظ الأسنى ، في العلم والقرآن والجهاد ، والزهد والتقوى والخشية ، والصدقة والعتق والمشاركة ، والطاعة والسياسة . فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي ﷺ .

قال أبو محمد : ولم نحتاج عليهم بالأحاديث لأنهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق أحاديثهم وإنما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكوف ، فإن كانت الإمامة تُستحق بالتقدم في الفضل فأبو بكر أحق الناس بها بعد موت رسول الله ﷺ يقينا ، فكيف والنص على خلافته صحيح .. ؟ وإذ قد صحت إمامة أبي بكر رضي الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضي الله عنه فوجبت إمامة عمر فرضا بما ذكرنا ، وياجماع أهل الإسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ، ثم أجمعت الأمة كلها أيضا بلا خلاف من أحد منهم على صحة إمامة عثمان والدينونة بها ، وأما خلافة علي فحق لا بنص ولا بإجماع لكن يبرهان سنذكره إن شاء الله في الكلام في حروبه .

قال أبو محمد : ومن فضائل أبي بكر المشهورة قوله عز وجل « إذ أخرجنا الذين كفروا ثانی اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » (٢٠٨) .

فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبو بكر ، فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجهم مع رسول الله ﷺ في أنه خصه باسم الصحبة له ، وبأنه ثانيه في الغار ، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما ، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد .

قال أبو محمد : فاعترض في هذا بعض أهل القحفة فقال : قد قال الله عز وجل : فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا (٢٠٩) .

قال : وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد : وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر ، وبأنهما مختلفان ، فإنما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط .

كما قال تعالى : « وإلى مدین أخاهم شعيبا » (٢١٠) .

فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب ، فليس هكذا قوله تعالى - إذ يقول

(٢٠٨) سورة التوبة آية رقم ٤٠

(٢٠٩) سورة الكهف آية رقم ٢٤ وقد جاءت الآية محرفة في (أ) بقوله : إذ .

(٢١٠) سورة الأعراف آية رقم ٨٥

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، بل جعله صاحبه في الدين والهجرة ، وفي الاخراج وفي الغار ، وفي نصره الله تعالى لهما وإخافة الكفار لهما ، وفي كونه تعالى معهما ، فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن ، وأما حزن أبى بكر رضى الله عنه فإنه قبل أن ينهاه عنه^(٢١١) رسول الله ﷺ كان غاية الرضا لله ، لأنه كان اشفاقا على رسول الله ﷺ ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم ، وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولو كان لهؤلاء الأزدال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا إذ لو كان حزن أبى بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله ﷺ عيبا ، لأن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام « سنشدَّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ^(٢١٢) » .

ثم قال تعالى عن السحرة إنهم قالوا لموسى « إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى^(٢١٣) » فهذا رسول الله ﷺ وكليمه قد كان أخبره الله عز وجل بأن فرعون وملائه لا يصلون إليه ، وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب ، ثم أوجس في نفسه خيفة بعد ذلك إذ رأى أمر السحرة حتى أوحى الله عز وجل إليه لا تخف ، فهذا أمر أشد من أمر أبى بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر وحاشا لله أن يلزمه من أن حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله ﷺ لزم أشد منه لموسى عليه السلام وأن إيجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا ، بل إيجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم ، وحزن أبى بكر رضى الله عنه رضا لله تعالى قبل أن ينهى عنه ، ولم يكن تقدم إليه نهى عن الحزن ، وأما محمد ﷺ فإن الله عز وجل قال « ومن كفر فلا يحزنك كفره^(٢١٤) » .

وقال تعالى : « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون^(٢١٥) » .

وقال تعالى : « فلا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا^(٢١٦) » .

وقال تعالى : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات^(٢١٧) » .

وقال تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا^(٢١٨) » .

(٢١١) سقط من (أ) (عنه) .

(٢١٢) سورة القصص آية رقم ٣٥

(٢١٣) سورة طه آية رقم ٦٦

(٢١٤) سورة لقمان آية رقم ٢٣

(٢١٥) سورة النحل آية رقم ١٢٧

(٢١٦) سورة يونس آية رقم ٦٥

(٢١٧) سورة فاطر آية رقم ٨

(٢١٨) سورة الكهف آية رقم ٦

ووجدناه عز وجل قد قال : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون^(٢١٩) » .

وقاله أيضا فى الأنعام فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذى يقولون ، ونهاه عز وجل عن ذلك نصا ، فيلزمهم فى حزن رسول الله ﷺ الذى نهاه الله تعالى عنه كالذى أرادوا فى حزن أبى بكر سوا سوا . ونعم إن حزن رسول الله ﷺ بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل أن ينهاه الله عز وجل [وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربه تعالى عن الحزن ، كما كان حزن أبى بكر طاعة لله عز وجل قبل أن ينهاه الله عز وجل عن الحزن]^(٢٢٠) وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عليه السلام عن الحزن ، فكيف وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن يومئذ .. ؟ !! لكن نهاه عليه السلام عن أن يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام « ولا تطع منهم آثما أو كفورا^(٢٢١) » .

فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم ، وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال .

قال أبو محمد : واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله ﷺ على بن أبى طالب خلف أبى بكر رضى الله عنهما فى الحججة التى حجها أبو بكر ، وأخذ براءة من أبى بكر ، وتولى على تبليغها إلى أهل الموسم وقراءتها عليهم .

قال أبو محمد : وهذا من أعظم فضائل أبى بكر لأنه كان أميراً على بن أبى طالب وغيره من أهل الموسم ، لا يدفعون إلا بدفعة ولا يقفون إلا بوقوفه ولا يصلون إلا بصلاته ، وينصتون إذا خطب وعلى فى الجملة كذلك ، وسورة براءة وقع فيها فضل أبى بكر رضى الله عنه وذكره فى أمر الغار وخروجه مع النبى ﷺ وكون الله تعالى معهما فقراءة على لها أبلغ فى إعلان فضل أبى بكر على على ، وعلى سواه ، وحجة لأبى بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : إلا أن ترجع الروافض إلى إنكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه ، فهذا أمر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم ، إلى كل عالم وجاهل ، فإنه لا يمتري كافر ولا مؤمن فى أن هذا الذى بين اللوحين من الكتاب هو الذى أتى به محمد ﷺ وأخبرنا بأنه أوحاه الله تعالى إليه فمن تعرض [إلى]^(٢٢٢) هذا فقد أقر بعين عدوه .

قال أبو محمد : وما يعترض إمامة أبى بكر إلا زار على رسول الله ﷺ ، رادٍ لأمره فى

(٢١٩) سورة الأنعام آية رقم ٣٣ وقد جاءت هذه الآية معرفة فى (أ) .

(٢٢٠) ما بين القوسين سقط من (خ) .

(٢٢١) سورة الإنسان آية رقم ٢٤ .

(٢٢٢) سقط من (أ) إلى .

تقديمه أبا بكر إلى الصلاة بأهل الإسلام ، مرید لزالته عن مقام إقامة فيه رسول الله ﷺ .
قال أبو محمد : ولسنا من كذبهم في تأويلهم « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
وأسيراً^(٢٢٣) » .
وأن المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من
فعل ذلك .

قال أبو محمد : فصح بما ذكرنا فضل أبي بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء
النبي ﷺ بالبراهين المذكورة ، وأما الأحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول الله ﷺ في أبي بكر
« دَعُوا لِي صَاحِبِي فَإِنَّ النَّاسَ قَالُوا كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ^(٢٢٤) » .
وقوله ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنَّهُ أَخِي
وَصَاحِبِي^(٢٢٥) » .

وهذا الذى لا يصح غيره ، وأما إخوة على فلا تصح إلا مع سهل بن حنيف ، ومنها أمره
ﷺ بسد كل باب وخوخه في المسجد حاشا خوخة أبي بكر . وهذا هو الذى لا يصح غيره .
ومنها غضبه ﷺ على من خارج أبا بكر وعلى من أشار عليه بغير أبي بكر للصلاة ومنها
قوله ﷺ : « إن من أمن الناس على في ماله أبا بكر^(٢٢٦) » وعمدتنا في تفضيل أبي بكر ثم عمر
على جميع الصحابة بعد نساء النبي ﷺ هو قول رسول الله ﷺ إذ سئل من أحب الناس إليك
يا رسول الله . قال : عائشة . قيل فمن الرجال ؟ قال : أبوها . قيل ثم من يا رسول الله ؟ قال :
عمر » .

قال أبو محمد : فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله ﷺ بيانا لزدنا لكننا لا نقول في
شئ من الدين إلا بما جاء به النص .

قال أبو محمد : واختلف الناس فيمن أفضل أعثمان أم على رضى الله عنهما ؟

(٢٢٣) سورة الإنسان آية رقم ٨
(٢٢٤) الحديث رواه البخارى ١٧ و ١٨ في فضائل أصحاب النبي - ﷺ باب قول النبي - ﷺ . لو كنت متخذًا خليلًا وى تفسير
سورة الأعراف باب : قل يا أيها الناس إلى رسول الله إليكم جميعًا . ولفظه : هل أنتم تاركون لى صاحبي ؟ هل أنتم تاركون لى صاحبي ؟.. إلى
قلت : يا أيها الناس إلى رسول الله عليكم جميعًا ، فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدقت .
(٢٢٥) الحديث رواه مسلم رقم ٢٣٨٣ في فضائل الصحابة : باب مناقب أبي بكر الصديق - رضى الله عنه ، والترمذى رقم ٣٦٥٦ في
المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق - رضى الله عنه ولفظه : لو كنت متخذًا خليلًا لآتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخي وصاحبي .
(٢٢٦) لفظ الحديث : قال رسول الله - ﷺ : « من أمن الناس على في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلًا ، لآتخذت
أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقيين في المسجد خوخه إلا خوخة أبي بكر ، رواه البخارى ومسلم رقم ٢٣٨٢ في فضائل أبي بكر
والترمذى رقم ٣٦٦١ باب مناقب أبي بكر - رضى الله عنه .

قال أبو محمد : والذي يقع في نفوسنا دون أن نقطع به ولا نخطيء من خالفنا في ذلك فهو أن عثمان أفضل من علي ، والله أعلم ، لأن فضائلهما تتقاوم في الأكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية .

ولعل أيضا حظ قوى في القراءة ، ولعثمان أيضا حظ قوى في الفتيا والرواية ، ولعل مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ، ثم انفرد عثمان بأن رسول الله ﷺ بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان ، وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم^(٢٢٧) محمود ولم يحضر بدرًا فألحقه الله عز وجل فيهم بأجره التام وسهمه ، فألحقه بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات في الإسلام عظيمة لم تكن لعل ، وسيرة في الإسلام هادية ، ولم يتسبب بسفك دم مسلم ، وجاءت فيه آثار صحاح ، وأن الملائكة تستحي منه^(٢٢٨) وأنه ومن اتبعه على الحق والذي صح من فضائل على فهو قول النبي ﷺ : « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . » وقوله عليه السلام : « لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »^(٢٢٩) وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام : أَنْ عَلِيًّا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ^(٢٣٠) وقد صح مثل هذه في الأنصار رضى الله عنهم أنه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر « وأما من كنت مولاه فعلى مولاه » فلا يصح من طريق الثقات أصلا . وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها .

قال أبو محمد : ونقول بفضل^(٢٣١) المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب قطعا إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان ، وعثمان بن مظعون ، وعلي وجعفر ، وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وسعد وزيد بن حارثة ، وأبي عبيدة وبلال ، وسعيد بن زيد وعمار بن ياسر ، وأبي سلمة وعبد الله

(٢٢٧) في (خ) : (مكرر) .

(٢٢٨) الحديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه ولفظه : ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة .

(٢٢٩) الحديث رواه البخاري في المغازي باب غزوة تبوك ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي ومسلم رقم ٢٤٠٤ في فضائل

أصحاب النبي والترمذي رقم ٣٧٣١ في المناقب ، باب مناقب علي - رضي الله عنه - ولفظه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

(٢٣٠) الحديث رواه مسلم رقم ٢٤٠٤ في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه والترمذي رقم ٣٧٢٦ في

المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولفظه : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله قال : فتناولنا ، فقال : ادعوا لي عليا فأتي به أرمم فبصق في عييه ، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه .

(٢٣١) الحديث أخرجه الترمذي رقم ٢٧١٩ في المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - واسناده ضعيف ولكن يشهد له

حديث والذي فلق الحبة ورأى النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يجنبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق . أخرجه مسلم والترمذي والنسائي .

(٢٣٢) في (أ) : تفضل - وهو تحريف .

ابن جحش وغيرهم من نظرائهم . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل المشاهد كلها مشهداً مشهداً . فأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى أهل (٢٣٣) الحديدية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا كلهم (٢٣٤) على الإيمان والهدى والبر ، كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار ألبتة ، لقول الله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم » (٢٣٥) . وكقوله عز وجل : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم » (٢٣٦) .

قال أبو محمد : فمن أخبرنا أن الله عز وجل أنه علم ما فى قلوبهم رضى الله عنهم ، وأنزل السكينة عليهم ، فلا يجل لأحد التوقف فى أمرهم ، ولا الشك فىهم ألبتة ، ولقول رسول الله ﷺ « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر » (٢٣٧) وإخباره عليه السلام .. أنه لا يدخل النار أحد شهد بدرًا . ثم نقطع على أن كل من صحب رسول الله ﷺ بنية صادقة ولو ساعة فإنه من أهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب إلا أنهم لا يلحقون بمن أسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل .. لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » (٢٣٨) .

وقال تعالى : « وعد الله لا يخلف الله وعده » (٢٣٩) .

وقال تعالى : « إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفرع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » (٢٤٠) فصح بالضرورة أن كل من أنفق من قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبة (٢٤١) لتفضيل الله تعالى إياهم ، والله تعالى لا يفضل إلا مؤمنا فاضلا ، وأما من أنفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله ﷺ فكيف نحن .

(٢٣٣) فى (أ) : سقطت كلمة (أهل) .

(٢٣٤) سقط من (أ) كلهم .

(٢٣٥) سورة الواقعة آية رقم ١٠

(٢٣٦) سورة الفتح آية رقم ١٨

(٢٣٧) الحديث رواه مسلم فى المناقير ١٢ ورواه الترمذى فى المناقب ٥٨ ، والدارمى فى الصلاة ٢٢٢ ولفظه عند مسلم : وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر ، فأتيناها فقلنا له تعالى يستغفر لك رسول الله ﷺ - إلخ .. وصاحب الجمل الأحمر : هو : الجدى ابن قيس .

(٢٣٨) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٢٣٩) سورة الروم آية رقم ٦

(٢٤٠) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٣

(٢٤١) فى (أ) : عينه .

قال الله تعالى « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم^(٢٤٢) .

قال أبو محمد : فلماذا لم نقطع على كل امرئ منهم بعينه لكن نقول : كل من لم يكن منهم من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا ، لأنه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم ، وأخبر أنه لا يخلف وعده . وأن من سبقت له الحسنى فهو مبعود من النار لا يسمع حسيستها ، ولا يحزنه الفرع الأكبر ، وهو فيما اشتبهى خالد . وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل أنه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًا ، وطلحة ، والزبير ، وعمار ، والمغيرة بن شعبة ، رضى الله عنهم من أهل هذه الصفة ، والخوارج ، والروافض ، قد انتظمت الطائفتان الملعوتتان البراءة منهم ، خلافا لله عز وجل ، وعنادًا له . ونعوذ بالله من الخذلان .

قال أبو محمد : فهذا قولنا في الصحابة رضى الله عنهم فأما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على عينهم واحدا واحدا إلا من بان منه احتمال المشقة في الصبر للدين ، ورفض الدنيا لغير عرض^(٢٤٣) استعجله ، إلا أننا لا ندرى على ماذا مات ، وإن بلغنا الغاية في تعظيمهم ، وتوقيرهم ، والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم ، لكن نتولاهم جملة قطعًا ، ونتولى كل إنسان منهم بظاهره ، ولا نقطع على أحد منهم بجنة ، ولا نار . لكن نرجو لهم ، ونخاف عليهم إذ لا نص في إنسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل إلا بنص من عنده . لكن نقول : كما قال رسول الله ﷺ : خيركم القرن الذى بعثت فيه ثم الذى يلونهم ثم الذى يلونهم^(٢٤٤) .. « ومعنى هذا الحديث إنما هو أن^(٢٤٥) كل قرن من هذه القرون التى ذكر عليه السلام أكثر فضلا بالجملة من القرن الذى بعده . لا يجوز غير هذا ألبتة .

ويرهان ذلك أنه قد كان في عصر التابعين من هو أفسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المرى وحبيش بن دكخة القينى ، والحجاج بن يوسف الثقفى وقتلة عثمان ، وقتلة الزبير وقتلة الحسين رضى الله عنهم ، ولعن قتلهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا^(٢٤٦) في هذا الخبر لزمه أن يقول : ان هؤلاء

(٢٤٢) سورة التوبة آية رقم ١٠١

(٢٤٣) في (أ) : غرض .

(٢٤٤) الحديث رواه البخارى في الشهادات ٩ وفضائل الصحابة ١ وأيمان ١٠ ورواه الترمذى في الفتن ٤٥ والشهادات ٤ والمناقب ٥٦

وابن ماجه في الأحكام ٢٧ وأحمد بن حنبل في المسند - ١ ص ٢٧٨ ولفظه عند ابن ماجه « سئل رسول الله ﷺ - أى الناس خير .. ؟ قال : قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجيء قوم تبدو شهادة أحدهم بينه وبينه شهادته . »

(٢٤٥) سقط من (أ) أن .

(٢٤٦) في (خ) : بزيادة (معنى) .

الفساق الأخابث أفضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده ، كسفيان الثوري^(٢٤٧) والفضيل ابن عياض^(٢٤٨) ومسعر بن كدام^(٢٤٩) وشعبة^(٢٥٠) ومنصور بن المعتمر^(٢٥١) ومالك^(٢٥٢) والأوزاعي^(٢٥٣) والليث^(٢٥٤) وسفيان بن عيينه^(٢٥٥) وكيع^(٢٥٦) وابن المبارك^(٢٥٧) والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه ، وداود بن علي رضي الله عنهم ، وهذا ما لا يقوله أحد وما يبعد أن يكون في زماننا وفيمن يأتي بعدنا من هو أفضل من أفضل^(٢٥٨) رجل من التابعين عند الله عز وجل ، إذ لم يأت في المنع من ذلك نص ولا دليل أصلا ، والحديث المأثور في أويس القرني لا يصح لأن مداره على أسيد ابن جابر وليس بالقوي ، وقد ذكر شعبة أنه سأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادى من أشرف

(٢٤٧) سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور من مضر أبو عبد الله ، أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد سنة ٩٧ هـ بالكوفة ، ورواه المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة مات بالبصرة مخفياً من المهدي سنة ١٦١ هـ له من الكتب « الجامع الكبير والجامع الصغير وكتاب في الفرائض » . طبقات ابن سعد ح ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٢٤٨) الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي اليربوعي ، أبو علي . شيخ الحرم المكي ، من أكابر العلماء الصالحين ، كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه الإمام الشافعي ، ولد في سمرقند سنة ١٠٥ هـ ودخل الكوفة وأصله منها ثم سكن مكة وتوفى بها عام ١٨٧ هـ : شذرات الذهب ح ٨ ص ٢٢٣

(٢٤٩) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي ، أبو سلمة من ثقات أهل الحديث ، كوفي ، كان يقال له « المصحف » لعظمة الثقة بما يرويه وكان مرجحاً وعنده نحو ألف حديث وخرج له السنة توفى بمكة سنة ١٥٢ هـ . (تهذيب التهذيب ح ١٠ ص ١١٣) .
(٢٥٠) شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي أبو بسطام من أئمة رجال الحديث ، ولد بواسط عام ٨٢ هـ قال الإمام أحمد ، هو أمة وحده في هذا الشأن وقال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، له كتاب الترائب في الحديث . (تهذيب التهذيب ح ٤ ص ٣٣٨) .
(٢٥١) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمى أبو عتاب من أعلام رجال الحديث من أهل الكوفة . لم يكن فيها أحفظ للحديث منه وكان ثقة ثبتا توفى سنة ١٣٢ هـ . (التهذيب ح ١ ص ٣١٢) .

(٢٥٢) مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية ولد سنة ٩٣ هـ بالمدينة سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به فصنفه الموطأ وله رسالة في الرد على القدرية . توفى سنة ١٧٩ هـ . (الوفيات ح ١ ص ٤٣٩) .

(٢٥٣) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو من قبيلة الأوزاع أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه والزهد وأحد الكتاب المترسلين ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن بيروت ، وعرض عليه القضاء فامتنع له كتاب السنن في الفقه والمسائل توفى سنة ١٥٧ هـ . (الوفيات ح ١ ص ٢٧٥) .

(٢٥٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، أصله من خراسان ومولده في قلقشنده سنة ٩٤ هـ وكان من الكرماء الأحرار ، قال الشافعي : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . لابن حجر كتاب : الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية . توفى بالقاهرة عام ١٧٥ هـ . (وفيات الأعيان ح ١ ص ٤٣٨) .

(٢٥٥) سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد . محدث الحرم المكي من الموالى ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ وسكن مكة . كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، حج سبعين مرة له كتاب في التفسير ، وآخر في الحديث توفى سنة ١٩٨ هـ . (تذكرة الحفاظ ح ١ ص ٢٤٢) .

(٢٥٦) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان . حافظ للحديث ، ثبت كان محدث العراق في عصره ، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ ، وأراد أن يوليئه الرشيد قضاء الكوفة فامتنع ورعاً وكان يصوم الدهر له كتب منها تفسير القرآن والسنن ، والمعرفة ، والتاريخ توفى سنة ١٩٧ هـ . (تذكرة الحفاظ ح ١ ص ٢٨٢) .

(٢٥٧) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح التيمي أبو عبد الرحمن الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات أفنى عمره في الأسفار حاجاً ، ومجاهداً وتاجراً ، وجمع الحديث والفقه والعربية ، كان من سكان خراسان ومات بهيت على الفرات منصرفاً من غزو الروم عام ١٨١ هـ له كتاب في الجهاد ، والرقائق . (تذكرة الحفاظ ح ١ ص ٢٥٣) .

(٢٥٨) سقط م (أ) (من أفضل) .

مراد وأعلمهم بهم عن أويس القرني فلم يعرفه في قومه ، وأما الصحابة رضی الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل إلى أن يلحق أقلهم درجة أحد من أهل الأرض ، وبالله تعالى التوفيق .

قال أبو محمد : وذهب بعض الروافض إلى أن لذوى قرابة رسول الله ﷺ فضلا بالقرابة فقط ، واحتج بقول الله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض (٢٥٩) .

وبقوله عز وجل « قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى (٢٦٠) » وبقوله تعالى « وابعث فيهم رسولا منهم (٢٦١) » .

قال أبو محمد : وهذا كله لا حجة فيه ، أما اخباره تعالى بأنه اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين . فإنه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : إما ان يعنى كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء أو يعنى مؤمنى أهل بيت إبراهيم وعمران (٢٦٢) لا يجوز غير هذا لأن آذر والد إبراهيم عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار ، فإن أراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا ننازعه في أن موسى وهارون من آل عمران ، وان اسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف من آل إبراهيم مصطفون على العالمين ، فأى حجة هاهنا لبنى هاشم ؟

فإن ذكروا الدعاء المأمور به وهو ، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد .

فالقول في هذا كما قلنا ولا فرق ، وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصلى عليهم إن صلاتك سكن لهم (٢٦٣) » .

وقال رسول الله ﷺ : اللهم صل على آل أبي أوفى (٢٦٤) فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف ، وكذلك الدعاء في التشهد المفترض في كل صلاة من قول المصلى (٢٦٥) : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنوا هاشم وغيرهم في اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق ، وقال تعالى : « وبشر

(٢٥٩) سورة آل عمران آية رقم ٣٣

(٢٦٠) سورة الشورى آية رقم ٢٣

(٢٦١) سورة البقرة آية رقم ١٢٩

(٢٦٢) في (أ) : وعمر ، أن : وهو تحريف .

(٢٦٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣

(٢٦٤) الحديث رواه البخارى في الدعوات ٣٢ وأبو داود في الزكاة ٧ والنسائي في الزكاة ١٣ وابن ماجه في الزكاة ٨ وأحمد بن حنبل

٣٨٣ ، ٣٨١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٣/٤

(٢٦٥) في (أ) : المصطفى

الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون^(٢٦٦) فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر واستوى في هذا كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم من كان جميعهم بهذه الصفة ، وأيضا فيلزم من احتج بقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين^(٢٦٧) » أن يقول : إن من أسلم من المهارونيين من اليهود أفضل من بنى هاشم ، وأشرف وأولى بالتقديم ، لأنه من آل عمران ومن آل إبراهيم وفيهم ورد النص .

قال أبو محمد : فصح يقينا أن الله عز وجل إنما أراد بذلك الأنبياء عليهم السلام فقط ويين هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام أنه قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . « فسوى الله تعالى بين الظالمين^(٢٦٨) » من ذرية إبراهيم عليه السلام وبين^(٢٦٩) الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل : إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا^(٢٧٠) [النبي عليه السلام]^(٢٧١) فخص الله تعالى بولاية إبراهيم عليه السلام ومن اتبع إبراهيم كائنا من كان فدخل في هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل .

وأما قول الله عز وجل « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى^(٢٧٢) » . فهذا حق على ظاهره ، وإنما أراد عليه السلام من قريش أن يودوه لقربته^(٢٧٣) منهم ولا يختلف أحد من الأمة في أنه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين أن يودوا أبا لهب وهو عمه ولا شك في أنه عليه السلام أراد من المسلمين مودة بلال ، وعمار ، وصهيب^(٢٧٤) ، وسلمان ، وسالم ، مولى أبي حذيفة^(٢٧٥) ، وأما قوله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام « وابعث فيهم رسولا منهم^(٢٧٦) » فقد قال عز وجل « وإن من أمة

(٢٦٦) سورة القرة آية رقم ١٥٥

(٢٦٧) سورة آل عمران آية رقم ٣٣

(٢٦٨) ما بين القوسين من (أ) .

(٢٦٩) في (أ) : سقط « وبين » .

(٢٧٠) سورة آل عمران آية رقم ٦٨

(٢٧١) ما بين القوسين سقط من (أ) .

(٢٧٢) سورة الشورى آية رقم ٢٣

(٢٧٣) في (أ) : زيادة « وار » وهو تحريف .

(٢٧٤) صهيب بن سنان بن مالك من بنى النمر من قاسط : صحابي ومن أرمى العرب سهما أحد السابقين إلى الإسلام ، كانت منازل قومه في أرض الموصل اختطف وبيع في مكة ، احترق التجارة ، أسلم وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها له ٣٠٧ حديثًا وتوفي بالمدينة سنة ٣٨ هـ . (طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٦١) .

(٢٧٥) سالم مولى أبي حذيفة : هو سالم بن معقل ، أبو عبد الله ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . صحابي من كبارهم فارس الأصل ، اعتقته ثيبته روج أبي حذيفة صغيرًا وتبناه أبو حذيفة وزوجه ابنة أخ له وهو من السابقين إلى الإسلام وفي الحديث خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، شهد بدرًا وكان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة وقتل فيها سنة ١٢ هـ . (الأصابة ت ٣٠٥٢) .

(٢٧٦) سورة القرة آية رقم ١٢٩

إلا خلا فيها نذير^(٢٧٧)» وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم^(٢٧٨) » فاستوت الأمم كلها في هذه الدعوة بأن يبعث فيهم رسولا منهم ممن هم قومه ، فإن احتج محتج بالحديث الثابت الذي فيه : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم^(٢٧٩) » (فمعناه ظاهر وهو أنه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش ، وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بنى إسماعيل كما اصطفى أن يكون موسى من بنى لاوى ، وأن يكون بنو لاوى من بنى إسحاق عليه السلام ، وكل نبي من عشيرته التي هو منها ، ولا يجوز غير هذا ألبتة ، ونسأل من أراد هذا الحديث على غير هذا المعنى أيدخل أحد من بنى هاشم أو من قريش أو من كنانة أو من بنى إسماعيل النار أم لا ؟ فإن انكروا هذا كفروا ، وخالفوا الإجماع والقرآن والسنة ، وقد قال عليه السلام ، أبى وأبوك في النار ، وأن أبا طالب في النار^(٢٨١) .

وجاء القرآن بأن أبا لهب في النار ، وسائر كفار قريش في النار ، كذلك قال الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ما له وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب^(٢٨٢) » .

فإذا أقر بأنه قد يدخل النار منهم من يستحق أن يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس .

قال أبو محمد : ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله ﷺ : يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا^(٢٨٣) .

(٢٧٧) سورة فاطر آية رقم ٢٤

(٢٧٨) سورة إبراهيم آية رقم ٤

(٢٧٩) الحديث رواه مسلم في الفضائل رقم ١ والترمذي في المناقب رقم ١ ورواه أحمد بن حنبل ج ٤ ص ١٠٧ ولفظه عند مسلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم .

(٢٨٠) في (أ) : سقط (بنى) .

(٢٨١) الحديث رواه أبو داود في كتاب السنة في باب ذراري المشركين رقم ٤٧١٨ ولفظه عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، أين أبى ؟ قال « أبوك في النار » فلما قفى قال : إن أبى وأباك في النار .

(٢٨٢) سورة المسد آيات من ١ - ٣

(٢٨٣) الحديث رواه البخارى في الوصايا ١١ و تفسير سورة ٣٦ ، والمناقب ١٣ ورواه مسلم في الإيمان ٣٥١ والنسائي في الوصايا ٦ والدارمي في الرقاق ٢٣ ولفظه عند البخارى : يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب ... الخ .

وأبين من هذا كله قول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »^(٢٨٤) .

وقوله تعالى : لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم^(٢٨٥) .

وقوله تعالى : « واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً »^(٢٨٦) .

وقال تعالى : « وذكر عادًا وثمودًا وقوم نوح وقوم لوط » .

ثم قال : أكفاركم خير أم أولئكم أم لكم براءة في الزبر^(٢٨٧) .

فصح ضرورة انه لا ينتفع أحد بقرابته من رسول الله ﷺ ، ولا من نبي من الأنبياء والرسل ، عليهم السلام . ولو أن النبي ابنه أو أبوه أو أمه بنية .

وقد نص الله تعالى : في ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد - على رسل الله الصلاة والسلام - ما فيه الكفاية .

وقد نص الله تعالى على أن من انفق من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، فصح ضرورة أن بلالاً ، وصهيباً ، والمقداد ، وعماراً وسالمًا ، وسلمان ، أفضل من العباس ، وبنيه عبد الله ، والفضل^(٢٨٨) ، وقثم^(٢٨٩) ومعبد^(٢٩٠) ، وعبيد الله^(٢٩١) ، وعقيل بن أبي طالب^(٢٩٢) ، والحسن والحسين ، رضى الله عن جميعهم . بشهادة الله تعالى ، فإذ هذا لا شك فيه

(٢٨٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣

(٢٨٥) سورة الممتحنة آية رقم ٣

(٢٨٦) سورة لقمان آية رقم ٣٣

(٢٨٧) سورة القمر آية رقم ٤٣

(٢٨٨) الفضل بن العباس ، وكان أكبر ولده وبه كان يكنى ، وكان جميلًا وأردفه رسول الله ﷺ في حجته ومات في الشام في طاعون عمواس وليس له عقب . طبقات ابن سعد ح ٤ ص ٦ .

(٢٨٩) قثم بن العباس كان يشبه النبي - ﷺ - وكان خرج إلى خراسان مجاهدًا فمات بسمرقند وليس له عقب . طبقات ابن سعد

ح ٤ ص ٦ .

(٢٩٠) ومُعَبَّد قتل بافريقيا شهيدًا وله عقب وأمه : أم الفضل وهي لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن بن بُجَيْر وفيها وفي أولادها يقول

الشاعر : ما ولدت نجبية من فحل بجبل تعلمه أو سهل كسنته من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل . طبقات ابن سعد ح ٤ ص ٦ .

(٢٩١) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو محمد والي كان أصغر من أخيه عبد الله نسيه رأى السبي - ﷺ - ولم يرو عنه شيئاً واستعمله على علي بن ابي طالب فحج بالناس سنة ٣٦ هـ وسنة ٣٧ هـ وأورد له البغدادي أخبارًا حسنا في الجود توفى سنة ٨٧ هـ . خزائن البغدادي

ح ٣ ص ٢٥٦ .

(٢٩٢) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب كنيته أبو يزيد ، أعلم قريش بأيامها وأنسائها ، صحابي فصيح اللسان ، شديد الجواب

- وهو أخو علي وجعفر لأبيهما ، بقي على الشرك إلى أن كانت غزوة بدر فأخرجته قريش للقتال كرهاً فشهدها معهم وأسرهم المسلمون ففداه العباس فرجع إلى مكة ثم أسلم بعد الحديبية وهاجر إلى المدينة سنة ٨ هـ وشهد غزوة مؤتة توفى سنة ٦٠ هـ . الاصابة ت ٥٦٣ .

ولا جزاء فى الآخرة إلا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ، ولا بالولادات وليست الدنيا دار فضل^(٢٩٣) ولا جزاء فلا فرق بين هاشمى وقرشى ، وعربى وعجمى ، وحبشى وابن زنجية لغير^(٢٩٤) الكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل .

حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ، أنبأنا أحمد بن عبد الله البصير ، حدثنا قاسم بن اصبح ، حدثنا محمد بن عبد السلام الخثنى ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان الثورى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « كرم الرجل دينه ، وحسبه خلقه ، وإن كان فارسياً أو نبطياً » .

(٢٩٣) سقط من (أ) كلمة فضل .

(٢٩٤) سقط من (أ) لغير .

الكلام في حرب علي ومن حاربه من الصحابة رضی الله عنهم .

قال أبو محمد : اختلف الناس في تلك الحرب على ثلاث فرق ، فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة ، وجمهور المعتزلة ، وبعض أهل السنة ، أن عليا كان المصيب في حربه ، وكل من خالفه على خطأ .

وقال واصل بن عطاء^(١) ، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل ، وطوائف من المعتزلة أن عليا مصيب في قتاله معاوية ، وأهل النهر ، ووقفوا في قتاله مع أهل الجمل ، وقالوا : إحدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف أيهما هي . وقالت الخوارج : على المصيب في قتاله أهل الجمل ، وأهل صفين ، وهو مخطيء في قتاله أهل النهر .

وذهب سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وجمهور الصحابة إلى الوقوف^(٢) في علي ، وأهل الجمل ، وأهل صفين ، وبه يقول جمهور أهل السنة ، وأبو بكر بن كيسان .

وذهب جماعة من الصحابة ، وخيار التابعين ، وطوائف ممن بعدهم ، إلى تصويب محاربي علي من أصحاب الجمل ، وأصحاب صفين ، وهم الحاضرون لقتاله في اليومين المذكورين ، وقد أشار إلى هذا أيضا أبو بكر بن كيسان .

قال أبو محمد : أما الخوارج ، فقد أوضحنا خطأهم ، وخطأ أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بإنكار تحكيم علي الحكيم ، فستكلم في ذلك إن شاء الله تعالى كما تكلمنا في سائر أحكامهم ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هو واصل بن عطاء الغزالي ، أبو حذيفة من موالى بنى ضبه أو بنى مخزوم رأس المعتزلة ، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى « الواصلية » ، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال وله سنة ٨٠ هـ ومن كتبه « أصناف المرجئة » « والمنزلة بين المنزلتين » وطبقات أهل العلم تولى عام ١٣١ هـ وفيات الأعيان ٢ : ١٧٠ .

(٢) في (ب) : التوقف .

وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نيين له وجه الحق حتى يراه ، وذكروا أيضا أحاديث في ترك القتال في الاختلاف سنذكر لكم جملتها إن شاء الله تعالى فلم يبق إلا الطائفة المصوبة لعل في جميع حروبه ، والطائفة المصوبة ، لمن حاربه من أهل الجمل وأهل صفين .

قال أبو محمد : احتج من ذهب إلى تصويب محاربي على يوم الجمل ويوم صفين بأن قال : إن عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما فالطلب بأخذ القود من قاتليه فرض . قال عز وجل : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا^(٣) » .

وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان^(٤) » .

قالوا : ومن آوى الظالمين فهو إما مشارك لهم ، وإما ضعيف عن أخذ الحق منهم ، وقالوا : وكلا الأمرين حجة في إسقاط إمامة^(٥) من فعل ذلك ووجوب حربه .

قالوا : وما أنكروا على عثمان إلا أقل من هذا ، من جواز انفاذ أشياء بغير علمه ، فقد ينفذ مثلها سرا ولا يعلمها أحد إلا بعد ظهورها .

قالوا : وحتى لو أن كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من أحد ، من أهل الإسلام لأنهم إنما أنكروا عليه استيثارا بشيء يسير من فضلات الأموال ، لم تجب لأحد بعينه فمنعها ، وتولية أقرابه فلما شكوا إليه عز لهم وأقام الحد على من استحقه ، وأنه صرف الحكم ابن أبي العاص^(٦) إلى المدينة ، ونفى رسول الله ﷺ للحكم لم يكن حدا واجبا ، ولا شريعة على التأييد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام ، وصارت الأرض كلها له^(٧) مباحة ، وأنه ضرب عمارا خمسة أسواط ، ونفى أبا ذر إلى الربذة . وهذا كله لا يبيح الدم .

قالوا : وايواء على المحدثين أعظم الأحداث من سفك الدم الحرام في حرم رسول الله ﷺ ، لاسيما دم الإمام ، وصاحب رسول الله ﷺ أعظم ، والمنع من إنقاذ الحق عليهم أشد ، من كل ما ذكرنا بلا شك .

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٢٣

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢

(٥) في (أ) : إمامته على .

(٦) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عم عثمان بن عفان وأبو مروان بن الحكم ، كان من مسلمة الفتح وأخرجه رسول الله من المدينة وطرده عنها فنزل الطائف ، وخرج معه ابنه مروان فلم يزل الحكم بالطائف إلى أن ولي عثمان فرده إلى المدينة توفي في آخر خلافة عثمان .

(٧) سقط من (أ) (له) .

قالوا : وامتناع معاوية من بيعة علي ، كامتناع علي من بيعة أبي بكر ، فما حاربه أبو بكر ، ولا أكرهه ، وأبو بكر أقدر على عليّ من عليّ على معاوية ، ومعاوية في تأخره عن بيعة علي أعذر ، وأفسح مقالا من علي في تأخره عن بيعة أبي بكر ، لأن عليا لم يمتنع من بيعة أبي بكر أحد من المسلمين غيره ، بعد أن بايعه الأنصار ، والزبير ، وأما بيعة علي فإن جمهور الصحابة تأخروا عنها ، إما عليه وإما لا لله ولا عليه ، وما تابعه منهم^(٨) إلا الأقل سوى أزيد من مائة ألف مسلم بالشام ، والعراق ، والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية إلا كواحد من هؤلاء في ذلك ؟

وأيضا فإن بيعة علي لم تكن على عهد من النبي ﷺ كما كانت بيعة أبي بكر ، ولا عن اجماع من الأمة كما كانت بيعة عثمان . ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ، ولا بسوق^(٩) بائن في الفضل على غيره لا يختلف فيه^(١٠) ولا عن شوري ، فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم - أعذر من علي ، في قعوده عن بيعة أبي بكر ستة أشهر حتى رأى البصيرة ، وراجع الحق عليه في ذلك .

قالوا : فإن قلتم خفى على عليّ نص رسول الله ﷺ على أبي بكر : قلنا : لكم لم يخفى عليه بلا شك تقديم رسول الله ﷺ أبا بكر إلى الصلاة ، وأمره عليا بأن يصلي ورآه في جماعة المسلمين ، فتأخره عن بيعة أبي بكر سعى منه في حطه عن مكان جعله رسول الله ﷺ حقا لأبي بكر ، وسعى منه في فسخ نص رسول الله ﷺ على تقديمه إلى الصلاة ، وهذا أشد من رد إنسان نفاه رسول الله ﷺ لذنوب ثم تاب منه ، وأيضا فإن عليا قد تاب ، واعترف بالخطأ لأنه إذ بايع أبا بكر بعد ستة أشهر تأخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من أحد وجهين : إما أن يكون مصيبا في تأخره فقد أخطأ إذ بايع ، أو يكون مصيبا في بيعته فقد أخطأ إذ تأخر عنها قالوا : « والممتنعون من بيعة علي لم يعترفوا قط بالخطأ على أنفسهم في تأخرهم عن بيعته قالوا :^(١١) فإن كان فعلهم خطأ فهو أخف^(١٢) من الخطأ في تأخر علي عن بيعة أبي بكر ، وإن كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطأ جملة ، قالوا : والبون بين طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعلي ، خفى جدا ، فقد كانوا في الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم^(١٣) ، ولا على واحد منهم ، وأما البون بين علي وأبي بكر أبين وأظهر ، فهم من امتناعهم عن بيعته أعذر لخفاء التفاضل . قالوا : وهلا

(٨) في (أ) : فيهم .

(٩) بسق النخل طال ، وبابه دحل ، ومنه قوله تعالى : « والسحل ناسقات » .

(١٠) سقط من (أ) فيه .

(١١) في (أ) : سقط ما بين القوسين .

(١٢) في (ج) : (أخفى) .

(١٣) في (أ) : (شقوق) وهو تحريف .

فعل علي في قتل عثمان كما فعل بقتلة^(١٤) عبد الله بن خباب بن الأرت^(١٥) فإن القضيتين استويا في التحريم ، فالمصيبة في قتل عثمان في الإسلام وعند الله عز وجل وعلى المسلمين أعظم جرماً وأوسع خرقاً ، وأشنع إثماً ، وأهول فيقاً^(١٦) من المصيبة ، في قتل عبد الله بن خباب ، قالوا وفعله في طلب دم^(١٧) عبد الله بن خباب يقطع حجة من تأول على علي أنه يمكن أن يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد .

قال أبو محمد : هذا كل ما يمكن أن تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناها ، ونحن إن شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبنا إليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتأييده .

قال أبو محمد : نبدأ بعون الله عز وجل بإنكار الخوارج التحكيم .

قال أبو محمد : قالوا حكم عليّ الرجال في دين الله تعالى ، والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله .. إن الحكم إلا لله^(١٨) .

ويقوله تعالى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله^(١٩) » .

قال أبو محمد : ما حكم على رضي الله عنه قط رجلاً في دين الله ، وحاشاه من ذلك وإنما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه ، وإنما اتفق القوم كلهم إذ رفعت المصاحف على الرماح ، وتداعوا إلى ما فيها على الحكم بما أنزل الله عز وجل في القرآن ، وهذا هو الحق الذي لا يحل لأحد غيره لأن الله تعالى يقول : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر^(٢٠) .

فإنما حكم على رضي الله عنه أبا موسى وعمراً رضي الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه ، وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن أوجب القرآن الحكم له ، وإذ من المحال الممتنع الذي لا يمكن أن يفهم ، لغط العسكرين أو أن يتكلم جميع أهل العسكر بحجتهم ، فصح يقينا لا محيد عنه صواب علي في تحكيم الحكّمين والرجوع إلى ما أوجبه القرآن ،

(١٤) في (خ) : في قتله .

(١٥) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي أبو يحيى أبو عبد الله ، صحابي من السابقين إلى الإسلام قيل أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه كان في الجاهلية يعمل السيوف شهد المشاهد كلها ونزل بالكوفة فمات بها عام ٣٧ هـ وله ٧٣ سنة . الإصابة ٤١٦ : ١ .

(١٦) فيقاً : شدة .

(١٧) سقط من (خ) (دم) .

(١٨) سورة الأنعام آية رقم ٥٧

(١٩) سورة الشورى آية رقم ١٠

(٢٠) سورة النساء آية رقم ٥٩

وهذا الذى لا يجوز غيره ، ولكن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا فى السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ، لا من أصحاب ابن مسعود ، ولا أصحاب عمر ، ولا أصحاب على ، ولا أصحاب عائشة ، ولا أصحاب أبى موسى ، ولا أصحاب معاذ بن حنبل ، ولا أصحاب أبى الدرداء ، ولا أصحاب سلمان ، ولا أصحاب زيد ، وابن عباس ، وابن عمر ، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها ، فظهر ضعف القوم ، وقوة جهلهم ، وأنهم أنكروا ما قام البرهان الذى أوردنا بأنه حق ، ولو لم يكن من جهلهم إلا قرب^(٢١) عهدهم بخير الأنصار يوم السقيفة ، وإذا عانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين ، لوجب^(٢٢) الأمر فى قريش دون الأنصار ، وغيرهم وأن عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاماً وأشهر ، وجمهورهم أدرك ذلك بسنة ، وثبت عند جميعهم كتابات أمر النبى ﷺ ولا فرق ، لأن الذين نقلوا إليهم أمر رسول الله ﷺ ونقلوا إليهم القرآن ، والشرائع ، فدانوا بكل ذلك هم بأعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص ، نقلوا إليهم خبر السقيفة ، ورجوع الأنصار إلى أن الأمر لا يكون إلا فى قريش ، وهم يقرون ويقرؤون قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى^(٢٣) » .

وقوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشدء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً^(٢٤) » الآية .

وقوله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً^(٢٥) » .

ثم أعماهم الشيطان وأضلهم الله تعالى على علم ، فحلوا بيعة مثل على ، وأعرضوا عن مثل سعيد بن زيد ، وسعد ، وابن عمر ، وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل ، وأعرضوا عن سائر الصحابة الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، ووعدهم الله الحسنى ، وتركوا من يقرون بأن الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، ورضى عنهم ، وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة ، وهم الأشدء على الكفار ، الرحماء بينهم ، الركع السجد المبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، المثنى عليهم فى التوراة ، والإنجيل ، من عند الله

(٢١) فى (أ) : لأقرب وهو تحريف .

(٢٢) فى (أ) : (لوجب) .

(٢٣) سورة الحديد آية رقم ١٠

(٢٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩

(٢٥) سورة الفتح آية رقم ١٨

عز وجل الذين غاظ الله بهم الكفار المقطوع على أن باطنهم في الخير كظواهرهم ، لأن الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا أحداً منهم ، وبايعوا شيث بن ربيعي مؤذن سجاح أيام ادعت النبوة بعد موت النبي ﷺ ، حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم ، وتبين له ضلالهم فلم يقع اختيارهم إلا على عبد الله بن وهب الراسبي اعرابي بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ، ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط ، فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان أحد أئمتته ذو الخويصرة الذي بلغه ضعف عقله ، وقلة دينه إلى تجويره رسول الله ﷺ في حكمه ، والاستدراك عليه ورأى نفسه أروع من رسول الله ﷺ هذا وهو يُقَرُّ أنه رسول الله ﷺ إليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ، ولولاه لكان حماراً أو أضل ، ونعوذ بالله من الخذلان .

وأما الطائفة المصوبة للقاعدين فإن من لم يلح له الحق منهم فإنما يكلم حتى يبين له الحق ، فيلزمه المصير إليه ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : إنه قد صح ووجب فرض الإمامة بما ذكرنا قبل في إيجاب الإمامة وإذا هي فرض فلا يجوز تضييع الفرض ، وإذا ذلك كذلك فالمبادرة إلى تقديم إمام عند موت الإمام فرض واجب ، وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالإمام فإذا كله كما ذكرنا ، فإذا مات عثمان رضی الله عنه وهو الإمام ففرض إقامة إمام يأتهم به الناس لئلا يقولوا بلا إمام . فإذا بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو إمام قائم ففرض طاعته لاسيما ولم تتقدم بيعته بيعة ، ولم ينازعه الإمامة أحد جملة^(٢٦) ، فهذا أوضح وأوجب في وجوب إمامته وصحة بيعته ، ولزوم إمرته للمؤمنين ، فهو الإمام بحقه ، وما ظهر منه قط إلى أن مات رضی الله عنه شيء يوجب نقض بيعته ، وما ظهر منه قط إلا العدل ، والجد ، والبر ، والتقوى ، والخير^(٢٧) كما لو سبقت بيعة طلحة ، أو الزبير ، أو سعد ، أو سعيد ، أو من يستحق الإمامة لكانت أيضا بيعة حق لازمة لعل ولغيره ، ولا فرق ، فعلى مصيب في الدعاء إلى نفسه وإلى الدخول تحت إمامته وهذا برهان لا محيد عنه ، وأما أم المؤمنين ، والزبير ، وطلحة ، رضی الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحه تحطه عن الإمامة ، ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا جددوا بيعة لغيره - هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه ، بل يقطع كل ذي علم على أن كل ذلك لم يكن ، فإذا لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورة لا أشكال فيها ، أنهم لم يمشوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ، ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته - هذا ما لا يشك فيه أحد ، ولا ينكره أحد ، فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضی الله عنه ظلما ، ولم يكن نهوض علي إلى البصرة

(٢٦) في (أ) : (أحد ما) .

(٢٧) سقط من (أ) (الخير) .

لقتالهم لكن موافقا لهم على ذلك ليقوى بهم وتجتمع الكلمة على قتلة عثمان رضى الله عنه^(٢٨)، وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغه^(٢٩) والتدبير عليهم ، فبيتوا^(٣٠) عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم ، فَرَدُّعُوا حتى خالطوا عسكر على ، فدفع أهله عن أنفسهم ، وكل طائفة نظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها^(٣١) بالقتال فاختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان - لعنهم الله^(٣٢) - لا يفترون من شب^(٣٣) الحرب ، واضرامها فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ، ومقصدها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غائر ، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ فانصرف ومات من وقته رضى الله عنه ، وقتل الزبير رضى الله عنه بوادى السباع ، على أقل من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر .

وكذلك كان قتل عثمان رضى الله عنه إنما حاصره المصريون ، ومن لف لفهم يريدونه على إسلام مروان إليهم ، وهو رضى الله عنه يأبى من ذلك ، ويعلم أنه إن أسلمه قتل دون تثبت فهم على ذلك ، وجماعات من الصحابة فيهم الحسن ، والحسين ، أبناء على ، وعبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن طلحة ، وأبو هريرة وعبد الله بن عمر ، في نحو سبعمائة من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه ، وينفلتون إلى القتال فيردعهم تثبتنا إلى أن تسوروا عليه من خوخة ، في دار ابن حزم الأنصارى جاره غيلة فقتلوه ، ولا خبر من ذلك عند أحد .

لعن الله من قتله ، والراضين بقتله ، فما رضى أحد منهم قط بقتله ، ولا علموا أنه يراد قتله ، لأنه لم يأت منه شيء يبيح الدم الحرام ، وأما قول : من قال إنه رضى الله عنه أقام مطروحا على مزبلة ثلاثة أيام فكذب بحت ، وإفك موضوع ، وتوليد من لا حياء في وجهه ، بل قتل عشية ودفن من ليلته رضى الله عنه .

شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم^(٣٤) وأبو الجهم بن حذيفة^(٣٥) وعبد الله ابن الزبير ومكرم بن سياد وجماعة غيرهم ، هذا ما لا يتارى فيه أحد ممن له علم بالأخبار ، ولقد

(٢٨) سقط من (أ) ما بين القوسين .

(٢٩) في (أ) : الاراغه بالعين الممجمة وهو تحريف إذ أنها من أراعه .

(٣٠) في (أ) : (فيينوا) بالنون وهو تحريف .

(٣١) في (أ) : (بدأ بها) وهو تحريف .

(٣٢) سقط من (أ) (لعنهم الله) .

(٣٣) في (أ) : شن .

(٣٤) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى . أبو عدى : صحابى كان من علماء قريش وساداتهم تولى بالمدينة .

وعده الجاحظ من كبار النسابة له ٦٠ حديثا وكانت وفاته عام ٥٩ هـ . الاصابة ١ : ٢٣٥

(٣٥) وما رواه ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى يقرر أن أبا جهم بن حذيفة هذا قد أسلم يوم فتح مكة ، ومات بعد قتل عمر ابن الخطاب ، ومفهوم هذا القول أنه لم يشهد مقتل عثمان رضى الله عنه . (راجع الطبقات الكبرى : ٥ ص ٢٣٣ ط دار الشعب) بالقاهرة .

أمر رسول الله ﷺ برمي أجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب ، وألقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى ، وأمر عليه السلام أن يحفر أحاديث لقتلى يهود قريظة ، وهم شر من وارته الأرض ، فمؤارة المؤمن والكافر فرض على المسلمين ، فكيف يجوز لذي حياء في وجهه أن ينسب إلى علي وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة أنهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين أظهرهم على مزبلة ثلاثة أيام^(٣٦) لا يوارونه ..؟ ولا يبالي مؤمنا كان أو كافرا أو فاسقا^(٣٧) ولكن الله يأبى إلا أن يفضح الكذابين بألسنتهم ، ولو فعل هذا على لكانت جرحه فيه^(٣٨) لأنه لا يخلو أن يكون عثمان كافرا ، أو فاسقا ، أو مؤمنا ، فإن كان كافرا أو فاسقا عنده ، فقد كان فرضا على علي أن يفسخ أحكامه في المسلمين ، فإذا لم يفعل فقد صحح أنه كان مؤمنا عنده ، فكيف يجوز أن ينسب ذو حياء إلى علي أنه ترك مؤمنا مطروحا ميتا على مزبلة لا يأمر بمواراته ؟ أم كيف يجوز أن يظن به أنه أنفذ أحكام كافر أو فاسق على أهل الإسلام ؟ ما أحد أسوأ ثناء على علي من هؤلاء الكذبة الفجرة .

قال أبو محمد : ومن البرهان على صحة ما قلناه إن من الجهل الفاضح أن يظن ظان أن عليا رضي الله عنه بلغ من التناقض في أحكامه واتباع الهوى في دينه والجهل أن يترك سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، ورافع بن خديج ، ومحمد بن مسلمة ، وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجبرهم عليها وهم معه في المدينة وغيرها ، نعم والخوارج وهم يصيحون في نواحي المسجد بأعلا أصواتهم بحضرتة ، وهو على المنبر في مسجد الكوفة ، لا حكم إلا الله ، لا حكم إلا الله ، فيقول لهم رضي الله عنه : لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ، ولا نمنعكم حقكم من الفىء ، ولا نبدءوكم بقتال ولم يبدء هم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك^(٣٩) حتى دعاهم إلى أن يسلموا إليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله ، قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله أنه يقاتل أهل الجمل لامتناعهم من بيعته ، هذا إفك ظاهر ، وجنون مختلف وكذب بحت بلا شك .

قال أبو محمد : وأما أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله على رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام ، وهو الإمام الواجبة طاعته فعلى المصيب في هذا ، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي

(٣٦) في (أ) : سقط (ثلاثة أيام) .

(٣٧) سقط من (أ) (أو فاسقا) .

(٣٨) سقط من (أ) (فيه) .

(٣٩) في (خ) : زيادة « أبدا » .

الله عنه على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان ، والكلام فيه من ولد عثمان ، وولد الحكم ابن أبي العاص لسنة ولقوته على الطلب بذلك ، كما أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخير بالسكوت ، وهو أخو المقتول وقال له : كبر كبير^(٤٠) ، وروى الكبير الكبير ، فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصه وحويصه إبنى مسعود ، وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه ، فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه ، وأضاف^(٤١) في ذلك الأثر الذى ذكرنا وإنما أخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط ، فله أجر الاجتهاد فى ذلك ولا إثم عليه فما حرم من الإصابة كسائر المخطئين فى اجتهادهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرا واحدا وللمصيب أجرين . ولا عجب أعجب ممن يميز الاجتهاد فى الدماء وفى الفروج ، والأبشار^(٤٢) ، والأموال ، والشرائع التى يدان الله بها من تحريم وتحليل ، وإيجاب ويغذّر المخطئين فى ذلك ويرى ذلك مباحا لئى^(٤٣) وأبى حنيفة ، والثورى ، ومالك والشافعى ، وأحمد وداود واسحاق وأبى ثور وغيرهم كزفر وأبى يوسف ، ومحمد وابن الحسن ، والحسن بن زياد ، وابن القاسم واشهب ، وابن الماجشون ، والمزنى وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيع دم هذا الإنسان ، وآخر منهم يجرمه كمن حارب ولم يقتل ، أو عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير ، وواحد منهم يبيع هذا الفرج وآخر منهم يجرمه كبكر أنكحها أبوها وهى بالغة عاقلة بغير إذنها ولا رضاها ، وغير هذا كثير ، وكذلك فى الشرائع والأموال والأبشار ، وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم ، وهكذا فعلت الخوارج بفقهاءهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل ، والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضى الله عنهم ، وإنما اجتهدوا فى مسائل دماء كالتى اجتهد فيها المفتون ، وفى المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم^(٤٤) من لا يراه ، وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد ، وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر ، وفيهم من لا يراه .

فأى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ، لولا الجهل والعمى والتخليط

بغير علم .

وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله ، وإن كان متأولا^(٤٥) وليس ذلك بموثر فى عدالته وفضله ، ولا بموجب له فسقا بل هو

(٤٠) كبير كبير : أى اترك الأمر لمن هو اكبر منك سنا .

(٤١) فى (أ) : واصل عن ذلك .

(٤٢) فى (أ) : الأنساب .

(٤٣) الأوامر والأنساب من (أ) .

(٤٤) فى (خ) : (ومنهم) .

(٤٥) فى (أ) : منا وهو تحريف .

مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير ، فهذا قطعنا على صواب على رضى الله عنه وصحة امامته ، وأنه صاحب الحق وأن له أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وقطعنا أن معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون أجرا واحدا . وأيضا فالحديث الشريف الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق ، فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج ، بين أصحاب على وأصحاب معاوية فقتلهم على وأصحابه فصح أنهم أولى الطائفتين بالحق ، وأيضا الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ : تقتل عمارا الفئة الباغية .

قال أبو محمد : المجتهد المخطيء إذا قاتل على ما يرى أنه الحق قاصدا إلى الله تعالى بنيته غير عالم بأنه مخطيء فهو فئة باغية ، وإن كان مأجورا ولا حد عليه إذا ترك القتال ولا قود ، وأما إذا قاتل وهو يدري أنه مخطيء فهذا محارب تلزمه حدود^(٤٦) المحاربة والقود ، وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطيء ، وبيان ذلك قول الله تعالى : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله - إلى قوله : إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم^(٤٧) .

فهذا نص قولنا دون تكلف تأويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية ، وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم إخوة بعض في حين تقاتلهم ، وأهل العدل المبغى عليهم والمأمورين بالإصلاح بينهم ، وبينهم ، ولم يصفهم الله عز وجل بفسق من أجل ذلك التقاتل ولا بنقص إيمان ، وإنما هم مخطئون فقط باغون ولا يريد واحد منهم قتل الآخر ، وعمار رضى الله عنه قتله أبو العادية يسار ابن سبع السلمى^(٤٨) ، شهد بيعة الرضوان ، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه ، وأنزل السكينة عليه ورضى عنه ، فأبو العادية رضى الله عنه متأول مجتهد مخطيء فيه باغ عليه مأجور أجرا واحدا ، وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لأنهم لا مجال للاجتهاد في قتله لأنه لم يقتل أحدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنا بعد احصان ولا ارتد فيسوغ محاربه^(٤٩) تأويل ، بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تأويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون .

قال أبو محمد : فإذا قد بطل هذا الأمر وصح أن عليا هو صاحب الحق ، فالأحاديث التي فيها التزام البيوت وترك القتال إنما هي بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق أين هو ، وهكذا نقول

(٤٦) سقط من (أ) كلمة (حدود) .

(٤٧) سورة الحجرات آية رقم ١٠

(٤٨) يسار بن سبع ، أبو غادية الجهني ويقال المزني قال العقيلي وهو أصبح قال أبو عمر : وهو مشهور بكنيته واختلف في اسمه واسم

أبيه قيل اسمه مسلم وقيل اسمه يسار بن سبع وقيل : يسار بن أزهر يقال إنه قاتل عمار سكن واسط وكان يفرط في حب عثمان . الاستيعاب ح ٤ ص ١٥٨٢ .

(٤٩) في (أ) فيسوغ المحاربة تأويل .

فإذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن ، وكذلك إن كانتا معا باغيتين . فقتالهما واجب لأن كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه ﷺ لأنه كله من عند الله عز وجل . قال الله عز وجل : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى^(٥٠) » .

وقال عز وجل : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا^(٥١) » فصح يقينا أن كل ما قاله رسول الله ﷺ فهو وحى من عند الله عز وجل ، وإذ هو كذلك فليس شيء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين .

قال أبو محمد : فلم يبق إلا الكلام على الوجوه التي اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه .

قال أبو محمد : فنقول وبالله تعالى التوفيق .

أما قولهم إن أخذ القود واجب من قتل عثمان رضى الله عنه والمحاربين لله تعالى ولرسوله ﷺ الساعين فى الأرض بالفساد ، والهاتكين حرمة الإسلام ، والحرم والإمامة والهجرة ، والخلافة والصحبة والسابقة فنعم .

وما خالفهم قط على فى ذلك ولا فى البراءة منهم ، ولكنهم كانوا عددا ضخما جمًا لا طاقة له عليهم ، فقد سقط عن على رضى الله عنه ما لا يستطيع عليه ، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق ، قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها^(٥٢) » وقال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » . ولو أن معاوية بايع عليا لقوى به على أخذ الحق من قتل عثمان ، فصح أن الاختلاف هو الذى أضعف يد على عن انفاذ الحق عليهم ، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذوه على قتل عبد الله بن خباب إذ قدر على مطالبة قتلته .

وأما تأسى معاوية فى امتناعه من بيعته على بتأخر على عن بيعته أبى بكر فليس فى الخطأ أسوة ، وعلى قد استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لأصاب ولبايع حينئذ بلا شك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من أجل الفرقة ، وأما تقارب ما بين على وطلحة والزبير وسعد فنعم ، ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق للخلافة فهو الإمام الواجبة طاعته فيما أمر به من طاعة الله عز وجل ، سواء كان هنالك من هو مثله أو أفضل منه أو لم

(٥٠) سورة النجم آية رقم ٣ ، ٤

(٥١) سورة النساء آية رقم ٨٢

(٥٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

يكن^(٥٣) كما سبقت بيعة عثمان قبله^(٥٤) فوجبت طاعته وإمامته على علي^(٥٥) وغيره .

ولو ببيع هنالك حينئذ وقت الشورى على أو طلحة أو الزبير ، أو عبد الرحمن أو سعد لكان الإمام ، وولزمت عثمان طاعته ، وكذلك إذ قتل عثمان رضى الله عنه ، فلو بدر طلحة أو الزبير أو سعد أو ابن عمر فببيع لكان هو الإمام ولوجبت طاعته على علي ، فصح أن عليا هو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته وغيره ، كما إذ بدر علي وجبت طاعته ولا فرق ومعاوية مخطيء مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على صاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين فرما رجع إذا استبان له ، وربما لم يستبين له حتى يموت عليه ، وماتوفيقنا إلا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا إله إلا هو .

قال أبو محمد : فطلب على حقه فقاتل عليه وقد كان له^(٥٦) تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضى الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به إنذار رسول الله ﷺ إذ قال : « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من أمتي^(٥٧) » .

فغبطه رسول الله ﷺ بذلك .

ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء بعده^(٥٨) ومن قاتل عليه ولو أنه فلس فحقه طلب ، ولا لوم عليه ، بل هو مصيب في ذلك ، وبالله تعالى التوفيق .

(٥٣) سقط من (أ) أو لم يكن .

(٥٤) سقط من (أ) قبله .

(٥٥) سقط من (أ) على .

(٥٦) سقط من (أ) له .

(٥٧) راجع تخریج هذا الحديث ص ١٧٣ من هذا الجزء .

(٥٨) في (أ) : فيما لا وراء بعده .

فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١	وعصى آدم ربه فغوى .	طه	١٢١	٩
٢	ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .	البقرة	٣٥	٩
٣	قتلنى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .	البقرة	٣٧	٩
٤	فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو .	البقرة	٣٦	٩
٥	فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء .	الأعراف	١٩٠	٩
٦	ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .	البقرة	٣٥	١٠
٧	ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين .	الأعراف	٢١	١٠
٨	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما .	طه	١١٥	١٠
٩	لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين .	الأعراف	١٨٩	١١
١٠	يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شىء .	يوسف	٦٧	١١
١١	إن نحن إلا بشر مثلكم .	ابراهيم	١١	١١
١٢	فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكونن من الجاهلين .	هود	٤٦	١٣
١٣	إني سقيم .	الصافات	٨٩	١٥
١٤	هذا ربي .	الأنعام	٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨	١٥
١٥	بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون .	الأنبياء	٦٣	١٥
١٦	قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦	١٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٧	إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم .	الحجرات	١٠	١٦
١٨	وإلى مدین أخاهم شعيباً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .	الأعراف	٨٥	١٦
١٩	فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فتولوا عنه مدبرين .	الصفات	٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠	١٦
٢٠	ذق إنك أنت العزيز الكريم .	الدخان	٤٩	١٦
٢١	ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .	الأنبياء	٥١	١٧
٢٢	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون .	المطففين	٣٤	١٧
٢٣	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء .	الأنعام	٨٣	١٧
٢٤	رب أرني كيف تحبى الموقى ، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦٠	١٨
٢٥	فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .	التوبة	١١٤	١٨
٢٦	لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد .	هود	٧٨	١٩
٢٧	هؤلاء بناتى هن أطهر لكم .	هود	٧٨	١٩
٢٨	ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .	البقرة	٢٥١	٢٠
٢٩	ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به .	غافر	٣٤	٢١
٣٠	أنتم شر مكاناً .	يوسف	٧٧	٢١
٣١	ورسلاً قد قصصناهم عليك ورسلاً لم نقصصهم عليك .	النساء	١٦٤	٢٣
٣٢	أيتها العير إنكم لسارقون .	يوسف	٧٠	٢٥
٣٣	ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .	يوسف	٢٤	٢٥
٣٤	اذكرنى عند ربك .	يوسف	٤٢	٢٥
٣٥	إنكم لسارقون .	يوسف	١٥	٢٦
٣٦	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً .	المائدة	٤٨	٢٧
٣٧	فأنساه الشيطان ذكر ربه .	يوسف	٤٢	٢٧
٣٨	وادكر بعد أمة .	يوسف	٤٥	٢٧
٣٩	همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه .	يوسف	٣٤	٢٧
٤٠	وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه .	غافر	٥	٢٨
٤١	ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب .	يوسف	٥٢	٢٨
٤٢	وما أبرىء نفسى إن النفس لأماراة بالسوء .	يوسف	٥٣	٢٨
٤٣	كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .	يوسف	٢٤	٢٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٤	ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا .	يوسف	٢٥	٢٩
٤٥	وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ،			
٤٦	فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن . وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها .	يوسف	٣٣ ، ٣٤	٢٩
٤٧	إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .	القصص	١٠	٣١
٤٨	وأخذ برأس أخيه يجره إليه .	القصص	٧	٣١
٤٩	قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى .	الأعراف	١٥٠	٣١
٥٠	والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .	طه	٩٤	٣١
٥١	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .	الشعراء	٨٢	٣٢
٥٢	اقتلت نفسًا ذكية بغير نفس .	الفتح	٢	٣٢
٥٣	لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرًا .	الكهف	٧٤	٣٢
٥٤	فعلتها إذا وأنا من الضالين .	الكهف	٧٣	٣٢
٥٥	ووجدك ضالًا فهدى .	الشعراء	٣٠	٣٣
٥٦	فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .	الضحى	٧	٣٣
٥٧	رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى .	النساء	١٥٣	٣٣
٥٨	وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .	الأعراف	١٤٣	٣٣
٥٩	فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون .	الأنبياء	٨٧	٣٥
٦٠	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم .	الصفات	١٤٣	٣٥
٦١	فالتقمه الحوت وهو مليم .	القلم	٤٨ ، ٤٩	٣٥
٦٢	فظن أن لن نقدر عليه .	الصفات	١٤٢	٣٥
٦٣	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه .	الأنبياء	٨٧	٣٦
٦٤	هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان ... إلى قوله : فغفرنا له ذلك .	الفجر	١٦	٣٦
٦٥	ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما ،	ص	٢١ - ٢٥	٣٩
٦٦	فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . وظن داود أنما فتناه .	غافر	٧	٤٠
		ص	٢٤	٤٠

رقم مسلل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٦٧	هفرنا له ذلك .	ص	٢٥	٤٠
٦٨	ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب .	ص	٣٤	٤١
٦٩	إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٤١
٧٠	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .	العنكبوت	١ ، ٢ ، ٣	٤١
٧١	إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق .	ص	٢٢ ، ٢٣	٤٢
٧٢	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .	الأعراف	١٧٥	٤٣
٧٣	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .	الأنفال	٦٨	٤٥
٧٤	عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدرىك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهى .	عبس	١ - ١٠	٤٥
٧٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته .	الحج	٥٢	٤٥
٧٦	ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله .	الكهف	٢٣ - ٢٤	٤٥
٧٧	وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .	الأحزاب	٣٧	٤٥
٧٨	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر .	الفتح	٢	٤٦
٧٩	لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .	الأنفال	١	٤٧
٨٠	يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .	الأنفال	١	٤٧
٨١	يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .	الأنفال	٦	٤٧
٨٢	تهيدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .	الأنفال	٦٧	٤٧
٨٣	وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان .	الحج	٥٢	٤٨
٨٤	ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت .	الكهف	٢٣ - ٢٤	٤٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٨٥	وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .	الأحزاب	٣٧	٤٨
٨٦	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .	النجم	٤ ، ٣	٤٩
٨٧	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً .	النساء	٦٥	٤٩
٨٨	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .	الأحزاب	٢١	٤٩
٨٩	حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا .	يوسف	١١٠	٥٠
٩٠	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك .	يونس	٩٤	٥١
٩١	وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة .	آل عمران	١٦١	٥١
٩٢	وما كان لبشر أن يوئيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله .	آل عمران	٧٩	٥١
٩٣	أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .	الجاثية	٢١	٥١
٩٤	كل نفس ذائقة الموت .	آل عمران	١٨٥	٥٢
٩٥	وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا تعلمون .	العنكبوت	٦٤	٥٢
٩٦	الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس .	الحج	٧٥	٥٣
٩٧	أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون .	الجاثية	٢١	٥٤
٩٨	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .	الأحزاب	٢١	٥٤
٩٩	أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده .	الأنعام	٩٠	٥٥
١٠٠	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .	البقرة	٢٨٦	٥٥
١٠١	تبياتاً لكل شيء .	النحل	٨٩	٥٦
١٠٢	وقد فصل لكم ما حرم عليكم .	المائدة	٣	٥٦
١٠٣	إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً .	التح	٢ ، ١	٥٦
١٠٤	إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه .	الفتح	٩ ، ٨	٥٦
١٠٥	قل أباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم .	التوبة	٦٦	٥٧
١٠٦	ووجدك ضالاً فهدى .	الضحى	٧	٥٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٠٧	لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم .	يس	٦	٥٨
١٠٨	إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا .	الأحزاب	٥٧	٥٨
١٠٩	ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين .	الحجر	٨	٦١
١١٠	ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا .	الأنعام	٩	٦٢
١١١	ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون .	الأنعام	٨	٦٢
١١٢	وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين .	الفرقان	٢١ ، ٢٢	٦٢
١١٣	وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم - إلى قوله .. إني أخاف الله والله شديد العقاب .	الأنفال	٤٨	٦٣
١١٤	كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين .	الحشر	١٦	٦٣
١١٥	إن هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء .	الأعراف	١٥٥	٦٤
١١٦	آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .	العنكبوت	١	٦٤
١١٧	ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل .	البقرة	١٠٢	٦٤
١١٨	إلا ابليس كان من الخس .	الكهف	٥٠	٦٤
١١٩	افتتخدونه وذريته أولياء من دوني .	الكهف	٥٠	٦٤
١٢٠	إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم .	الأعراف	٢٧	٦٤
١٢١	أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .	البقرة	٣٠	٦٤
١٢٢	فلا تزكوا أنفسكم .	النجم	٣٢	٦٥
١٢٣	اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم .	يوسف	٥٥	٦٥
١٢٤	إني أعلم ما لا تعلمون .	البقرة	٣٠	٦٥
١٢٥	إننا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .	الزخرف	٢٤	٦٧
١٢٦	قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم .	الزخرف	٣٤	٦٧
١٢٧	أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .	البقرة	١٧٠	٦٧
١٢٨	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .	الأحزاب	٦٧	٦٨
١٢٩	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٨
١٣٠	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .	الأعراف	٣	٦٩
١٣١	قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .	البقرة	١١١	٦٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٣٢	قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة .	التحريم	٦	٧٠
١٣٣	ولكن الله حيب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم .	الحجرات	٨ ، ٧	٧٠
١٣٤	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .	الأنعام	١٢٥	٧٠
١٣٥	بل الله بمن عليكم إن هداكم للإيمان .	الحجرات	١٧	٧٧
١٣٦	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	يونس	٦٢	٨١
١٣٧	من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار .	الملك	٩٠	٨١
١٣٨	والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهبهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .	يونس	٢٧	٨١
١٣٩	ومن يعص الله ورسوله ، ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها .	النساء	١٤	٨١
١٤٠	ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما .	النساء	٩٣	٨٢
١٤١	ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا الا من تاب وآمن .	الفرقان	٦٨	٨٢
١٤٢	إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا .	النساء	١٠	٨٢
١٤٣	إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة .	النور	٢٣	٨٢
١٤٤	ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير .	الأنفال	١٦	٨٢
١٤٥	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا إلى قوله تعالى .. ولهم في الآخرة عذاب عظيم .	المائدة	٣٣	٨٢
١٤٦	الذين يأكلون الربا .	البقرة	٢٧٥	٨٢
١٤٧	ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها .	النساء	٩٣	٨٣
١٤٨	لا يصلها إلا الأثقى ، الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	٨٣
١٤٩	إن رحمة الله قريب من المحسنين .	الأعراف	٥٦	٨٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٥٠	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٣
١٥١	يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	آل عمران	١٢٩	٨٣
١٥٢	يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا .	الكهف	٤٩	٨٤
١٥٣	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل .	الأنبياء	٤٧	٨٤
١٥٤	فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٨ ، ٧	٨٤
١٥٥	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٨٤
١٥٦	فإذا هم جميع لدينا محضرون فالיום لا تظلم نفس شيئا .	يس	٥٤ ، ٥٣	٨٤
١٥٧	ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب .	إبراهيم	٥١	٨٤
١٥٨	ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .	البقرة	٢٨١	٨٤
١٥٩	لتجزى كل نفس بما تسعى .	طه	١٥	٨٥
١٦٠	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى إلى قوله - الجزء الأوفى .	النجم	٣٩ : ٤١	٨٥
١٦١	وأن للذين ظلموا عذابا دون ذلك .	الطور	٤٧	٨٥
١٦٢	ليجزى الذين أساءوا بما عملوا .	النجم	٣١	٨٥
١٦٣	هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت .	يونس	٣٠	٨٥
١٦٤	وإن كلا لما ليرتد منهم ربك أعمالهم .	هود	١١١	٨٥
١٦٥	وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله .	المزمل	٢٠	٨٥
١٦٦	ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا .	النساء	١٢٣	٨٥
١٦٧	وما يفعلوا من خير فلن يكفروه .	آل عمران	١١٥	٨٥
١٦٨	إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .	النساء	٤٠	٨٥
١٦٩	إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٩٥	٨٥
١٧٠	وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد إلى قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته .	ق	٢١	٨٥
١٧١	ولكن كان في ضلال بعيد . إلى قوله تعالى .. وما أنا بظلام للمبيد .	ق	٢٢ - ٢٩	٨٥
١٧٢	فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه إلى آخر السورة .	القارعة	٦ - ١١	٨٦
١٧٣	إن الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٤	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٨٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١٧٥	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٦
١٧٦	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم .	غافر	١٧	٨٦
١٧٧	إن الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٨٦
١٧٨	ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها .	الأنعام	١٦٠	٨٧
١٧٩	ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	البقرة	٦٢	٨٧
١٨٠	ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار .	الحمل	٩٠	٨٧
١٨١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم .	النساء	٣١	٨٧
١٨٢	وجزاء سيئة سيئة مثلها .	الشورى	٤٠	٨٧
١٨٣	ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .	الزلزلة	٨	٨٧
١٨٤	لا يصلها إلا الأشقى الذى كذب وتولى .	الليل	١٥	٨٧
١٨٥	ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	٨٨
١٨٦	ولمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين .	آل عمران	١٤١	٨٨
١٨٧	ومن يولهم يومئذ دبره .	الأنفال	١٦	٨٨
١٨٨	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٨٩
١٨٩	يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - إن الله يغفر الذنوب جميعا .	الزمر	٥٣	٨٩
١٩٠	بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .	المائدة	١٨	٨٩
١٩١	يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى النفس ولا أعلم ما فى نفسك .	المائدة	١١٦	٨٩
١٩٢	قالا . عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة .	الأعراف	١٥٦	٨٩
١٩٣	فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٧ ، ٦	٩٠
١٩٤	هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون .	الحمل	٩٠	٩٠
١٩٥	اليوم تجزى كل نفس ما كسبت .	عافر	١٧	٩٠
١٩٦	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم .	النجم	٣٢	٩٠
١٩٧	ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .	آل عمران	١٣٥	٩١
١٩٨	ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .	النساء	٤٨	٩١
١٩٩	ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٠٠	فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية .	القارعة	٦ ، ٧	٩٢
٢٠١	ان الحسنات يذهبن السيئات .	هود	١١٤	٩٢
٢٠٢	وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارعة	٦	٩٣
٢٠٣	لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد .	ق	٢٨	٩٣
٢٠٤	وإنما لمفهوم نصيبهم غير منقوص .	هود	١٠٩	٩٣
٢٠٥	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٤
٢٠٦	أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	٩٤
٢٠٧	إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار .	النساء	١٤٥	٩٤
٢٠٨	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر .	السجدة	٢١	٩٤
٢٠٩	ما سكلكم في سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين .	المدثر	٤٠ - ٤٧	٩٤
٢١٠	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	الثلث	٩٠	٩٥
٢١١	لئن أشركت ليحبطن عملك .	الزمر	٦٥	٩٥
٢١٢	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	٩٦
٢١٣	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف .	الأنفال	٣٨	٩٦
٢١٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .	النجم	٤	٩٧
٢١٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .	النساء	٨٣	٩٧
٢١٦	لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .	آل عمران	١٥٣	٩٨
٢١٧	من يعمل سوء يجز به .	النساء	١٢٣	٩٨
٢١٨	وما كان الله ليضيع إيمانكم .	البقرة	١٤٣	٩٨
٢١٩	وما تفعلوا من خير فلن تكفروه .	آل عمران	١١٥	٩٨
٢٢٠	يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها .	المائدة	١٣٧	٩٨
٢٢١	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما .	النساء	٣١	٩٨
٢٢٢	ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم .	الزمر	٧	١٠٢
٢٢٣	ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم .	البقرة	٢١٧	١٠٣
٢٢٤	يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .	الرعد	٣٩	١٠٣
٢٢٥	فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات .	الفرقان	٧٠	١٠٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٢٦	لأنذرکم به ومن بلغ .	الأنعام	١٩	١٠٥
٢٢٧	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .	الاسراء	١٥	١٠٥
٢٢٨	إني رسول الله إليكم جميعا .	الاعراف	١٥٨	١٠٦
٢٢٩	أیحسب الإنسان أن یترك سدى .	القيامة	٣٦	١٠٦
٢٣٠	لا یكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .	البقرة	٢٨٦	١٠٦
٢٣١	فاسألوا أهل الذکر إن كنتم لا تعلمون .	الأنبياء	٧	١٠٦
٢٣٢	فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .	التوبة	١٢٢	١٠٧
٢٣٣	یحادعون الله والذين آمنوا وما یخادعون الا أنفسهم - إلى قوله عذاب أليم بما كانوا یكذبون .	البقرة	١٠٠ ، ٩	١٠٧
٢٣٤	وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا .	طه	٨٢	١٠٧
٢٣٥	فما تنفعهم شفاعة الشافعين .	المدثر	٤٨	١١١
٢٣٦	یوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر یومئذ لله .	الانفطار	١٩	١١١
٢٣٧	قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	الجن	٢١	١١١
٢٣٨	واتقوا یوما لا تجزی نفس عن نفس شيئا ولا یقبل منها شفاعة .	البقرة	٤٨	١١١
٢٣٩	من قبل أن یأتی یوم لا یبیع فيه ولا خلة ولا شفاعة .	البقرة	٢٥٤	١١١
٢٤٠	فما لنا من شافعين ولا صديق حمیم .	الشعراء	١٠٠	١١١
٢٤١	ولا یقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ینصرون .	البقرة	١٢٣	١١١
٢٤٢	لتبین للناس ما نزل إليهم .	النحل	٤٤	١١٢
٢٤٣	لا یملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا .	مریم	٨٧	١١٢
٢٤٤	یومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضی له قولا .	طه	١٠٩	١١٢
٢٤٥	ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .	سبأ	٢٣	١١٢
٢٤٦	من ذا الذی یشفع عنده إلا بإذنه .	البقرة	٥٥	١١٢
٢٤٧	وكم من ملك في السموات لا تغنی شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن یأذن الله لمن یشاء ویرضی .	النجم	٢٦	١١٢
٢٤٨	ولا یملك الذین یدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم یعلمون .	الزخرف	٨٦	١١٢
٢٤٩	ما من شفیع إلا من بعد إذنه .	یونس	٣	١١٢
٢٥٠	لا یقضی علیهم فیموتوا ولا یخف عنهم من عذابها .	فاطر	٣٦	١١٣
٢٥١	عسی أن یبعثک ربك مقاما محمودا .	الاسراء	٧٩	١١٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٥٢	قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا .	الجن	٣١	١١٣
٢٥٣	يوم لا تملك نفس لنفس شيئا .	الانفطار	١٩	١١٣
٢٥٤	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .	الأنبياء	٢٨	١١٣
٢٥٥	وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم .	النور	١٥	١١٤
٢٥٦	وكفى بنا حاسبين .	الأنبياء	٤٧	١١٤
٢٥٧	والوزن يومئذ الحق .	الأعراف	٨	١١٤
٢٥٨	فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .	القارة	٦ - ٩	١١٤
٢٥٩	فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا .	الكهف	١٠٥	١١٤
٢٦٠	ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون .	المؤمنون	١٠٣	١١٤
٢٦١	وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا .	مريم	٧١	١١٦
٢٦٢	وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين .	الانفطار	١١	١١٦
٢٦٣	إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون .	الجاثية	٢٩	١١٦
٢٦٤	وكل إنسان ألزمناه طائفة في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك .	الاکراء	١٣	١١٦
٢٦٥	إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .	ق	١٧	١١٦
٢٦٦	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	غافر	١١	١١٧
٢٦٧	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم .	البقرة	٢٨	١١٧
٢٦٨	ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم .	الأنعام	٩٣	١١٧
٢٦٩	إنما توفون أجوركم يوم القيامة .	آل عمران	١٨٥	١١٨
٢٧٠	النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب .	غافر	٤٦	١١٨
٢٧١	الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٢	١١٨
٢٧٢	منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .	طه	٥٥	١١٨
٢٧٣	أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه .	البقرة	٢٥٩	١١٨
٢٧٤	الله يتوفى الأنفس حين موتها .	الزمر	٤٢	١١٨

رقم مسلسل	رقم الآية	السورة	الآية	الصفحة
٢٧٥	١١	غافر	ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين .	١١٩
٢٧٦	٢٨	البقرة	وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم .	١١٩
٢٧٧			هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم .	
٢٧٨	٣٢	النجم	ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .	١٢٢
٢٧٩	٥١	الكهف	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .	١٢٢
٢٨٠	١٧٢	الأعراف	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا .	١٢٢
٢٨١	١١	الأعراف	ألم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقة فخلق فسوى .	١٢٣
٢٨٢	٣٧	القيامة	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما .	١٢٣
٢٨٣	١٣	المؤمنون	وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم .	١٢٣
٢٨٤	٩	الواقعة	فأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم إن هذا هو حق اليقين .	١٢٤
٢٨٥	٩٣	الواقعة	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم .	١٢٤
٢٨٦	١٥٤	البقرة	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء .	١٢٥
٢٨٧	١٦٩	آل عمران	عند ربهم يرزقون .	١٢٥
٢٨٨			رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا .	١٢٧
٢٨٩	٢٧	نوح	انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن .	١٢٨
٢٩٠	٣٦	هود	رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .	١٢٨
٢٩١	٢٦	نوح	وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت .	١٢٨
٢٩٢	٨	التكوير	لا يسئل عما يفعل .	١٢٩
٢٩٣	٢٣	الأنبياء	وما أدرى ما يفعل لى ولا بكم .	١٣١
٢٩٤	٩	الأحقاف	إن اتبع إلا ما يوحى إلى .	١٣٢
٢٩٥	٥٠	الأنعام	اليوم تجزى كل نفس بما كسبت .	١٣٢
	١٧	غافر		١٣٣

رقم مستلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٢٩٦	هل تجزون إلا ما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	١٣٣
٢٩٧	ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تذر وازرة وزر أخرى .	الأنعام	١٦٤	١٣٣
٢٩٨	فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها			
	لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم .	الروم	٢٠	١٣٣
٢٩٩	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون .	البقرة	١٣٦ - ١٣٨	١٣٣
٣٠٠	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم			
	على أنفسهم ، ألسنت بربكم ، قالوا .. بلى .	الأعراف	١٧٢	١٣٤
٣٠١	إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من			
	الغاوين .	الحجر	٤٢	١٣٥
٣٠٢	فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب			
	وتولى .	الليل	١٥	١٣٥
٣٠٣	من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة			
	وهو بكل خلق عليم .	يس	٧٨	١٣٧
٣٠٤	وأن الله يبعث من فى القبور .	الحج	٧	١٣٧
٣٠٥	رب أرنى كيف تحيى الموتى قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .	البقرة	٢٦٠	١٣٧
٣٠٦	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت			
	فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .	البقرة	٢٤٣	١٣٧
٣٠٧	فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو			
	بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام إلى قوله : وانظر إلى			
	العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما .	البقرة	٢٥٩	١٣٧
٣٠٨	وأحيى الموتى بأذن الله .	آل عمران	٤٩	١٣٨
٣٠٩	ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون .	المؤمنون	١٦	١٣٨
٣١٠	يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا .	يس	٥٢	١٣٩
٣١١	وجنة عرضها السموات والأرض .	آل عمران	١٣٣	١٣٩
٣١٢	فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله			
	أحسن الخالقين .	المؤمنون	١٣ ، ١٤	١٣٩
٣١٣	كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا			
	العذاب .	النساء	٥٦	١٤٠
٣١٤	رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة .	التحريم	١١	١٤١
٣١٥	عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى .	النجم	١٤	١٤١
٣١٦	فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون .	السجدة	١٩	١٤٢
٣١٧	لا تسمع فيها لأغية .	الفاشية	٢١	١٤٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣١٨	ألا تجوع فيها ولا تعرى .	طه	١١٨	١٤٣
٣١٩	لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا .	الإنسان	١٣	١٤٣
٣٢٠	اسكن أنت وزوجك الجنة .	الأعراف	١٩ - ٣٥	٢٤٣
٣٢١	وأحصى كل شيء عددا .	الجن	٢٨	١٤٦
٣٢٢	كل شيء هالك إلا وجهه .	القصص	٨٨	١٤٦
٣٢٣	خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك			
	عطاء غير مجدود .	هود	١٠٨	١٤٨
٣٢٤	خالدين فيها ابدا .	المائدة	١١٩	١٤٨
٣٢٥	لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى .	الدخان	٥٦	١٤٨
٣٢٦	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .	النساء	٥٩	١٤٩
٣٢٧	لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .	البقرة	٢٨٦	١٤٩
٣٢٨	فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون			
	بالله واليوم الآخر .	النساء	٥٩	١٥٠
٣٢٩	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا .	آل عمران	١٠٥	١٥١
٣٣٠	ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .	الأنفال	٤٦	١٥١
٣٣١	وورث سليمان داود .	النمل	١٦	١٥٥
٣٣٢	فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله			
	رب رضيا .	مريم	٦٠	١٥٥
٣٣٣	إنك سميع الدعاء .	آل عمران	٣٨	١٥٦
٣٣٤	وإني خفت الموالي من ورائى .	مريم	٥	١٥٦
٣٣٥	وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين .	آل عمران	٣٩	١٥٦
٣٣٦	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله .	الأنفال	٧٥	١٥٨
٣٣٧	اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .	الأعراف	٣	١٦٠
٣٣٨	ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانه فلا يسرف فى			
	القتل إنه كان منصورا .	الاسراء	٣٣	١٧٤
٣٣٩	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون			
	فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم			
	الصادقون .	الحشر	٨	١٧٦
٣٤٠	فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنونك للخروج فقل لن			
	تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا .	التوبة	٨٣	١٧٨
٣٤١	سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرؤنا تتبعكم			
	يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلككم قال الله			
	من قبل .	الفتح	١٥	١٧٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٤٢	قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أول ناس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسا وإن توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما .	الفتح	١٦	١٧٩
٣٤٣	إن الظن لا يغنى عن الحق شيئا .	يونس	٣٦	١٧٩
٣٤٤	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .	المائدة	٢	١٨٠
٣٤٥	كنتم خير أمة أخرجت للناس .	آل عمران	١١٠	١٨٣
٣٤٦	وأنى فضلتكم على العالمين .	البقرة	٤٧	١٨٣
٣٤٧	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	١٨٥
٣٤٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل .	الحديد	١٠	١٨٦
٣٤٩	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه .	المجادلة	٢٢	١٨٨
٣٥٠	قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .	المتحنة	٤	١٨٩
٣٥١	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم .	التوبة	١١٤	١٨٩
٣٥٢	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم .	الأحزاب	٦	١٨٩
٣٥٣	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٤ ، ٣	١٩١
٣٥٤	جزاء بما كانوا يعملون .	الاحقاف	١٤	١٩١
٣٥٥	وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مهم مغفرة وأجرا عظيما .	الفتح	٢٩	١٩٢
٣٥٦	ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرا مرتين .	الأحزاب	٣١	١٩٢
٣٥٧	وتلك الجنة التي أوردتموها عما كنتم تعملون .	الزخرف	٧٢	١٩٢
٣٥٨	غرف من فوقها غرف مبنية .	الزمر	٢٠	١٩٢
٣٥٩	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى .	النجم	٤١	١٩٢
٣٦٠	يختص برحمته من يشاء .	البقرة	١٠٥	١٩٣
٣٦١	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .	الحديد	٢١	١٩٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٦٢	يا نساء السبي لست كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول .	الأحزاب	٣٢	١٩٣
٣٦٣	يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .	آل عمران	٤٢ ، ٤٣	١٩٤
٣٦٤	ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين .	الأحزاب	٣١	١٩٤
٣٦٥	اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا .	القصص	٥٤	١٩٥
٣٦٦	إلك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .	القصص	٥٦	١٩٦
٣٦٧	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .	المجادلة	٢٢	١٩٧
٣٦٨	قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه : ذالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده .	المتحنة	٤	١٩٧
٣٦٩	هل تجزون إلا بما كنتم تعملون .	النمل	٩٠	١٩٩
٣٧٠	إن المسلمين والمسلمات .	الأحزاب	٣٥	٢٠٠
٣٧١	وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .	الإنسان	٢٠	٢٠١
٣٧٢	وكان عند الله وجيها .	الأحزاب	٦٩	٢٠١
٣٧٣	ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين .	التكوير	٢١	٢٠١
٣٧٤	إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون .	يس	٥٥	٢٠٣
٣٧٥	وليس الذكر كالأنثى .	آل عمران	٣٦	٢٠٤
٣٧٦	وللرجال عليهن درجة .	البقرة	٢٢٨	٢٠٤
٣٧٧	أو من ينشأ فى الحلبه وهو فى الخصوم غير ملئم .	الزحرف	١٨	٢٠٤
٣٧٨	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .	النساء	٥٩	٢٠٥
٣٧٩	والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل أمر بما كسب رهين .	الطور	٢١	٢٠٦
٣٨٠	يا نساء النبى لستن كأحد من النساء .	الأحزاب	٣٢	٢٠٧
٣٨١	تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات .	البقرة	٢٥٣	٢٠٧
٣٨٢	إنما يخشى الله من عباده العلماء .	فاطر	٢٨	٢١٦
٣٨٣	إذ أخرجهم الذين كفروا ثالى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .	التوبة	٤٠	٢٢٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٣٨٤	فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا .	الكهف	٣٤	٢٢٠
٣٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيبا .	الأعراف	٨٥	٢٢٠
٣٨٦	سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون .	القصص	٣٥	٢٢١
٣٨٧	لا تخف إنك أنت الأعلى .	طه	٦٦	٢٢١
٣٨٨	ومن كفر فلا يحزنك كفره .	لقمان	٢٣	٢٢١
٣٨٩	ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون .	النحل	١٢٧	٢٢١
٣٩٠	فلا يحزنك قولهم . إن العزة لله جميعا .	يونس	٦٥	٢٢١
٣٩١	فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .	فاطر	٨	٢٢١
٣٩٢	فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا .	الكهف	٦	٢٢١
٣٩٣	قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون .	الأنعام	٣٣	٢٢٢
٣٩٤	ولا تطع منهم أثما أو كفورا .	الإنسان	٢٤	٢٢٢
٣٩٥	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا .	الإنسان	٨	٢٢٣
٣٩٦	والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم .	الواقعة	١٠	٢٢٥
٣٩٧	لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم .	الفتح	١٨	٢٢٥
٣٩٨	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	٢٢٥
٣٩٩	وعد الله لا يخلف الله وعده .	الروم	٦	٢٢٥
٤٠٠	إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون .	الأنبيا	١٠٣	٢٢٥
٤٠١	لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون .	الأنبيا	١٠٣	٢٢٥
٤٠٢	وومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاث لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .	التوبة	١٠١	٢٢٦
٤٠٣	إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض .	آل عمران	٣٣	٢٢٨
٤٠٤	قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى .	الشورى	٢٣	٢٢٨
٤٠٤	وابعث فيهم رسولا منهم .	البقرة	١٢٩	٢٢٨
٤٠٥	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم .	التوبة	١٠٣	٢٢٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
٤٠٦	وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .	البقرة	١٥٥	٢٢٩
٤٠٧	وابعث فيهم رسولا منهم .	البقرة	١٢٩	٢٢٩
٤٠٨	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير .	فاطر	٢٤	٢٣٠
٤٠٩	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومة ليين هم .	ابراهيم	٤	٢٣٠
٤١٠	تبت يدا أبي لهب وتب - إلى قوله سيصلى نارا ذات لهب .	السد	١ : ٣	٢٣١
٤١١	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم .	الحجرات	١٣	٢٣١
٤١٢	لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم .	المتحنة	٣	٢٣١
٤١٣	واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا .	لقمان	٣٣	٢٣١
٤١٤	أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر .	القمر	٤٣	٢٣١
٤١٥	ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا .	الاسراء	٣٣	٢٣٤
٤١٦	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان .	المائدة	٢	٢٣٤
٤١٧	إن الحكم إلا لله .	الانعام	٥٧	٢٣٦
٤١٨	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله .	الشورى	١٠	٢٣٦
٤١٩	فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .	النساء	٥٩	٢٣٦
٤٢٠	لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .	الحديد	١٠	٢٣٧
٤٢١	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً - الآية .	الفتح	٢٩	٢٣٧
٤٢٢	لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأتابهم فتحاً قريبا .	الفتح	١٨	٢٣٧
٤٢٣	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله .	الحجرات	١٠	٢٤٢
٤٢٤	وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى .	النجم	٤ ، ٣	٢٤٣
٤٢٥	ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .	النساء	٨٢	٢٤٣
٤٢٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .	البقرة	٢٨٦	٢٤٣

فهرس الأحاديث النبوية

٧ خلقت الملائكة من نور وحلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم	١
١٥ ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً	٢
١٦ لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه	٣
١٨ نحن أحق بالشك من ابراهيم	٤
١٩ ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد	٥
 ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال رسول الله - ﷺ : لما قالها يوسف عليه السلام قال له	٦
٢٨ جبريل : يا يوسف اذكر همك : فقال يوسف : وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء	٧
 كان رسول الله - ﷺ - معتكفاً فجاءته صفية تقول : فأتيته أزوره فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام	
 معى ليقبلنى وكان مسكنها فى دار اسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى - ﷺ -	
 أسرعاً فقال النبى على رسلكما ، إنها صفية بنت حى قالوا : سبحان الله يا رسول الله . قال : إن	
٢٩ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً أو قال : شرأ	
٣٦ لا تفضلونى على يونس بن متى	٨
٤٢ لأطفون الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهن تلد فارساً يقاتل فى سبيل الله ولم يقل إن شاء الله	٩
٤٣ أن ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا أو كلاماً هذا معناه	١٠
٤٦ لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة	١١
٤٧ لو نزل عذاب ما نجى منه إلا عمر	١٢
٤٦ ولو دعيت إلى ما دُعى إليه يوسف لأجبت	١٣
٤٦ ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لأجبت الداعى	١٤
٤٩ والحج يجب ما قبله	١٥
٤٩ العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	١٦
٤٩ من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة	١٧
٤٩ اللهم وليديه فاغفر	١٨
 إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير (وإنه لكبير) أما أحدهما فكان لا يستبرى من بوله ، وأما الآخر	١٩

- ٥٠ فكان يمشى بالميمية
- ٥١ اتقوا السبع الموبقات : الشرك والسحر والقتل والزنا الخ ٢٠
- ٥١ عقوق الوالدين من الكبائر ٢١
- ٤٩ إني لأتقاكم لله وأعلمكم بما آتى وآذر ٢٢
- ٥٣ إني لأتقاكم لله وإني لست كهيتكم وإني لست مثلكم ٢٣
- ٥٤ لو كان لأحدكم مثل أحد ذهباً فأنفقه لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ٢٤
- ٥٤ ما كان لنبي أن تكون له خاتنة الأعين ٢٥
- ٢٦ قال الكافر : اعدل يا محمد ، إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فقال له رسول الله - ﷺ
ويحك من يعدل إذا أنا لم أعدل .. ؟ أيأمنني الله ولا تأمنوني
- ٥٥ قوله عليه السلام : لأم سلمة أم المؤمنين إذ سألته عن الذى قبل امرأته فى رمضان ألا أخبرتها أنى
فعلت ذلك .. ؟
- ٥٥ ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهيمون به إلا مرتين من الدهر لكلتأهما يعصمنى الله منهما .
قلت ليلة لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى أغنام لأهلها ترعى ، أبصر لى غنمى حتى أسمر
هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان . قال : نعم ، فلما خرجت فجئت أدنى دار من دور مكة ،
سمعت غناء وصوت دفوف وزمير . فقلت : ما هذا .. ؟ قالوا فلان تزوج فلانه لرجل من قريش
فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى
صاحبي فقال لى ما فعلت ، فأخبرته . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت
مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى . فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس
الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال لى : ما فعلت : قلت ما فعلت شيئاً فوالله ما هممت بعدها
بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته
- ٥٩ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وفضلت على الأنبياء بست ٢٩
- ٦٥ الروث والعظام طعاماً إخواننا من الجن ٣٠
- ٦٥ ما تقول فى هذا الرجل .. ؟ فأما المؤمن أو المؤمن فإنه يقول : هو محمد رسول الله قال : وأما المنافق
أو المرتاب فإنه يقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته
- ٦٥ إن أحدنا ليحدث نفسه بالشئ ما أنه يقدم فتضرب عنقه أحب إليه من أن يتكلم به . فأخبر
رسول الله - ﷺ - بأن ذلك محصن الإيمان وأخبر أنه من وسوسة الشيطان
- ٧١ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ٣٣
- ٧٣ رفع القلم عن ثلاث فذكر الصغير حتى يحتلم ٣٤
- ٧٩ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ٣٥
- ٣٦ خمس صلوات كتبهن الله على العبد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند الله عهد
أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له
- ٨٣ ثم يضرب الصراط بين ظهراى جهنم ٣٧
- ٨٨ أخبر النبي - ﷺ - أن الرجل يأتى يوم القيامة وله صدقة وصيام ، وصلاة ، فيوجد قد سفك دم
هذا ، وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منهم فإذا لم يبق له حسنة قذف من سيئاتهم عليه
ورمى فى النار
- ٩٠

٣٩	يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة شعر من خير ، ثم من في قلبه مثقال برة من خير ، ثم من في قلبه مثقال حبة من خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة إلى أدنى من ذلك ثم من لا يعمل خيراً قط
٩٠	إلا شهادة الإسلام
٩١	إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تخرجه بقول أو عمل
٤١	خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئاً كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه
٩١	أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى بهما دماغه
٩٤	حكيم بن حزام قال : يا رسول الله أشياء كنت أتحدث بها في الجاهلية من عتق وصدقه وصلة رحم فقال له رسول الله - ﷺ - أسلمت على ما سلف من خير
٩٤	قالت عائشة - رضی الله عنها - يا رسول الله أرأيت ابن جدعان فإنه يصل الرحم ويقرى الضيف أينفعه ذلك .. ؟ قال : لا لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
٩٥	الإسلام يجب ما قبله
٩٦	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
٩٦	المهجرة تجب ما قبلها
٩٦	الحج يجب ما قبله
٩٧	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
٩٧	اللهم وليديه فاغفر
٩٧	من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة
٥٢	قال رسول الله - ﷺ - إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير - وإنه لكبير - أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشی بالهيممة
٩٨	اتقوا السبع الموقات : الشرك والسحر والقتل والزنا الخ
٩٩	عقوق الوالدين من الكبائر
٥٤	أنه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف ، والأصلح الأصم ومن كان في الفترة والمجنون . فيقول المجنون : يا رب أتأتى الإسلام وأنا لا أعقل ويقول الخرف الأصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ويقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها برداً وسلاماً
١٠٥	يوضع الصراط بين ظهرائي جهنم ويمر عليه الناس بمجدوح وفاج ومكروس في نار جهنم
١١٥	كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب
١٢٢	الأرواح جنود مجنونة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
١٢٣	يجمع خلق ابن آدم في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح
١٢٣	نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش
١٢٥	روى عن رسول الله - ﷺ - أن خديجة أم المؤمنين رضی الله عنها قالت : يا رسول الله أين الله أين أطفالى منتك .. ؟ قال : في الجنة قالت : فأطفالى من غيرك .. ؟ قال : في النار
١٢٧	الرائدة والمؤدة في النار
١٢٨	الرائدة والمؤدة في النار

- ٦٣ أتيت أنا وأحى رسول الله - ﷺ - فقلنا له إن أمتا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف ، وتصل الرحم ، فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال : لا . قلنا : فإن أمتا وأدت أختنا لنا في الجاهلية لم تبلغ الخث فقال رسول الله - ﷺ - الموردة والوائدة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم
- ١٢٩
١٢٩
٦٤ أطفال المشركين في الجنة
- ٦٥ الوائدة والموردة في النار إلا أن تدرك الإسلام فيعفو الله عنها
- ٦٦ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه
- ١٣١
٦٧ الله أعلم بما كانوا عاملين
- ٦٨ وما يدريك يا عائشة ؟ ان الله خلق خلقا للنار وهم في أصلاب آبائهم
- ١٣٢
٦٩ والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم
- ١٣٣
٧٠ كل مولود يولد على الفطرة
- ١٣٤
٧١ خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم
- ٧٢ يعرض على الله تعالى الأصم الذى لا يسمع شيئا والأحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الأصم رب جاء الإسلام وما اسمع شيئا ويقول الأحمق جاء الإسلام وما اعقل شيئا ويقول الذى مات في الفترة ما أتانا لك من رسول . قال البزار : وذهب عنى ما قال الرابع ، قال : فيأخذ موثيقهم ليطيحوه فيرسل الله اليهم ادخلوا النار فوالذى نفسى بيده لو دخولها لكانت عليهم بردا وسلاما
- ١٣٦
٧٣ جلد الكافر يعلظ حتى تكون نيفا وسبعين ذراعا وأن ضرسه في النار كأحد
- ١٤٠
٧٤ ذكر الرسول ﷺ أشياء من أعمال البر من عملها غرست له في الجنة كذا وكذا شجرة
- ١٤١
٧٥ إشتكت النار إلى رها فأذن لها بنفسين وأن ذلك أشد ما نجد من الحر والبرد
- ١٤٢
٧٦ إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر منهما
- ١٥٠
٧٧ صح عن النبي ﷺ أنه أنذر بخارجه تخرج من طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق
- ١٥١
٧٨ عمار تقتله الفئة الباغية
- ١٥١
٧٩ الأئمة من قريش
- ١٥٢
٨٠ مولى القوم منهم ، ومن أنفسهم ، وابن اخت القوم منهم
- ١٥٣
٨١ نحن الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة
- ١٥٥
٨٢ أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي
- ١٥٩
٨٣ الطاعة للقرشى إماما واحدا لا ينازع إذا قادنا بكتاب الله عز وجل
- ١٦٩
٨٤ ان ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين
- ١٧٣
٨٥ أن امرأة أتت النبي ﷺ في شيء فقال لها رسول الله ارجعى إلى ، قالت يا رسول الله فإن لم أرك - تعنى الموت - فألى من ؟ قال : إلى أبى بكر
- ١٧٧
٨٦ ويأبى الله والنبيون إلا أبأ بكر
- ١٧٨
٨٧ دعوا لى أصحابى فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
- ١٨٥
٨٨ قيل يا رسول الله : من أحب الناس إليك ؟ قال : عائشة قيل : من الرجال ؟ قال أبوها
- ١٩٠

٨٩	لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قيل : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة
١٩٢ منه وفضل
٩٠ خير نساءها فاطمة بنت محمد
١٩٤ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
٩١ صح عن النبي ﷺ أنه يوعك كوعك رجلين من أصحابه لأن له على ذلك كفلين من الأجر
٩٢ أنتم أحب الناس إليّ
٩٣ قال رسول الله ﷺ يعني زيد بن جارية وأبم الله إن كان خليقا للإمرة ، وإن كان لمن أحب الناس
٩٤ إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده
٩٥ من أحب الناس إليك ؟ فقال : عائشة ، فقيل من الرجال ؟ قال : أبوها
٩٦ لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
٩٧ فعليك بذات الدين تربت يداك
٩٨ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
٩٩ إن يكن من عند الله يمضه
١٠٠ خيركم القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
١٠١ زعيم بيت في ريض الجنة وفي وسط الجنة وفي أعلا الجنة لمن فعل كذا
٢٠٠ وأن أبا بكر يرجو له رسول الله أن يدعى من جميع تلك الأبواب
١٠٢ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
١٠٣ وما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الخازم من إحداكن
٢٠٦ لا يفلح قوم اسندوا أمرهم إلى امرأة
١٠٥ دعوا لي صاحبي فإن الناس قالوا كذبت وقال أبو بكر صدقت
٢٢٣ لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكنه أخى وصاحبي
١٠٧ إن من أمن الناس عليّ في ماله أبا بكر
١٠٨ إلا استحي ممن تستحي منه الملائكة
١٠٩ أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي
٢٢٤ لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
١١١ إن عليا لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق
١١٢ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر
٢٢٤ خيركم القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم
١١٤ اللهم صل على آل أبي أوفى
٢٢٨ أبي وأبوك في النار وأن أبا طالب في النار
١١٦ واصطفاني من بنى هاشم
٢٣٠ يا بني عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا
١١٧
٢٣٠
١١٨

فهرس البلدان والأماكن

٢١٧ :	البحرين
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢١٨ ، ٢١٣ ، ٢١٠ :	البصرة
٢١٧ :	الحجاز
٢١٧ :	حضر موت
٢١٧ :	خرسان
٢١٧ :	خيبر
٢٤٠ ، ٢١٧ :	الشام
٢١٣ :	صفين
٢١٧ :	الطائف
٢١٧ :	عمان
٢١٧ :	الفرس
٢١٣ :	الكوفة
٢١٧ :	المدينة
٢٢٠ :	مدين
٢١٧ :	مكة
٢١٧ :	ميسان
٢١٧ :	النجامة
٢١٧ ، ٢١٤ :	اليمن

فهرس الفرق

١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٥ :	الأزارقة	١
٥٣ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١٢١ ،	الأشعرية	٢
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٦ :		
٦ ، ٨٠ ، ١١١ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٨١ ،	أهل السنة	٣
٢٠٩		
٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ٢٢٦ ،	الخوارج	٤
٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ :		
٧٦ :	الدهرية	٥
٥٧ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،	الرافضة	٦
١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،		
٥٦ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢١٤ :	الشيعة	٧
١٧ :	الصائبة	٨
١١١ ، ٥ :	الكرامية	٩
٢٢ ، ٧٦ :	المجوس	١٠
١٥٢ ، ١٨١ :	المرجئة	١١
٦ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٥ ،	المعتزلة	١٢
٢٣٨ ، ٢٤١ :		
٧٧ :	المغربية	١٣
٧٦ :	المنانية	١٤
٧٧ :	المنصورية	١٥
٦ :	البخارية	١٦
٧٦ :	النصارى	١٧
٥ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ :	اليهود	١٨

فهرس الأعلام

٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٧ ، ٣٩ ،	آدم عليه السلام	١
١١٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ٢٠٠ ،		
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩		
١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ١٣٧ ، ٢٢٩ ،	ابراهيم عليه السلام	٢
٢٣١		
٢٢ ، ١٩٣	ابراهيم بن رسول الله	٣
٢٠٩	ابراهيم بن محمد البصرى	٤
٢٨ ، ٥٩	ابراهيم بن محمد بن فراس	٥
١٨٢	ابراهيم بن يزيد بن قيس	٦
٦٤	ابليس	٧
٢١٢	أبى بن كعب	٨
١٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤١	أحمد بن حنبل	٩
٩٣ ، ٢٣٢	أحمد بن عبد البصير	١٠
١٠٧	أحمد بن على	١١
٢١٠	أحمد بن عمر بن عبد الخالق	١٢
٦	أحمد بن فتح	١٣
٢٠٩	أحمد بن فضل الديمورى	١٤
٦	أحمد بن محمد بن احمد بن على	١٥
٢٨ ، ٥٩	أحمد بن محمد بن سالم النيسابورى	١٦
٢٨ ، ٥٩ ، ٢١٠	أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكى	١٧
٢٠٩	أحمد بن محمد الكوزى	١٨
٢١٠	أحمد بن محمد بن مفرح	١٩
١٦٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٠	أسامة بن زيد	٢٠
٢٢٨ ، ٢٣٠	اسحاق عليه السلام	٢١
٢٨ ، ٥٩ ، ١٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤١	اسحاق بن راهويه	٢٢
٣٢ ، ٣٣ ، ٥٨	اسرائيل	٢٣

٢٢٨ ، ٥٨ :	اسماعيل عليه السلام	٢٤
١٣٨ :	اسماعيل الرعيني	٢٥
١٧٧ :	الأسود العنسي	٢٦
٢٢٧ :	أسيد بن جابر	٢٧
١٨١ :	أسيد بن حضير	٢٨
١٥٤ :	أمية بن عبد شمس	٢٩
٢١٤ ، ٢٠٥ ، ١٩٦ ، ١٥٢ ، ٢٨ :	أنس بن مالك	٣٠
٢٢٨ ، ٢٢٧ :	اديس القرني	٣١

حرف الباء

١٧٥ :	بشر بن الحارث الخافي	١
٨٠ :	بشر بن غياث المريسي	٢
٧٩ :	بكر بن أخت عبد الواحد	٣
١٢٩ :	بكر بن حماد	٤
٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٤ ، ٢٠٨ ، ٢٠٠ :	بلال بن رباح	٥

حرف التاء

١٨٢ :	تميم بن حزنم	١
-------	--------------	---

حرف الثاء

٢٨ :	ثابت البناني	١
------	--------------	---

حرف الجيم

١٥٢ :	جابر بن سمرة	١
٢٢٤ ، ٢١٩ ، ٢١٠ ، ٢٠٥ ، ١٥٢ :	جابر بن عبد الله	٢
٢٠٢ ، ٢٠١ :	جبريل عليه السلام	٣
١٣٩ :	جبير بن مطعم	٤
٢١٧ :	جعدة بن نيرة	٥
١٨٧ ، ١٠٢ :	جعفر بن أبي طالب	٦
١٦٥ ، ١٤٥ :	جهم بن صفوان	٧

حرف الحاء

١٦٥ :	الحارث بن هشام بن المغيرة	١
٢٤٠ :	حسان بن ثابت	٢
٢٣٢ :	حسان بن فايد العيسى	٣
١٠٩ :	الحسن البصرى	٤
٢٤١ :	الحسن بن زياد	٥
٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٥ :	الحسن بن على	٦
١٥٨ :	الحسن بن جعفر النوبختى	٧
١١٥٩ :	الحسن بن محمد	٨
٢٢٦ ، ١٥٠ :	الحسين بن على	٩
٨٠ :	الحسين النجار	١٠
٢١٦ :	الحجاج الثقفى	١١
٢٣٤ :	الحكم بن العاص	١٢
٩٥ :	حكيم بن حزام	١٣
١٩٦ ، ٢٨ :	حماد بن سلمة	١٤
٢١٨ ، ٢١١ ، ١٠٢ :	حمزة بن عبد المطلب	١٥
٢٠٨ :	حفص بنت عمر	١٦
١٦٧ :	حنظلة بن أبى سفيان	١٧

حرف الحاء

٢١٧ :	خارجة بن حذافة	١
٩٣ :	خالد الحذاء	٢
١٦٥ :	خالد بن سعيد بن العاص	٣
٢٠٥ :	خالد بن الوليد	٤
٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٢٩ :	خديجة بنت خويلد	٥
٣٢ :	الخضر	٦
٢٠٩ :	خلف بن القاسم	٧

حرف الدال

٤٠ ، ٣٩ :	داود عليه السلام	١
-----------	------------------	---

١٣٠ ، ١٢٩ :	داود بن أبي هند	٢
١٥٨ :	داود الحواري	٣
٢٢٧ ، ١٨٢ ، ١٠٩ :	داود بن علي	٤

حرف الذال

٢٣٧ ، ٥٦ ، ٥٥ :	ذو الخويصرة	١
-----------------	-------------	---

حرف الزاء

١٧٥ :	رابعة العدوية	١
٢٤٠ ، ١٦٦ :	رافع بن خديج	٢

حرف الزاي

٧٩ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٣٩ :	الزبير بن العوام	١
١٥٦ :	زكريا عليه السلام	٢
٢٤١ :	زفر	٣
٦ :	الزهري	٤
١٧٣ :	زياد بن أبيه	٥
٢٢ :	زيد بن أرقم	٦
٢٤٠ ، ١٦٦ :	زيد بن ثابت الأنصاري	٧
٢٠٨ ، ٥٦ :	زيد بن حارثة	٨
١٥٧ :	زيد بن علي بن الحسين	٩
٢٠٨ ، ٥٩ ، ٦ :	زينب بن جحش	١٠
٢٠٨ :	زينب بنت خديجة	١١

حرف السين

١٦ ، ١٥ :	سارة	١
١٩٦ ، ١٧٤ :	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب	٢
٢٣١ ، ٢٢٩ :	سالم مولى أبي حذيفة	٣
٢٣٧ ، ١٧٩ :	سجاح بنت الحارث المتنبئة	٤

٢٢٤ ، ٢١١ ، ٢٠٥ ، ١٧٣ ، ١٦٦ :	سعد بن أبى وقاص	٥
٢٤٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣		
١٦٢ :	سعد بن عبادة	٦
٢١١ ، ١٨١ :	سعيد بن معاذ	٧
٢٢٤ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ١٧٣ ، ١٦٧ :	سعيد بن زيد	٨
٢٣٨ ، ٢٣٧		
١٨٠ ، ١٧٤ :	سعيد بن المسيب	٩
٢٤١ ، ٢٣٢ ، ٢٢٧ ، ٩٣ :	سفيان الثورى	١٠
٢٢٧ :	سفيان بن عيينه	١١
٢٣٧ ، ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢١٨ :	سلمان الفارسى	١٢
١٢٩ :	سلمة بن يزيد الجعفى	١٣
٤٥ ، ٤١ :	سليمان عليه السلام	١٤
٢١١ :	سماك بن خرشة	١٥
٢٢٣ ، ٢١٠ :	سهل بن حنيف	١٦
٢١٠ :	سهل بن خثيمة	١٧
١٨٧ :	سهل بن سعد الخزرجى	١٨
٢١٠ :	سهل بن عمرو	١٩
٢٠٨ :	سودة بنت زمعة	٢٠

حرف الشين

١٠٩ ، ١٠٧ :	الشافعى	١
٢٢٧ ، ٢١٠ :	شعبة بن الحجاج	٢
١٧٥ :	شيبان الراعى	٣
٢٣٧ :	شميث بن ربيعى	٤

حرف الصاد

٢٣٠ :	صفية بنت عبد المطلب	١
٢٣١ ، ٢٢٩ :	صهيب الرومى	٢

حرف الضاد

١٨١ :	الضحال بن مخلد	١
١٥٢ :	ضرار بن عمرو	٢

حرف الطاء

٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١١ :	طلحة بن عبيد الله	١
٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٥		
١٧٩ :	طليحة بن خويلد	٢

حرف العين

٢٠٤ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ٦ :	عائشة أم المؤمنين	١
٢١٤ ، ٢١٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦		
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢١٩		
١٦٤ :	العاص بن سعيد بن العاص	٢
١٦٤ :	عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح	٣
١٢٩ :	عامر الشعبي	٤
١٨١ :	عباد بن بشر الأشهلي	٥
١٥٢ ، ٩٢ :	عبادة بن الصامت	٦
٢٣١ ، ٢٣٠ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ :	العباس بن عبد المطلب	٧
١٣٠ ، ٦ :	عبد بن حميد	٨
٢١٨ ، ٢١٧ :	عبد الرحمن بن أبي بكر	٩
٢٤١ :	عبد الرحمن بن سهل	١٠
٢٢٧ :	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي	١١
٢٤٤ ، ٢٢٤ :	عبد الرحمن بن عوف	١٢
١٧٤ :	عبد الرحمن بن القاسم	١٣
٢٣٢ :	عبد الرحمن بن المهدي	١٤
٦ :	عبد الرازي	١٥
١٨٧ :	عبد الله بن أبي أوفى	١٦
١٧٦ :	عبد الله بن أم مكتوم	١٧
١٨٧ :	عبد الله بن بشر المازني	١٨
٢٢٤ ، ١٨٧ :	عبد الله بن جحش	١٩
٩٥ :	عبد الله بن جدعان	٢٠
١٥٤ :	عبد الله بن جعفر	٢١
١٨٧ :	عبد الله بن الحارث	٢٢
٢٤٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ :	عبد الله بن خباب بن الارت	٢٣
١٩٦ :	عبد الله بن دينار	٢٤
٢٣٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ١٦٧ :	عبد الله بن الزبير بن العوام	٢٥
٥٤ :	عبد الله بن سعد بن أبي السرح	٢٦

٢٣٧ ، ٢٣١ ، ٢١٨ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٢٨ ، ٢٧ :	عبد الله بن عباس	٢٧
، ٢١٧ ، ٢١٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ١٧٧ ، ٥٨ :	عبد الله بن عمر	٢٨
، ٢٣٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٢١٩ ، ٢١٨		
٢٤٤ ، ٢٤٠		
٢٢٧ :	عبد الله بن المبارك	٢٩
، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٢٥ ، ٩٥ :	عبد الله بن مسعود	٣٠
٢٣٦ ، ٢٢٤		
٢٣٧ ، ١٧٤ :	عبد الله بن وهب الراسبي	٣١
٦ :	عبد الله بن يوسف	٣٢
٢٣٧ ، ٢٣١ ، ٢١٨ ، ٣٩ ، ٢٨ ، ٢٧ :	عبيد الله بن العباس	٣٣
١٧٥ :	عبيد الله بن عمرو بن حفص	٣٤
١٤٨ :	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣٥
١٦٧ :	عبيده بن سعيد	٣٦
٢١٠ :	عبد الملك بن سعد	٣٧
٢١٧ :	عبد الملك بن عباس	٣٨
٢٠٥ ، ١٦٧ :	عبد الملك بن مروان	٣٩
١٢٩ :	عبد الوارث بن سفيان	٤٠
٦ :	عبد الوهاب بن عيسى	٤١
١٦٤ :	عتبه بن ربيعة	٤٢
، ٢١٨ ، ٢٠٠ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٦٨ :	عثمان بن عفان	٤٣
، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠ ، ٢١٩		
، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤		
٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢		
٢٢٤ ، ١٨٧ ، ١٣٢ :	عثمان بن مظعون	٤٤
٢١٧ :	عدى بن كعب	٤٥
١٧٤ ، ٦ .	عروة بن الزبير	٤٦
١٦٤ :	عقبة بن إبان	٤٧
٢١٠ :	عقبة بن خالد	٤٨
٢٣١ :	عقيل بن أبي طالب	٤٩
٤٧ :	عكرمة بن عمار الجماني	٥٠
١٢٩ :	علقمة بن قيس	٥١
، ١٩٣ ، ١٦٨ ، ١٥٥ ، ١٥٠ ، ٦١ ، ٥٩ :	علي بن أبي طالب	٥٢
، ٢٠٧ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٩٤		
، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩		
، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤		
، ٢٣٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠		
، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤		
٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩		

١٥١ ، ١٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤	:	عمار بن ياسر	٥٣
٩٧	:	عمر بن حمه الروسى	٥٤
١٩٦	:	عمر بن حمزة	٥٥
١٥٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦	:	عمر بن الخطاب	٥٦
١٠٨	:	عمر بن عبد العزيز	٥٧
٩٦ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١	:	عمرو بن العاص	٥٨
١٦٤	:	عمرو بن عبد ود	٥٩
١٠٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤١	:	عمرو بن عبيد	٦٠
٦	:	عمرو بن قيس	٦١
٢٢٧	:	عمرو بن مرة	٦٢
٦١	:	عمير بن سعيد	٦٣
٢٢ ، ٥٨ ، ٨٩	:	عيسى عليه السلام	٦٤
١٨١	:	عيسى بن حاضر	٦٥

حرف الغين

٨٠	:	غيلان الدمشقى	١
----	---	---------------	---

حرف الفاء

١٦٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٠	:	فاطمة الزهراء	١
٢٦ ، ٤٣ ، ٩٤ ، ٢٢١	:	فرعون	٢
٢٣١	:	الفضل بن العباس	٣
٢٢٧	:	الفضيل بن عياض	٤
١٥٢	:	فهد بن مالك	٥

حرف القاف

٩٣ ، ١٢٩ ، ٢٣٢	:	قاسم بن اصبح	١
----------------	---	--------------	---

١٧٤ :	القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق	٢
٢١٩ :	قيصر	٣

حرف الكاف

١٥٩ :	كثير عزة بن عبد الرحمن الخزاعى	١
٢١٩ :	كسرى	٢
٢٤٠ :	كعب بن مالك	٣

حرف اللام

٢٣١ ، ٢٠ ، ١٩ :	لوط عليه السلام	١
٢٤١ ، ٢٢٧ :	الليث بن سعد	٢

حرف الميم

٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ :	ماروت	١
٢٤١ ، ٢٢٧ ، ١٧١ :	مالك بن أنس	٢
٩٣ :	مجاهد	٣
٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،	محمد ﷺ	٤
٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٦ ،		
٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،		
٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،		
٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،		
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ،		
٨٣ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٨ ،		
١١٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،		
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦٠ ،		
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،		
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،		
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،		

٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢			
٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨			
٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣			
٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤			
٢١٧ :	محمد بن أبي بكر	٥	
١٦٥ :	محمد بن أبي حذيفة	٦	
١٣٠ :	محمد بن أبي عدى	٧	
٦٧ ، ٥٣ ، ٥ :	محمد بن أحمد بن محمد السناني	٨	
٢٤١ ، ٢٢٧ :	محمد بن ادريس الشافعي	٩	
١٠٠ :	محمد بن أيوب الصموت	١٠	
٢٠٩ ، ٦٧ :	محمد بن جرير الطبري	١١	
١٥٨ :	محمد بن جعفر بن النعمان	١٢	
٦ :	محمد بن حسن بن فورك	١٣	
١٥٩ ، ٥٩ :	محمد بن الحنفية	١٤	
٢٣٢ ، ٩٣ :	محمد بن سعيد بن بيان	١٥	
١٠٩ :	محمد بن سيرين	١٦	
٨٠ :	محمد بن شديد	١٧	
٢٣٩ :	محمد بن طلحة	١٨	
١٨٥ ، ١٧٩ ، ٥٣ ، ٦ ، ٥ :	محمد بن الطيب	١٩	
٢٠٩ :	محمد بن العباس البغدادي	٢٠	
٢٣٢ ، ٩٣ :	محمد بن عبد السلام الخثني	٢١	
١٣٨ :	محمد بن عبد الله بن مسرة	٢٢	
١٧٠ :	محمد بن علي زين العابدين	٢٣	
٥٩ :	محمد بن قيس بن مخزوم	٢٤	
٨٠ :	محمد بن كرام	٢٥	
١٥١ ، ١٥٠ :	محمد بن كرام السجستاني	٢٦	
٢٣٢ ، ٩٣ :	محمد بن المثني	٢٧	
١٧٤ :	محمد بن مسلم الزهري	٢٨	
٢٤٠ ، ١٦٦ :	محمد بن مسلمة الأوسي	٢٩	
١٢٤ :	محمد بن نصر المروزي	٣٠	
١٥٢ :	محمد بن وهب الحميري	٣١	
١٥٩ :	المختار بن أبي عبيدة	٣٢	
١٦٧ :	مروان بن الحكم	٣٣	
٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٥٦ :	مريم عليها السلام	٣٤	
١٨٢ ، ١٣١ :	مسروق بن الأجدع	٣٥	
٢١٠ :	مسروق بن الأزرق	٣٦	
٢٢٧ :	مسعر بن كدام	٣٧	

٦ :	مسلم بن الحجاج	٣٨
٢٢٦ :	مسلم بن عقبة المري	٣٩
١٣٨ :	المسيح عليه السلام	٤٠
٢٢٤ ، ٢١١ ، ١٨٧ :	مصعب بن عمير	٤١
٢٣٧ ، ٢١٤ ، ١٣١ :	معاذ بن جبل	٤٢
٢٠٨ ، ٢٠٤ ، ١٧٢ ، ١٥٠ ، ١٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ :	معاوية بن أبى سفيان	٤٣
١٢٩ :	المعتمد بن سليمان التميمي	٤٤
٢١٧ :	معمار بن عبد الله	٤٥
٦ :	معمار	٤٦
٢٢٦ :	المغيرة بن شعبة	٤٧
٢٣١ :	المقداد بن عمر	٤٨
٢٣٩ :	مكرم بن سيار	٤٩
٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٩ :	مكى بن أبى طالب	٥٠
١٤٢ :	منذر بن سعيد	٥١
٢٢٧ :	منصور بن المعتمد	٥٢
١٩٨ :	المهلب بن أبى صفرة	٥٣
١٦٠ ، ٥٨ ، ٤١ ، ٣٢ ، ٣١ :	موسى عليه السلام	٥٤
١٩٦ :	موسى بن عقبة	٥٥
٢٨ :	موصل بن أسماعيل الحميري	٥٦

حرف النون

١٢٩ :	نافع بن الأزرق	١
١٤٩ :	نجدة بن عامر الحروري	٢
٢٤١ :	النعمان بن ثابت	٣
٢١٧ :	النعمان بن عدى	٤
١٢٨ ، ١٢٧ ، ٢٢ ، ٢١ ، ١٣ :	نوح عليه السلام	٥

حرف الهاء

٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ :	هاروت	١
٢٢٨ ، ١٦٠ ، ٣٤ :	هارون عليه السلام	٢
١٥٨ :	هشام الجواليقي	٣
١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٥٧ :	هشام بن الحكم	٤

١٩٦ :	هشام بن زيد	٥
١٠١ :	هشام بن عمرو	٦

حرف الواو

٢٤١ ، ٢٣٣ :	واصل بن عطاء	١
٢٢٦ :	وجيش بن دكحة القينى	٢
١٠٢ :	وحش بن حرب الحبشى	٣
٢٢٧ ، ٩٣ :	وكيع بن الجراح	٤
١٦٤ :	الوليد بن عتبة بن ربيعة	٥

حرف الياء

٤٣ ، ٢٢ :	يحيى عليه السلام	١
١٦٥ :	يزيد بن صخر	٢
٢٢٨ ، ٢٦ ، ١١ :	يعقوب عليه السلام	٣
٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٢ ، ٢١ :	يوسف عليه السلام	٤
٢٢٨ ، ٦٥		
١٨٢ :	يوسف بن عبد البر	٥
٢٠٩ ، ١٢٩ :	يوسف بن عبد الله الحميرى	٦
١٠٢ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٦ :	يونس عليه السلام	٧
٨٠ :	يونس بن عمران	٨

حرف الكنية

٢٠٠ :	أبو أيوب الأنصارى	١
٢٠٩ :	أبو أيوب سليمان الشاذكونى	٢
٢٣٢ :	أبو اسحاق السبيعى	٣
١٨٧ :	أبو إمامة الباهلى	٤
١٧٤ :	أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث	٥
١٢٢ ، ٨٠ :	أبو بكر بن كيسان الأصم	٦
٢٤١ :	أبو ثور	٧
٢١٥ :	أبو جهل	٨
٢٣٩ ، ٢١٧ :	أبو الجهم بن حذيفة	٩

٨٠ :	أبو الحسن الأشعري	١٠
١٠٩ :	أبو حنيفة	١١
٢٣٧ ، ١٦٦ :	أبو الدرداء	١٢
٢٣٤ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢٠٥ :	أبو ذر الغفاري	١٣
٢١٠ :	أبو سعيد الخدري	١٤
١٦٥ :	أبو سفيان بن حرب	١٥
:	أبو سلمة بن عبد الأسد	١٦
٢٤٤ ، ٢٢٤ :	أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف	١٧
١٥١ ، ١٥٠ :	أبو الصباح السمرقندي	١٨
١٩٧ ، ١٥٤ ، ٩٤ ، ٤٨ :	أبو طالب	١٩
١٤٢ ، ١٣٨ :	أبو العاص منذر بن سعيد القاضي	٢٠
١٦٧ :	أبو العاص بن هشام بن المغيرة	٢١
٢٠٩ :	أبو العباس أحمد بن إبراهيم الكندي	٢٢
٨٠ :	أبو العباس الناشيء	٢٣
٢٢٤ ، ٢١٦ ، ١٨٧ :	أبو عبيدة بن الجراح	٢٤
٩٤ :	أبو عبيدة بن المثني	٢٥
١٩١ :	أبو عثمان النهدي	٢٦
٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ١٥٤ :	أبو هب بن عبد المطلب	٢٧
٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢١٤ :	أبو موسى الأشعري	٢٨
١٨٥ :	أبو هاشم الجبائي	٢٩
٢٣٩ ، ٢١٤ ، ١٦٤ :	أبو هريرة	٣٠
٢٣٣ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٢١ :	أبو الهزيل العلاف	٣١
٢٤١ :	أبو يوسف	٣٢
٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٤ ، ٢٢ :	أم اسحاق	٣٣
٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٨٤ :	أم سلمة	٣٤
٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٤ ، ٨٩ ، ٢٢ :	أم عيسى	٣٥
٢٠٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٤ ، ٢٢ :	أم موسى	٣٦

فهرس الموضوعات

مسلسل	البان	صفحة
١	مقدمة	٣
٢	هل تعصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام	٥
٣	الكلام فى آدم عليه السلام	٩
٤	الكلام فى نوح عليه السلام	١٣
٥	الكلام فى إبراهيم عليه السلام	١٥
٦	الكلام و لوط عليه السلام	١٩
٧	الكلام فى إخوة يوسف عليه السلام	٢١
٨	الكلام فى يوسف عليه السلام	٢٥
٩	الكلام فى موسى عليه السلام وأمه	٣١
١٠	الكلام فى يونس عليه السلام	٣٥
١١	الكلام فى داود عليه السلام	٣٩
١٢	الكلام فى سليمان عليه السلام	٤١
١٣	فصل	٤٣
١٤	الكلام فى محمد - صلى الله عليه وسلم	٤٥
١٥	الكلام فى الملائكة عليهم السلام	٦١
١٦	هل يكون مؤمناً من اعتقد الإسلام دون استدلال أم لا يكون مؤمناً مسلماً إلا من استدلى	٦٧
١٧	الكلام فى الوعد والوعيد	٧٩
١٨	الموافاة	١٠١
١٩	الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنبه أو كفر ثم رجع فيما تاب عنه	١٠٥
٢٠	الكلام فى الشفاعة والميزان والحوض والصراط وعذاب القبر والفتنة	١١١
٢١	عذاب القبر	١١٧
٢٢	مستقر الأرواح	١٢١
٢٣	الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشرىين قبل اللوغ	١٢٧
٢٤	الكلام فى القيامة وبعث الأجساد	١٣٧
٢٥	الكلام فى خلق الجنة والنار	١٤١
٢٦	الكلام فى بقاء الجنة والنار أبداً	١٤٥
٢٧	الكلام فى الإمامة والمفاضلة	١٤٩
٢٨	فصل : عدم حوار إمامة امرأة أو صبى	١٧٩
٢٩	الكلام فى وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة	١٨١
٣٠	الكلام فى حرب على ومن حاربه من الصحابة رضى الله عنهم	٢٣٣
٣١	فهرس الآيات القرآنية	٢٤٥
٣٢	فهرس الأحاديث النبوية	٢٦٥
٣٣	فهرس البلدان والأماكن	٢٧١
٣٤	فهرس الفرق والديانات	٢٧٣
٣٥	فهرس الأعلام	٢٧٥
٣٦	فهرس الموضوعات	٢٨٩